المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الحادي والتسعين

١ يوليو سنة ١٩٣٧ — ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦

عقل الانسان

بين الكيمياء والكهرباء

— ١ —

لا بدّ للجسم الحيّ من انفاق الطاقة ، في حالتي نومه ويقظته ، وراحته وعمله ، لا يقنيه عنها مفرّ . فهو بهذا الوصف آلة لا بد لها من الوقود

ثم ان حدود هذا الانفاق متباينة . فالمرء اذا استيقظ في الصباح ، بعد نوم دام سبع ساعات او ثماني ساعات ، وظل مستلقياً على سريره جسمهُ وعضلاتهُ في حالة راحة تامة ، وعقلهُ غير مضطرب ولا قلق ، ومعدتهُ خالية لم يدخلها الطعام بعد عشاء الليلة السابقة ، كان اقل ما يكون حاجة الى الطاقة وأقل ما يكون انفاقاً لها ، ولكن لا بد لهُ من يسير منها على كل حال . ومقدار الطاقة التي يحتاج اليها في هذا الوضع يعدل في المتوسط وحدة حرارية واحدة (Calorie) في الدقيقة وستين وحدة حرارية في الساعة ، وهذه الطاقة تعدل الطاقة المستخرجة من احتراق قطعتين صغيرتين من السكر في ساعة

هذا المقدار من الطاقة ، هو اقل ما نحتاج اليهِ منها . فهو يكفي لبقاء اعضاء الجسم قائمة بوظائفها ، اذا لم نحملها عبئاً خاصاً بالنهوض والمشي والتمرن الرياضي وغير ذلك من مختلف ضروب الحركة . فمجرد الجلوس في السرير يقتضي زيادة هذا المقدار من الطاقة المستعملة ، خمسة في المائة ، والوقوف عشرة في المائة ، والمشي الحثيث مائتين في المائة

هذا الموضوع اي موضوع ما يحتاج اليه الجسم من الطاقة ، في حالي الراحة والحركة ، كان مداراً لبحوث مستفيضة ، في معمل التغذية التابع لمعهد كارنيجي الاميركي ، وقد عمد الدكتور بنديكت واعوانهُ ، الى قياس ما يحتاج اليهِ الانسان وبعض الحيوانات كذلك ، من الطاقة وهم في احوال وأوضاع مختلفة ، وغرضهم ان يتبينوا العلاقة بين مظاهر النشاط التي يمكن ان تقاس — كمقدار ما يستهلك من الاوكسجين او يرمز من ثاني اكسيد الكربون — ونشاط الجسم نفسهِ. وصنعوا لذلك حجراً محكمة الاقفال لا يدخلها شيء ولا يخرج منها شيء . ولكنها تصلح مع ذلك لمعيشة بضعة افراد اياماً متوالية ، يأكلون وينامون ويعملون ويلعبون فيها ، والآلات تقيس ما يستنشقونهُ وما يزفرونهُ والحرارة التي تشع من اجسامهم . فوجد الدكتور بنديكت ان ما يستهلكه الجسم من الاوكسجين ، دليل تامٌّ على سائر العوامل ، فقصر بحثهُ عليهِ ، واستنبط لذلك خوذة محكمة ، وأجهزة اخرى يسهل تنقيلها ، لقياس ما يستهلكهُ الشيوخ من الاوكسجين في دورهم ، والعمال في معاملهم ، والنساء أمام نوح الكيّ او موقد الطهي

وقد خرج الدكتور بنديكت من هذه المباحث ، بأن الرجل العنيّ بعمل كتابي يحتاج الى ٢٥٠٠ وحدة حرارية في النهار، لتجهزه بالطاقة اللازمة لاعمال جسمهِ الاساسية بحيث يستطيع ان يمضي في عملهِ ، اما حاجة البان البدويين فاكبر . فالفلاح يحتاج الى ٣٥٠٠ وحدة حرارية على المتوسط ، والحطاب الى ٧٠٠٠ ومحترف السباق بالدجلة (الدرّاجة) الى ١٠٠٠٠ في يوم سباق

واذا كانت اعمال الجسم تحتاج الى الطاقة هذا الاحتياج الظاهر ، فاذا يقال في اعمال العقل ؟ ان العالم الذي يشتغل بحل معضلة رياضية معقدة ، او الطالب الذي يقضي ثلاث ساعات في الاجابة عن اسئلة امتحان صعب ، او السياسي الذي يقضي ساعات في مؤتمر يعالج مشكلات دقيقة تقتضي العناية بالبدأ ويلازم الحكم فيها تبعة كبيرة — من من هؤلاء لا يخرج من عملهِ وهو يحسّ انهُ منهوك القوى ، خابي النشاط ؟ ليس ثمة ريب في ان اعمال العقل ، تورث صاحبه تعباً كأعمال العضلات

فاذا صحّ ذلك ، فما مقادير الطاقة المختلفة التي يحتاج اليها المرء ، في اعمالهِ العقلية المختلفة ؟ واذا كان الموظف في مكتب هذه المجلة يحتاج الى ٢٥٠٠ وحدة حرارية ، ليتمكن من القيام بالاعمال العادية المطلوبة منهُ فما المقدار الاضافي من الطاقة الذي يحتاج اليهِ ، اذا عهد اليهِ في معالجة مشكلة معقدة مع احد الوكلاء ؟ هذه هي المسألة التي عرض لها الاستاذ بنديكت في التجربة التالية

اختار الباحث — وكانت زوجهُ تساعدهُ — سيدة وستة رجال لتجربة التجارب فيهم . كانت السيدة قد احترفت مراجعة الحسابات . وكان خمسة من الرجال من خريجي الجامعات وكان اثنان منهم من اصحاب المناصب العالية في معاهد التعليم . فالمفروض فيهم انهم جميعاً مدربون على الاشغال العقلية . وكانوا جميعاً متمتعين بالصحة الكاملة

جرى البحث خلال ايام متوالية في الصباح . ففي الساعة ٣٠ : ٨ كانوا يفدون على مقر التجربة من دون ان يتناولوا طعام الفطور ذلك لانهُ عندما يدخل الطعام المعدة ينشأ التفاعل الكيمياوي في الجسم من تلقاء نفسه ، لان عملية الهضم تحتاج الى طاقة . فاجتنابًا لذلك تلوا جميعًا ان يصوموا كلّ يوم حتى الظهر اي حتى تنتهي تجربة ذلك اليوم

عند وصولهم كان كلٌّ منهم يلبس تلك الخوذة الخاصة بقياس النشاط الجسماني ، عن طريق الاوكسجين الذي يستهلك وثاني اكسيد الكربون الذي يزفر والحرارة التي تشعّ . وتبقى الخوذة على رأس كلٍّ منهم من ثلاث ساعات الى اربع ساعات متوالية ، ولكن الفترات التي يطلب اليهم فيها بذل نشاط عقلي كانت لا تزيد على ربع ساعة كل مرة بينها فترات للراحة

اما التجربة فكانت كما يلي : يجلس الرجل — او السيدة — في وضع يقتضي من جسمه اقل جهد عضليّ ، ويحتفظ بهذا الوضع في اثناء التجربة . والغرض من ذلك اجتناب كل ما يتطلب من الجسم انفاق طاقة خاصة لغرض جسماني . واذ يكون الرجل في هذا الوضع المريح ، ولا شيء يشغل عقلهُ ، يقاس ما يستهلكه من الطاقة . ثم يطلب اليه ان يحلّ مسألة رياضية . وفي اثناء اشتغاله بحلّها يقاس كذلك ما يستهلكهُ من الطاقة . والمسألة الحسابية الغالبة كانت ضرب عدد مؤلف من رقمين في آخر مؤلف من رقمين ، كضرب ٣٧ في ٢٩

ولم يسمح لاحد باستعمال ورقٍ وقلمٍ ، لان استعمالها يقتضي استعمال عضلات الاصابع والذراع ، فيختلط النشاط العضلي الناشيء عن الكتابة بالنشاط العقلي الناشيء عن التفكير في حل المسألة ، وتضطرب النتيجة . فاذا حلّت المسألة وأراد صاحبها ان يعلنها كلاماً ، اضطرّ الى تحريك الشفتين وعضلات الفكين ، وهذا يقتضي انفاق الطاقة العضلية كذلك ، ولذلك اتفق المجرّبان مع السيدة والرجال الستة على انهُ اذا انتهى احدهم من حلّ المسألة لمس زرًّا كهربائيًّا دقيق الاحساس في متناول سبابته بحيث يكون اللمس نتيجة لاقل حركة ممكنة من حركات السبابة ، فيعلم المجرّب ان المسألة قد حلّت ولا حاجة الى اعلان النتيجة فيكتفي باشارة كلٍّ منهم انهُ حلّها وكلهم ممن يعتمد عليهِ ويوثق بهِ

فاذا انقضت تجربة الصباح ، شعر كلٌّ من هؤلاء أنهُ متعب جدًّا ، معتقداً ان التحطيب او كنس الشوارع أهون على الجسم من بضع ساعات من النشاط العقلي

ولكن مع ذلك ، لم تدل الاجهزة على ان أجسام هؤلاء القوم أنفقت من الطاقة في حالة النشاط العقلي أكثر مما كانت تنفقهُ في حالة الراحة العقلية الاّ يسيراً جدًّا . اذ لم تبلغ الزيادة في استهلاك الاوكسجين الاّ ثلاثة أو أربعة في المائة . يقابل هذا انهُ في أثناء الاشتغال بالمسألة الحسابية ، زاد نشاط القلب والرئتين ، والاستاذ بنديكت يعتقد ان هذه الزيادة تفسر الزيادة في

المستهلك من الاوكسجين . فانهُ يقول ، ان تجربتهُ لم تدل على ان النشاط العقلي يقتضي انفاق طاقة جسمانية ، كما تقتضيهِ كل حركة من حركات الجسم ، حتى اختلاج الجفن

حق اذا سلمنا بان هذه الزيادة في ما استهلك من الاوكسجين نشأت عن النشاط العقلي ، كانت زيادة لا تذكر لانها تمثل أربع وحدات حرارية في الساعة ، وهو مقدار من الطاقة يستخرجهُ الجسم من اكل قلقة حبة من الفول السوداني

ولكن اذا حسبنا حساباً لعدد الخلايا التي يشملها النشاط العقلي الخاص بحل هذه المسألة الحسابية بالقياس الى خلايا الجسم ، كانت الطاقة المستخرجة من قلقة حبة من الفول السوداني شيئاً كبيراً . فقد كتب الفسيولوجي النمسوي الدكتور ارنولد دوريج Durig الى الاستاذ بنديكت ، ان عدد الخلايا الدماغية التي شملها النشاط العقلي في حل هذه المسألة الحسابية لا يزيد وزنها على سبعة جرامات وهو جزء من عشرة آلاف جزء من وزن جسم الانسان اذ حسبنا ان وزنهُ يبلغ سبعين كيلوغراماً . فاذا كان هذا الجزء الصغير من جسم الانسان يسبب زيادة قدرها ٣ — ٤ في المائة في نشاطهِ الحيوي ، فيجب ان يكون نشاط خلايا الدماغ أشدَّ وأعظم من نشاط سائر خلايا الجسم

بل يصحُّ ان نقول ونحن واثقين ان النشاط العقلي يقتضي تمثيلاً جسمانيًّا لان كلّ ما يمنع وصول مقادير كافية من الدم الى الدماغ وما يحمله من أوكسجين وسكر وغيرهما ، يظهر اثرهُ في اضطراب العقل . وقد جرب السر جوزف باركروفت الانكليزي تجربة بنفسهِ تدور حول هذا الموضوع فأقام في حجرة محكمة الاقفال عشرين دقيقة بعد ان جعل مقدار ثاني أكسيد الكربون في هوائها اكثر من ٧ في المائة قليلاً اي انهُ كان في خلال التجربة يستنشق هواء فيهِ من هذا الغاز اكثر من المقدار السويّ ، فما لبث حتى ظهرت عليهِ أعراض الاعياء العقلي اذ أصبح عاجزاً عن حصر فكره او الاصغاء الى حديث ما بغير جهد . واذا تناول صحيفة لمطالعتها عجز عن قراءة أكثر من أربعة أسطر او خمسة ، من خبر ثانه ، ثم ينتقل الى غيره من دون ان يتم مطالعة خبر ما . وقد لازمهُ هذا العجز يومين بعد التجربة . وهو على حدّ قوله ، ضعف يصيب قوى الدماغ العليا . وجرب تجربة أخرى جعل فيها مقدار ثاني أكسيد الكربون في الهواء اكثر من عشرة في المائة ، ولم يلبث في الحجرة أكثر من خمس دقائق وخرج وهو يكاد لا يعي . والنتيجة التي خلص اليها باركروفت ان الافكار القدرة على حلّ المعادلات الرياضية العالية او تقدير الموسيقى الممتازة جميعها مرتبطة بنموذج طبيعي كيماوي يتشوش اذا كان في محيط تتابهُ اضطرابات عنيفة

هذا النموذج الطبيعي الكيماوي يتصف بخواص كهربائية . ففي الدماغ مناطق معرضة تعرضاً مستمرًّا لتغير مستواها الكهربائي . فاذا اختلف المستوى الكهربائي بين مناطق مختلفة من الدماغ

افضى ذلك الى تيارات كهربائية . وقد تمكن العلماء من عهد قريب ان يثبتوا طبيعة هذه التيارات فأسفر ما تبينوه عن ان طاقة الدماغ دائمة التغير

اكتشفت ظاهرة النشاط الكهربائي في أدمغة الحيوانات سنة ١٨٧٥ ولكن دراستها دراسة منتظمة ترتدُّ الى سنة ١٩٢٩. ففي تلك السنة اخذ العالم الالماني هانس برجر — وهو من المتوفرين على دراسة الاعصاب في جامعة يينا — سلكين ووصلهما على صدغي رجل ووصلهما بأنبوب مفرغ يقوي التيارات الكهربائية الضعيفة ويضخمها ، فوجد ان التيارات المتطنقة من الجمجمة بعد تضخيمها يمكن ان تدوّن بريشة على لوحة مناسبة ، فتبدو لها حركة موجية منتظمة معقدة ، فيها أمواج متشابهة ارتفاعاً وسمة تتوالى عشراً في كل ثانية فدعاها برجر « أمواج ألفا » وثمة أمواج أسرع تواليا وأقل اتساقاً دعاها « امواج بيتا » ووجد غيره نبضات أخرى ، غير منتظمة الطول والاتساق

الموضوع لا يزال جديداً ، واذا كان هناك نموذج منتظم لحركة الدماغ الكهربائية ، فهذا النموذج معقد جدًّا . ولكن اكتشاف جهاز يمكن الباحثين من قياس الاستجابة لحركة الدماغ في حالي الراحة والنشاط شجع على البحث ، ولذلك قلما تفتح مجلة علمية الا ونرى فيها بأ خطوة جديدة او تحقيق جديد في هذا الموضوع من أدريان في جامعة كمبردج او من فيشر وكورنوملر في جامعة برلين ، او من جامعات يرون وهارفرد في اميركا . وهذا على سبيل التمثيل فقط

والراجح عند الباحثين أن هذه التيارات التي تضخم وتدون صورة أمواجها ، تنشأ في قشرة الدماغ ، وهي المادة السنجابية ، التي تتركز فيها اعمال التفكير المبدع . هذه المادة السنجابية قوامها اجسام الخلايا العصبية ، وقد استغرق نشؤها من الاجهزة العصبية البسيطة في الحيوانات الدنيا عشرين مليوناً من السنين على رأي جدسن هريك الاستاذ بجامعة شيكاغو . ان مراتب تطورها معروفة بوجهٍ عام . ولكن كيف تمّ فيها عجائب التفكير المبدع ، في العلوم والفلسفة وغيرها ، لا يزال محجباً بستار الجهل . الا ان الأجهزة الجديدة — ولا سيما جهاز برجر — قد تفضي الى تقدم خطير في فسيولوجية الجهاز العصبي ، على نحو ما تمّ من التقدم في دراسة التشريح بعد إكتشاف المجهر (الميكرسكوب)

على ان بين هذا الجهاز (واسمه العلمي «الكترو انسيفالوجراف» اي مصورة الدماغ الكهربائية) يختلف اختلافاً اساسيا عن المجهر . فالمجهر لا يمكن الباحث الا من دراسة مجموعة صغيرة من الخلايا منتزعة من النسيج ومصبوغة بصبغ قد يطفىء شرارة الحياة فيها ، ولكن مصورة الدماغ الكهربائية تمكن الباحث من تناول العضو او الكائن الحيّ جملة واحدة من دون ان تعرقل عمله المألوف واساليب حياته السوية . بل لا يلزمُ في استعمالها ثقب الجلد . وقد اصبحت الاجهزة

الحديثة دقيقة الاحساس ، بحيث اذا وضعت قطبيها الكهربائيين على منطقتين مختلفتين من فروة الرأس استطعت ان تبين تياراً كهربائيًا جارياً في الدماغ من منطقة مستواها الكهربائي عالٍ الى اخرى مستواها الكهربائي منخفض . والتجربة تتم من دون ازعاج مَن تجرب فيه . بل انهُ اذا ازعج ظهرت آثار ازعاجه في صورة التيار الكهربائي الذي يتبينهُ هذا الجهاز ويصوره

وقد صنعت حجرة خاصة في احد معامل جامعة هارفرد لذلك . وضع فيها مقعد وثير ، يستلقي عليه المرء ، ولا تجرب التجربة فيه الاّ بعد ان يستلقي مرة او مرتين على هذا المقعد ويتعرف ما حواليه حتى اذا جربت التجربة كان مستريح الجسم والبال من كل ناحية . وهذا ضروري : لان صورة التيار الكهربائي الصادر من دماغه والملتقط من فروته ، تختلف في النوم عنهُ في اليقظة ، وفي الاضطراب او انشغال البال عنهُ في الراحة . فاذا استلقى المرء على هذا المقعد وضع القطبان الكهربائيان ملاصقين لفروته ، ويمتدّ منهما سلكان الى سلسلة من مضخمات التيار ، ثم يحرك التيار المضخم ابرةً في جهاز خاص ترسم على شريط منساب ، امواجاً

في بدء التجربة يؤمر بأن يستلقي ويغمض عينيه وان لا يشغل عقله بشيء معين فترسم الريشة على الشريط ، امواجاً من انتظام معين ، ثم يؤمر بان يضرب رقم ١٨ في ١٢ مثلاً فلا يكاد يشرع في ذلك حتى يتغير انتظام الامواج ، هنا الامواج اقصر واسرع توالياً ، فكأن عقل الدماغ لقدرته الواعية عند التفكير في مسئلة معروضة عليه أثرت في التيار الصادر منهُ وقد دامت هذه الحالة بضع ثوان ، ثم اخذت صورة الامواج تعود الى ما كانت عليه في حالة الراحة . وبعد قليل اضطربت الابرة ثانية فقصرت الامواج واسرع توالبها كأن الدماغ عاد الى نشاطه . والواقع انهُ عاد الى نشاطه . ذلك ان الرجل الذي اجريت عليه هذه التجربة سئل في ذلك فقال انهُ بعد ان ضرب العددين ، استراح الى اتمام العمل ، ثم عاد فاضطرب اذ خطر لهُ ان الجواب قد يكون خاطئاً فأعاد الكرّة على عملية الضرب

وقد استعمل هذا الاسلوب للبحث في حالات مختلفة من حالات الوعي ، والنتائج العامة التي خلص اليها الباحثون ، ان انتظام « امواج الفا » ينقطع عندما يشتغل الدماغ بحل مسألة معينة وعندما يؤمر المرء بان يتنبه وعند ما يفتح عينيه او تكون الحجرة مضاءة

وقد جربت تجارب اخرى ظهر منها ان « امواج الفا » تكون اشد وضوحاً عند ما يكون احد القطبين على القذال امام المركز الخاص من الدماغ الذي يتأثر برسائل عصب البصر ، فكأن « امواج الفا » هذه متصلة اتصالاً بما يفهم بعد بالبصر

[البحث تتمة للبحث الذي تناول فيه ما يتعلق بظاهرات الدماغ الكهربائية خلال النوم وتأثير التعب العام ومخدراتها]

أتصير سهم أجل الرقي غبارا ؟

خطرة شعرية فلسفية للمرحوم

الدكتور يعقوب صروف

ما الحياة ؟ أين كان الاحياء قبلما ولدوا والى اين يمضون بعد ما يموتون ؟ وما الحكمة في هذا الخلق ؟ لماذا يولد مائة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الا اثنان من اولادها اشدها وتثمر الشجرة الوفا من الاثمار قبلما يتفق لاحدى بزورها ان تنبت وتخلف نسلاً . وعلى م تظهر الازهار والرياحين في الغابات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتمتع بها ذوق حيوان

يحيلك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كل حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياء بنوع عام . يقول لك ان قوى الطبيعة وميكروباتها تجتمع على عناصر الجماد فتحللها وتركبها وتجعلها غذاء للنبات فينموها ويصير غذاء للحيوان . وكلما سقطت ورقة او نبتت شجرة اقبلت عليها الميكروبات فحللتها وأعادتها الى التراب غذاء لما يخلفها . وكلما مات حيوان انحلّ جسمهُ وعاد الى الارض والهواء غذاء للنبات وان لم يمت أكلهُ غيرهُ من الحيوان غذاء لهُ . وانواع النبات والحيوان ترتقي جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر بحسب النواميس الطبيعية القاضية ببقاء الأصلح للبقاء . والانسان غير مستثنى من ذلك بل تجري عليهِ نواميس الطبيعة كما تجري على غيره . يولد معرّضاً للآفات الطبيعية فتتغلب عليهِ أو يتغلب عليها ويموت من غير نسل او يخلف نسلاً وتتوالى الاعقاب والاحقاب والارتقاء مستمرٌ وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم بهِ جزء من أجزاء هذا الرقي . هذه خلاصة أقوال العلماء الطبيعيين. فهل كشفت النطاء عن سر الوجود وازاحة الستار عن معنى الحياة ؟

وقف كاتب هذه السطور عند هذا الحد وأطلق للخيال العنان فلم يرَ أمامهُ الاّ ظلاماً دامساً فارتدّ على نفسهِ وهو يقول

عضّت اليراع سآمةً وفرارا ... من بادرات تلجم الأفكارا
وخرجت في ليل كأن نجومهُ ... احداق نصفور أصابت نارا
حيث الجزيرة لا أرى لي مؤنساً ... والنيل حولي لا يزيل أوارا
حتى بدا نور الصباح فشتهُ ... نور الهدى فأتيتهُ محضارا
وطلبت عن هذا الوجود وسره ... كشفاً يزيح عن الوجود ستارا
فأجابني سرُّ الوجود صحيفة ... طويت فظلت السر امست عثارا

فتشتُ عن سرّ الوجود وقصده وسألت عنهُ النطس والاحبارا
طافتْ ما كتبوا فما من مقنع وكتبت ما قالوا فلست اماري
اسماك هذا النيل لا تخفى وفي تاريخهُ قد حازت الادهارا
عاشت ومانت بين حبّ او قلى تحنو وتقسو لاهوًى لا ثارا
حرباً وسلماً واعتداء واحتكا ما لا تزى منها لها انصارا
وطوائف الاحياء بين وصفها قسّ البيان وعدُّها المقدارا
من مثل مكروب حقير لا يرى او مثل مُمساح طوى الانهارا
والنيل قُلّ ما شئت في تعظيمه نهر جرى كي يدرك الابحارا
لو الف نيل جُمّعت ما ماثلت من اوقيانوس واحد معشارا
بحر خضمّ والخلائق ملتهُ تبغي البقا والى الفنا تتبارى
كانت كذلك في العصور الغابرات المبقيات على الصفا آثارا
منها تولّدت الصخور وطالما قلب غدا صخراً ومهد قارا
والطير في انواعها وضروبها سامت ذكاءً تحلّقاً ومطارا
اسرابها تغدو وتقطع رُحّلاً خوف الردى والى الردى تتجارى
ونبات هذي الارض من أرز الى زوفا يبيد وان يعش اعصارا
فعلى مَ هذا الخلق ان كان الفناء مصيره والناس فيه توارى ؟

فأجابني ذِكر حقّ قائلاً اسمع وقل قولي «امنتُ عثارا»
هذي الخلائق كلهنّ دقائقٌ والكون من مجموعها قد صارا
والفرد فيها ليس من مجموعها الاّ حياة او تذكّى نهارا
ورقيّ هذا الكون يستدعي — اندثار دقائق ونقاية وبوارا
هذي تعاليم الفلاسفة الاولى جعلوا دجى الليل البهيم نهارا

أتموت في سبل الرقيّ ضحيةً ؟ ولصبر من اجل الرقيّ غبارا ؟
نورَ الخلائق مصدر النور الذي يهدي السكوا كب في السماء منارا
ان لم تقر عقل ابن آدم لم يجد نور الهدى بل زاد عنك فرارا
فاهدِ ايا نور البصائر مبشراً تحذوا الحقيقة خلةً وشعارا
الضوا عوامل عقلهم فتثلمت واستوفوا المبنى فزاد فرارا
ظُلَمٌ ونور العقل قصر عن هدًى وبغير نورك لا نشيم منارا

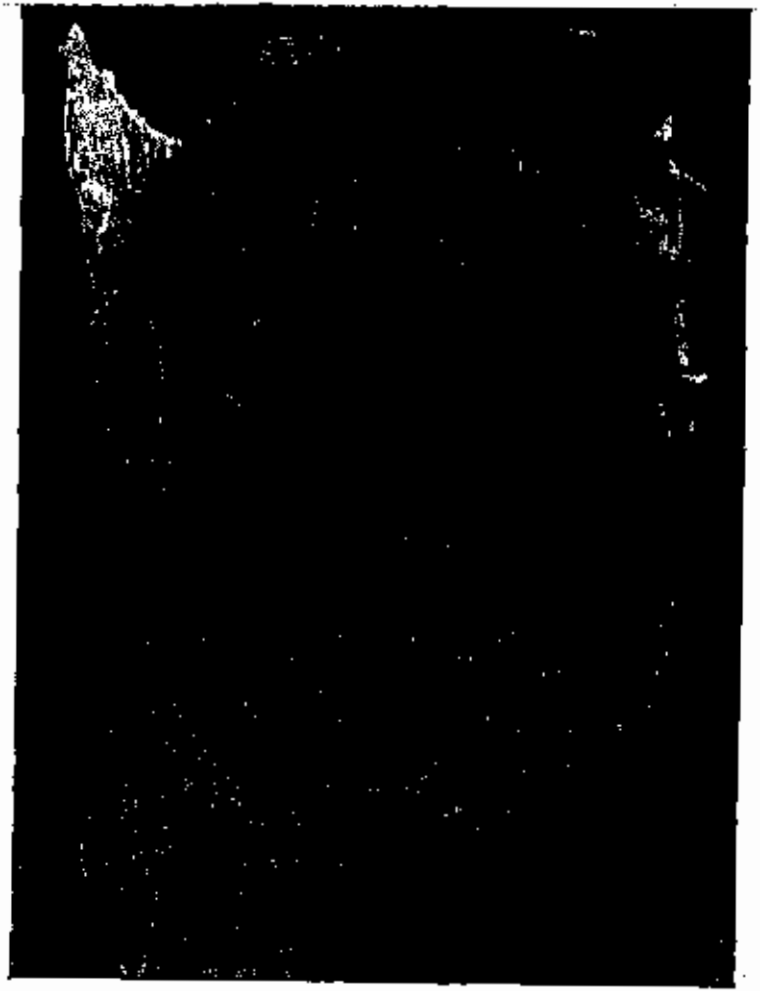

قطعة من نسيج غليظ أبيض عليها بالاسود رسم نباتي من عهد
احمد بن طولون (٢٥٤هـ — ٨٦٨ م)

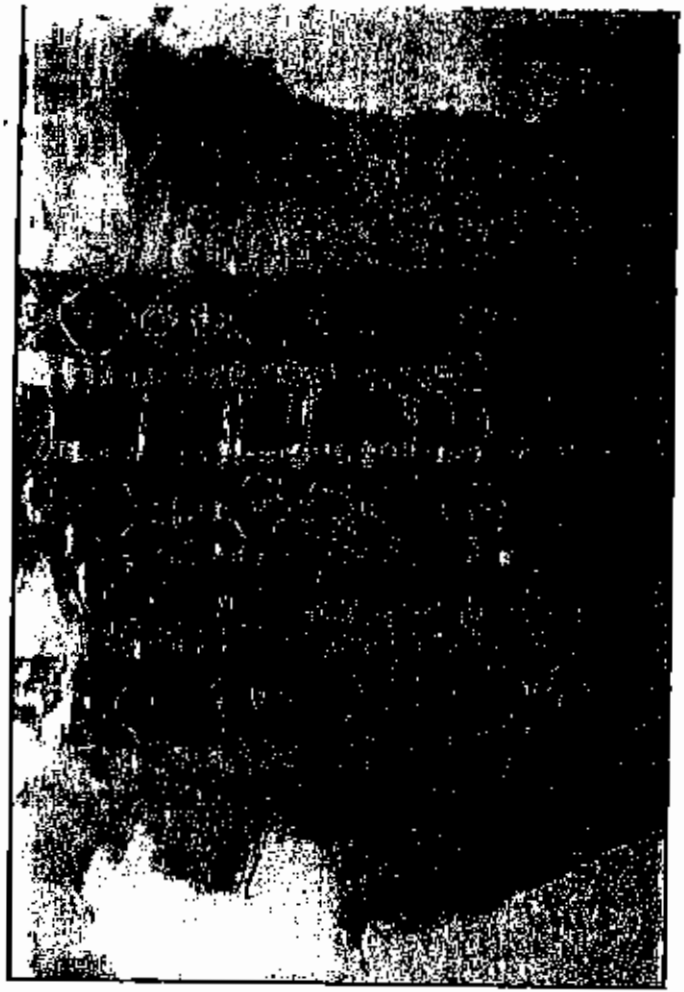

قطعة من الكتان باسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ٤٢٧—٤٨٧هـ
(١٠٣٥—١٠٩٤م) بها جامات معينة الشكل—بكل جامة طائران متقابلان
بألوان مختلفة من أحمر وأصفر وأزرق وأسود وفي الوسط سطران من الكتابة الكوفية

المنسوجات الأثرية

في مصر الإسلامية

ملخص بحث بالفرنسية للأستاذ جاستون فييت
مدير دار الآثار العربية بالقاهرة
نقله محمد عبد العزيز خريج معهد الآثار الإسلامية بالجامعة المصرية

لم يحاول العرب ، منذ أن استقر بهم المقام في مصر ، تغيير مجرى الحياة في البلاد إلا قليلاً ولم يكن ما أجروه فيها من التغيير إلا وليد الظروف التي أحاطت بهم ، بل ولم يأت هذا التغيير دفعة واحدة وإنما كان تدريجيًا طبقاً لما اقتضته طبيعة الأشياء من ضرورة إجراء بعض التغييرات التي كان لا بد لهم من إدخالها

ولقد رأوا بثاقب نظرهم ، وحسن تقديرهم للأمور أنه أجدى عليهم أن يثبتوا أركان النظم البيزنطية التي كانت سائدة في جميع نواحي الحياة تقريباً وقت الفتح من أن يكدوا أذهانهم في استنباط نظام جديد

وهذا فالفتح العربي لمصر لم يقطع في الواقع ، سلسلة التقدم في حياتها الاقتصادية أو نهضتها الصناعية ، بل لقد احتفظت مصر تحت ظل العرب بتلك المكانة التي أحرزتها من وراء موقعها الجغرافي الفذ وبما كان لها من منتجات خاصة اكتسبتها شهرة عالمية وكفلت لها مقاماً ممتازاً بين الأمم القديمة

وقديماً ازدهرت صناعة النسيج في مصر ، وعرف العرب المنسوجات المصرية وأعجبوا بها ، وكانت لها في أياديهم شهرة واسعة ، بل واتخذوها رمزاً لدقة الصنع ونقاء البياض

ويحدثنا المقريزي ، فيما يحدثنا به ، عن تلك الهدية الثمينة التي بعث بها المقوقس الى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا من بينها قماش منسوج في مصر وقد استعمل فيما بعد في تكفين جثته الطاهرة

وعلى الرغم من أن صناعة النسيج من أهم الصناعات التي يتجلى فيها الترف بكل معناه ، فلم يحاول الإسلام قط العمل على الحط من شأنها أو الرجوع بها الى حالتها الأولى من البداوة ، بل إن التقاليد الإسلامية نفسها كانت في الواقع أكبر معين على بلوغ تلك الصناعة تحت ظل المسلمين درجة من الكمال فلما نجدها مثلة في ناحية أخرى من نواحي الفن الإسلامي . إذ كاد الخلفاء جميعاً أن يضمنوا لمصر احتكار نسيج كسوة الكعبة الشريفة مما عاون على تطور هذه الصناعة ، وكان من شأنه أن يكفل لها اضطراد التقدم والرقي

ولقد استمر صناع النسيج المصريون في العصر الاسلامي على ما كانوا عليه من قبل من استلهام التقليدات القديمة في هذا الفن شأنهم في ذلك كشأنهم في جميع الفنون الاخرى ذلك لأن العرب لم تكن لهم تقاليد فنية في هذا المجال، وكان كل ما عرفوه في فارس والشام من تلك التقاليد مرفوضاً فعلاً لدى المصريين، اذ كان الفن القبطي — والاسلام لم يغير فيه من شيء — مشرّباً بالكثير من تلك التأثيرات الفنية ولا سيما الساسانية منها

على ان مصر وان كانت قد استعارت من فنون الامم الاخرى الشيء الكثير، فان هذا ما منعها قط من ان تهضم ما استعارته، وتمثله جيداً، ثم تخرجه لنا فناً مصرياً خالصاً يبهرك بروائه ويستحوذ عليك بجماله ويرغمك على ان تقر له بمصريته. فللاقمشة الأثرية المنسوجة في مصر مميزات عامة ولها طابع خاص بها ناطق بانتمائها الى اصل واحد. حتى انهُ ليكاد يصح من اليسير علينا بعد خبرة قصيرة أن نتعرف عليها بسهولة وان لا نخلط بينها وبين الاقمشة الفارسية او البيزنطية او الاندلسية

ولكن اذا التبس علينا الامر، وعجزنا عن التمييز فثمة ملجأ أمين لنا يهدينا سواء السبيل هو تلك الكتابات التقليدية ذات الصيغ التي لا تكاد تختلف في قطعة عن الاخرى، والتي تفشي لنا سر أصلها، وتهدينا الى مكان صنعها، ثم استقصاء تلك الاشكال الزخرفية المختلفة التي كانت شائعة في عصر دون سواه. فالكتابة من ناحية والزخارف من ناحية اخرى هما في الواقع الهاديان لنا في دراسة هذه الاقمشة التاريخية

ولعل أول ما يصادفنا من الصعوبات في بحثنا هذا هو التعرف بسهولة على الاقمشة التي ترجع في تاريخها الى القرنين الاولين من الهجرة، وترتيبها ترتيباً علمياً صحيحاً. وليس هناك من شك في ان ذلك راجع الى ما تمتاز به الشرق منذ القدم من حبه للترف والابهة، والى ما عرف عن الاسلام من التسامح في كل ما يتصل بمناهج الحياة ومتعها ما دامت لا تتعارض مع احكام الدين في شيء، فهو عند ما اشرق بنوره على الوجود، لم يحاول اضعاف حب الترف في النفوس او القضاء عليه بل لقد احتضن الفنون وشجعها ونفث فيها من لدنه روحاً جديدة تجلت لنا فيما بعد في أبهى الصور وأجملها. على اننا يجب ان لا ننسى أن للدين الجديد — مهما بلغ من تسامحه — تقاليده الخاصة، ولمعتنقيه اذواقهم، وان التطور من الذوق القديم الى الذوق الجديد امرٌ يفتقر الى زمن ليس بالقصير، ومن هنا نشأت صعوبة التمييز بين الاقمشة القبطية التي نسجت قبل الفتح الاسلامي وبين تلك التي اخرجتها لنا المصانع في القرنين الاولين بعد الفتح

وكثيراً ما تقع بين ايدينا قطع ليس لها في الواقع قيمة فنية حقيقية وانما يكاد ينحصر شأنها فيما تحتويه من كتابة ليس من اليسير قراءتها واليها تتجهُ جميع مجهوداتنا

حقاً ان هذه الكتابات تجمع بين النقيضين: لها مساوىء لا تنكر، ولها مزايا لا يستهان بها.

فلطالما استعصت علينا وقاومت كل محاولة لقراءتها بسرعة ، ودفعتنا الى تلمس المعنى الذي تخفيه وراء حروفها المعقدة تلمساً ، ولكنها بعد أن تسترف من مجهودنا قدراً ليس بالقليل ، تأخذها الشفقة علينا ، فتكشف لنا عن مكنون سرها ، وتميط اللثام عن أحاجيها ، فاذا هي تقدم لنا من المعلومات القيمة ما يثلج صدورنا ، وينسينا ما لاقيناه في سبيل قراءتها من عناء . قد تكشف لنا عن اسم خليفة او وزير او أمير أو مصنع او تاريخ او عن هذه جميعها . ولا اخالك تنكر ما لهذه الامور الجوهرية من القيمة التاريخية العظيمة ، او تستصغر شأن تلك السجلات الصادقة التي تطلعنا على الكثير من اسرار صناعة النسيج في مصر في العصور الوسطى ، والتي تحقق لنا الى حد كبير ، ما نقله الينا مؤرخو المسلمين من صناعة النسيج ومراكزها ، وعناية الامراء بها

ولقد كان لتلك الكتابات في بادىء الامر معنىً اقتصاديٌّ ، اذ كان الغرض الاول منها ضبط ما تخرجهُ المصانع المختلفة ، وتحقيق رقابة الحكومة على تلك الصناعة ، ثم صار لها فيما بعد معنىً سياسيٌّ ، اذ اصبحت كتابة الاسم على الاقمشة ، من شعائر الخلافة كذكر الاسم في الخطبة وكتابته على السكة . على ان هذه الكتابات أيًّا كان مبناها ومغزاها ، قد تطورت في شكلها بمضي الزمن تطوراً مدهشاً ، ففقدت معانيها الاقتصادية ، والسياسية ، وصارت ترسم بدافع التجميل ، أي أنها اصبحت عاملاً هامًّا من عوامل الجمال الفني فحسب ، تماثل معاملة الزخارف المختلفة ، شأنها في ذلك شأن الزخارف الحيوانية الساسانية ، التي كانت ترسم في أول امرها الى معانٍ خاصة ، ثم فقدت هذه المعاني عندما صار الصناع من الفرس يشتغلون للامراء المسلمين ، وأخذوا يختارون من بين تلك الزخارف الحيوانية ، ما نال رضاء هؤلاء الامراء ، وصاروا يكررونها دون نظر الى ما كانت تؤديه من معنىً سابق . وشأن الكتابة الكوفية ، عندما اعتبرها فنانو الغرب عنصراً من عناصر الزخرفة ، وأخذوا يستعملونها دون ادراك لمعناها

ولقد عظم شأنها من هذه الناحية شيئاً فشيئاً ، حتى وصلت الى درجة عظيمة من الاتقان ، وصارت تجلي على الناظر صوراً من الفخامة والبهاء ما كانت لها من قبل ، مما يدل دلالة واضحة على مدى تلك القدرة الفنية العظيمة ، التي بلغها العرب في هذا المجال . فكم من قطع قد سحرتنا بجمال كتابتها ، وبهرتنا بتناسق حروفها ، حتى انهُ ليخيل الينا ، ونحن نجيل النظر فيها ، كأنما حروفها تسير في مختالة فخورة عليها سيماء الوقار والجلال ، في موكب حافل يبعث الروعة في النفوس ، وكأنما سيفانها ، وأقواسها ، قد رسمتها يد فنان ماهر أطلقت لهُ الحرية ليفكر ويتفنن

وما كان المعاصرون أنفسهم أقل تأثراً بجمالها منا نحن الآن ، فالفواطم — ويعتبر عهدهم بحق العصر الذهبي للفن الاسلامي في مصر — قد أعجبوا بهذه الكتابات أيما اعجاب ، وقد كانت لها في أعينهم مكانة سامية لا تنكر ، الأمر الذي جعلهم ينسجونها على أقمشتهم ، على نفس

النسق الذي كان متبعاً في عهد العباسيين من قبلهم . ولقد كانت تنسج الكتابات التاريخية في أول الأمر بحروف صغيرة جداً ، بحرير أحمر أو أزرق أو اسود ، حتى اذا جاء الربع الثالث من القرن التاسع الميلادي ، كبر حجم الحروف قليلاً ، وازدادت سمكاتها طولاً ، وبدت الكتابة أشد وضوحاً مما كانت عليه قبلاً . واستمرت الكتابة تكبر حتى بدت في الربع الاول من القرن العاشر في أكبر حجم لها ، وصارلها مظهر فخم عظيم ، يكاد يخرجها عن دائرة الكتابة ليدخلها في دائرة الزخرفة . واستازت بميزة جديدة هي وجود سطرين من الكتابة أحدهما عكس الآخر

وتعتبر دار الآثار العربية في الوقت الحاضر أغنى متاحف العالم في المنسوجات ، ومجموعاتها الغنية تكوّن سلسلة تاريخية متماسكة الحلقات تمكن الباحث من دراسة الاقمشة الاسلامية ، وتطالعهُ على مدى التطور فيها ، وتحدد لهُ التوجيه الفني للذوق الاسلامي في تلك الصناعة ، ولعل أول ما يستوقف النظر من هذه المجموعة ، هو تلك القطعة التي تعتبر أقدم المنسوجات الاسلامية المؤرخة جميعاً ، اذ منسوج عليها بالخط الكوفي البسيط بحرير احمر : « هذه العمامة لسويد ابن موسى عملت في شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة ثمان وثمانين » (٧٠٧ م) وتحت هذه الكتابة شريط من زخارف ، بها جامات داخلها طيور تقليدية

فاذا تجاوز الدولة الاموية الى العصر الاول من الدولة العباسية ، وجد تلك القطعة المنسوجة بقسطاط مصر برسم الخليفة العباسي الامين بن هارون الرشيد ، الذي تولى الخلافة بين سنة ١٩٣ — ١٩٨ هـ (٨٠٩ — ٨١٣ م) والتي جمعت بين الزخرفة الهندسية الدقيقة ، ذات اللون الرمادي ، الناشئة عن تقاطع خطوط مستقيمة ، تخلف عنها جامات مرتبة بالسجام غاية في الدقة والمهارة ، وبين الكتابة التاريخية الهامة التي نصها : « بسم الله بركة من الله لعبد الله الامين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر بصنعهِ في طراز العامة بمصر على يد الفضل ابن الربيع مولى أمير المؤمنين » . فاذا انتهى بنا ذلك الى منتصف القرن الثالث ، شاهد ميلاد فن جديد ، مخالف كل المخالفة للفنون التي تقدمت عليه ، ذلك هو الفن الطولوني ، الذي هو في الحقيقة فن عراقي الاصل ، زرعهُ احمد بن طولون في هذه البلاد عند ما ولي أمرها

ولئن كانت الزخرفة تعين حقاً على تأريخ الآثار الفنية ، وارجاعها الى عصر من العصور ، فانما ذلك يتجلى لك بوضوح في الاقمشة الطولونية ، اذ الكثير من تلك الاقمشة يحوي زخارف تشبه تمام الشبه الزخارف التي نشاهدها على الآثار الجصية والخشبية للعصر الطولوني

وانهُ ليدهشك حقاً ، ان ترى العناصر الزخرفية التي على الجص أو الخشب من جدائل أو زخارف حلزونية أو غيرها ، ممثلة على الاقمشة أدق تمثيل وأحسنهُ ، بل ان مهارة النساج في

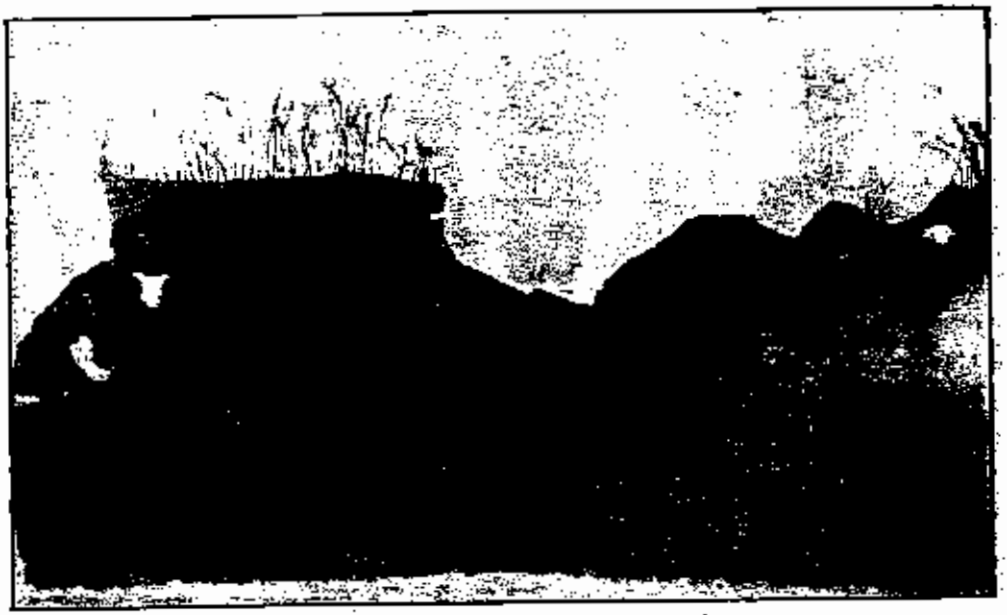

قطعة نسيج ابيض تام منسوج عليها بالخط الكوفي البسيط بحرير احمر (هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت في شهر رجب من الشهور الحمدية من سنة ثماني وثمانين ٤ ٧٠٧ م

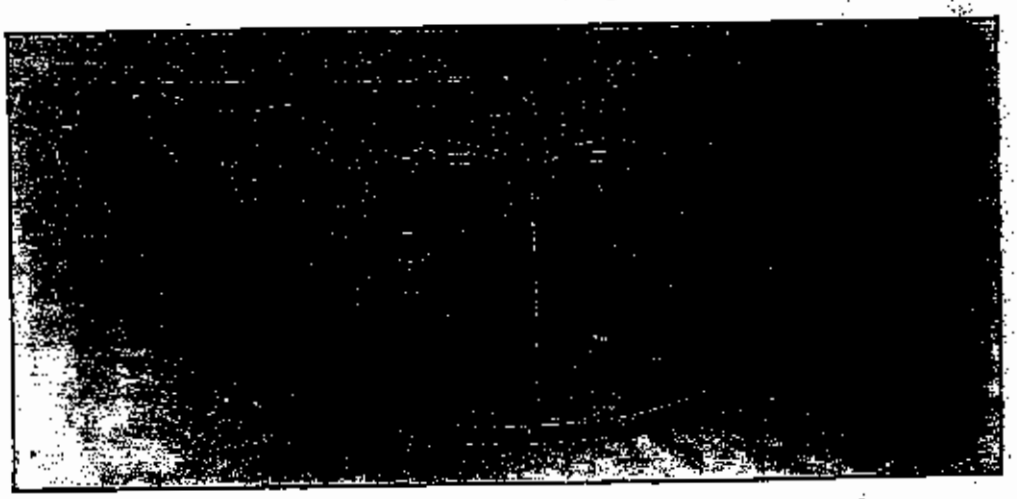

عباءة تتويج صنعت في مقلية في سنة ٥٢٨ هـ (١١٢٣م) للملك روجر الثاني وترى عليها في الوسط رسم نخلة يكتنفها من كل جانب صورة أسد يصرع جملا وبيأ للفتك به وهي مطرزة بخيوط ذهبية وحملاة بالآلى.

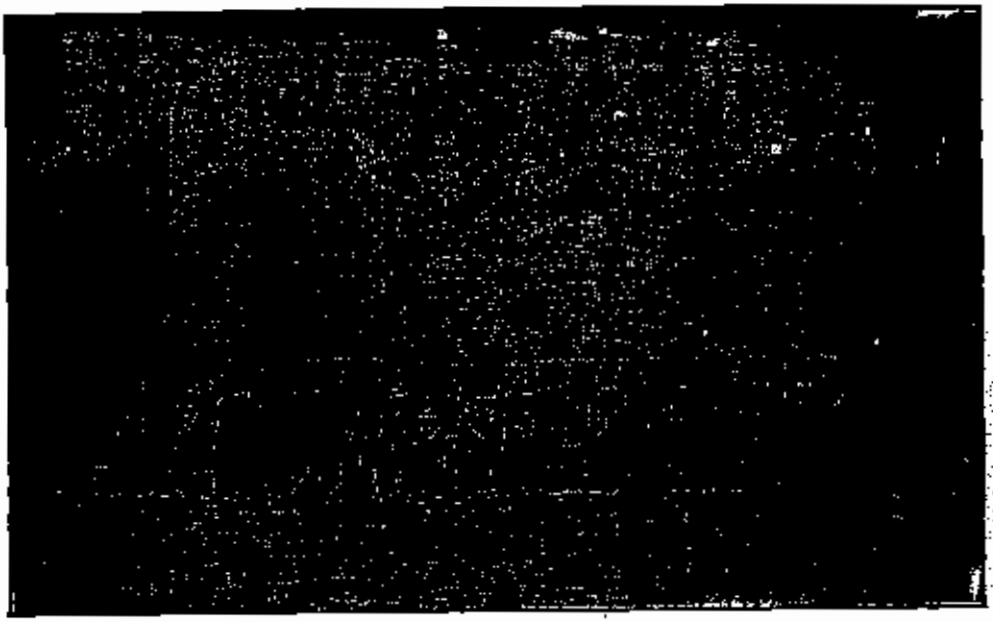

قطعة من كتان ابيض عليها « الامام الحاكم بامر الله لا اله الا الله المهدي حسين ان شاء الله والتوفيق بالله »

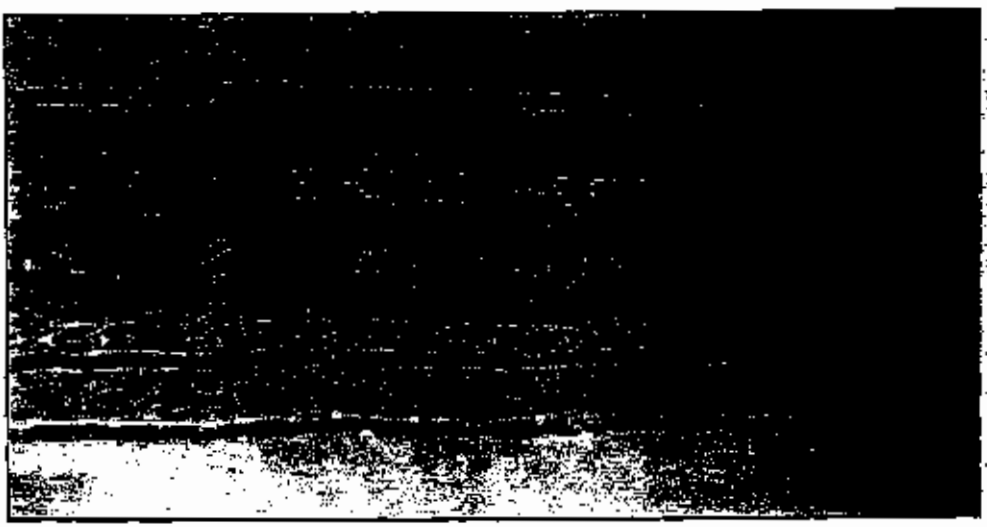

قطعة من السكتان ذات الوان كثيرة متوافقة بتتزج اللون الازرق والاسمر الزاهيان بالاصفر الصافي والاسود والاخضر الناضر وفي الوسط جمات بيضاوية الشكل ء بها صور ارانب بيض على ارضية حمراء
(القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي)

استعمال الالوان المتعددة ، ليجعل تلك الزخارف تبدو لك كأنها مخرمة او محفورة !

والواقع ان تلك الاقمشة الطولونية ، او بعبارة أخرى جميع آثار الفن الطولوني ، لتحدثك بنفسها عما كان عليه الفن في ذلك الوقت من القوة والفخامة ، وتدلك على أن فناني هذا العصر لم يتجروا الدقة والاناقة في آثارهم بقدر ما تجروا القوة في التعبير

واذا كان العصر الطولوني قد شاهد المحاولة الاولى لايجاد فن اسلامي خالص في البلاد ، فان العصر الفاطمي قد امتاز عليه بظهور ذلك الفن فعلاً في ايامه ، ووضوح شخصيته ، وليس هنالك من شك في ان الفن الفاطمي قد تفرد بأشكال زخرفية تبدو كأنها قد اخترعت لاول مرة أو على الاقل قد رتبت ترتيباً جديداً ، أو نسقت تنسيقاً لم يسبقها اليه فن من الفنون السابقة عليه ، والواقع ان هذا العصر هو العصر الذي ارتفع بالفن المصري الاسلامي الى الاوج ، وبلغت فيه البلاد من سمو الذوق ، ورقي الفن ، مبلغاً يعد بحق موضع الفخار

والاقمشة الفاطمية بزخارفها المدهشة ، والوانها الساحرة ، تدلنا دلالة واضحة على مدى ما بلغه فنانو العصر الفاطمي من الخبرة الواسعة بالاوضاع الزخرفية المختلفة ، والمقدرة الفائقة على تكوين الالوان ، وتركيبها ، ومزجها ، حتى انك لا تدري — وانت تتأمل هذه الاقمشة — أموضع السحر فيها جمال الزخرفة البالغ حد الاتقان أم الائتلاف والتناسق المدهش بين الالوان؟

ولقد يخيل للانسان ، وهو يجيل النظر بين تلك القطع الفنية الرائعة ، كأنما هو يقرأ قصيدة من روائع الشعر الغربي ، يجلو عليه فيها الشاعر صوراً من الحياة شتى ، بعضها آخذ برقاب بعض ، جاشت بها نفس الشاعر ، وبثها قريحته الوقادة . هذه الصور التي تجعلك تهيم في بيداء الخيال ، وتذوق لذة روحية عجيبة الى النفس ، والتي لا تكاد تتبين فيها اثر العلاقة بينها وبين موضوع القصيدة ، لا تلبث ان تراها تتداعى ، واحدة بعد اخرى ، عندما يقطع الشاعر هذه السلسلة من المناظر الجميلة ، ليدخل بك على موضوعه . كذلك الحال في تلك الاقمشة ذات الزخارف الرائعة فهي تجذبك لاول وهلة بجمالها ، وتسحرك بألوانها ، فاذا حللتها بدت لك أقل روعة من ذي قبل ، وأكثر تقليداً مما تظن . على ان ذلك كله لا يطعن في جمالها ، ولا ينقص من قيمتها كأثر فني خالد ، إذ هي قوية التأثير فينا ، لا قبل لنا بدفع ما تبثه في نفوسنا من تلك اللذة العجيبة

ولقد بلغ نساجو هذا العصر في رسم الحيوانات درجة من الاتقان لم يبلغها الحفارون على الخشب او البرنز ولم يصل اليها مزخرفو الجزف . اذ كانت تنسج تلك الحيوانات بخفة ورشاقة غاية في الدهشة ، وكما فقدت الحروف الهجائية شخصيتها بتوالي الزمن ، واصبحت خطاً مشوهاً لايمت بأي صلة الى الاصل الذي اشتقت منه ، كذلك هذه الحيوانات ، أخذت تفقد منذ منتصف القرن العاشر صورتها الاصلية ، وأصبحت زخرفة لا هيئة لها ولا اسلوب . وللاقمشة الفاطمية ،

على الرغم من اختلاف مظهرها العام، بميزات خاصة، تجعلنا لا نخطىء في التعرف عليها

فالكتابات التي عليها، كانت في بادىء الامر بحروف كوفية ذات سيقان طويلة، ثم اصبحنا نرى الجمع بين هذه الحروف والحروف الصغيرة. ثم صرنا نرى سطرين من الكتابة، احدهما عكس الآخر، او كتابة صغيرة، تزينها فروع نباتية. ومن ثم فقد وُجد للكوفي المشجر ميدان جديد، يبدي فيه جماله ورونقه، وهو هنا يختلف عن الكوفي المشجر الذي نراه على الابنية

اما الزخارف، فقد كانت تتحول من حسن الى أحسن، حتى بلغت من الاتقان درجة لا تبارى. وقد كانت تبدو في اشرطة موازية للكتابات، بها مبنيات او جامات من اشكال مختلفة داخلها حيوان واحد، او حيوانان متقابلان، او مول احدهما ظهره للآخر. ويلاحظ انهُ منذ القرن العاشر، ازدادت هذه الاشرطة اتساعاً، وكثر عددها عن ذي قبل

والواقع ان الاقمشة الفاطمية قد اشتهرت شهرة عظيمة، وذاع صيتها، وهي لا ريب تستحق هذه الشهرة عن جدارة واستحقاق، فالنساج المصريون، قد تفننوا في نسجها وزخرفتها مما يترك الانسان في حيرة من أمره لا يدري اي الاشياء أحق بالثناء والاعجاب، أهو نسيجها الدقيق، ومهارة النساج في ذلك؟ أم عبقرية الرسام فيما ابدعهُ، أم هذه الاشياء كلها مجتمعة؟

ولعل أجمل الاقمشة الفاطمية وأهمها هي ما نرجع في تاريخها الى القرن الحادي عشر، لان تلك الفترة، هي الفترة التي برهنت مصر فيها فعلاً، على أن فنانيها كانوا مبتكرة حقاً، بما انتجوه من تلك القطع الرائعة، ذات السحر الحلال. أما في نهاية هذا القرن، في الفترة التي وقعت فيها مصر تحت سيطرة الوزير الارمني بدر الجمالي وابنه الأفضل شاهنشاه، فقد بدأ اتجاه جديد في الزخرفة، بلغ اقصى ارتقائه في النصف الاول من القرن الثاني عشر، ذلك انهُ حل محل الجامات التي كانت سائدة من قبل، شبكة من الاشرطة، متداخلة بعضها في بعض، تبدو كأنها مرصعة بحشوات صغيرة، على هيئة مبنيات. ومن بوادر الدهش في هذه الزخرفة أنها تلوح كأنها بارزة وما هي بارزة، انما هو اللعب بالالوان، والمقدرة الفائقة على مزجها، وتوزيع الضوء بينها

نرى كيف قدّر لهذا الفن الذي اكتمل نموه، وبلغ أوجه، أن يضمحل؟ وهل ذلك راجع الى انهُ أخذ يرقى في سلم التطور والرقي حتى غرق في بحر طمي من الافراط والتكلف؟ أم هو راجع الى ان الفنانين أنفسهم قد ركبتهم روح من التقشف فهجروا تلك الطراوة المدهشة في الفن؟ أم ان هناك عوامل أخرى غير هذه قد تعجلت باضمحلاله؟

الواقع أن وقوف تقدم هذا الفن فجأة، يحمل على الكثير من التفكير، ويدعو الى البحث وراء الاسباب المعقدة التي كان من آثرها ان وصلت به الى ذلك الدرك

أيكون ذلك راجعاً الى الفوضى التي سادت في مصر في أواخر عهد الفاطميين، والتي كانت

نتيجة للنزاع المتواصل بين الوزراء المتنافسين . والصراع الدائم بين فرق الجند المختلفة ؟ لقد كانت مصر في حالة من الضعف أطمعت فيها الاحباب ، فتدخل نور الدين والفرنجة تدخلاً فعلياً في شؤونها ، وانتهى الأمر اخيراً بسقوط الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية . وكان من أثر ذلك كله ان تأخرت البلاد ، فمدينة تنيس مثلاً قد نهبت بين سنتي ١١٥٠ — ١١٩٠ م وهجرت سنة ١١٩٤م ثم اضمحلت سنة ١٢٢٧ م ، ودمياط قد احتلت مرتين وقضي على ما فيها من المصانع ، وكلتا المدينتين — كما تعلم — من المراكز الرئيسية لصناعة النسيج في مصر في العصور الوسطى . أم هو ناشيء عما كان بين الدولة المغلوبة والدولة الغالبة من الفروق التي لا سبيل الى انكارها ؟

لقد كان هم صلاح الدين الايوبي موزعاً بين الحروب وما يتصل بها من بناء القلاع والحصون ، وبين انشاء المدارس الدينية لاعلاء شأن المذهب السني ، ورفعه الى المكانة السامية التي كانت لهُ من قبل ، والقضاء على المذهب الشيعي وتطهير البلاد من اتباعه . ثم هو الى جانب هذا ، من غلاة السنيين ، عرف بالتمسك الشديد بأهداب الدين ، والوقوف عند حدوده ، زاهد في الحياة ولهيها ، كارهٌ للترف وأسبابه ، ما أثر عنهُ انهُ لبس الحرير قط ، بل كان يتخذ ملابسه من الكتان او القطن او الصوف ، وتلك حالة تناقض من غير شك ، ما كان عليه الخلفاء الفاطميون من الاقبال على الحياة ، والتمتع بكل أنواع الملذات فيها

أم هو بسبب تلك النهضة الفنية في صناعة النسيج ، التي قامت في المدن الايطالية ، والتي تجلت في ذلك الفيض العظيم من المنسوجات الفاخرة — التي لا تقل جمالاً واتقاناً عما كانت تخرجهُ المصانع المصرية من قبل — الذي غمرت به اسواق الشرق ، فجعل حكومة الايوبيين ترى انهُ من العبث العمل على انهاض مصانع النسيج التي شاخت واضمحلت لكي تنافس بها تلك المصانع الفنية

ولا يجب ان نغفل هنا ، ما كان لمصر من الفضل الاكبر في نهوض صناعة النسيج ، وتقدمها في تلك المدن الايطالية . ففي مصر وصلت تلك الصناعة الى ذروة الرقي — كما رأيت — ومنها انبعثت تلك النهضة الى صقلية ، حيث كان النساج المصريون يديرون المصانع في عاصمة تلك الجزيرة ، وما زلنا نذكر مهارتهم ، وحذقهم ، كلما رأينا ، او تذكرنا ، عباءة التتويج التي صنعت هناك خصيصاً للملك روجر الثاني ، والتي توارثها من بعده ، اباطرة الدولة الرومانية المقدسة ، وكانوا يلبسونها في حفلات التتويج ، والتي عليها كتابة كوفية منسوجة بخطوط ذهبية نصها : « مما عمل بالخزانة الملكية المسورة بالسعد والاجلال والكمال والطول والافضال والقبول والاقبال والسماحة والجلال والفخر والجمال وبلوغ الاماني والآمال وطيب الايام والليال بلا زوال ولا انتقال بالعز والدعاية والحفظ والحماية والسعد والسلامة والنصر والكفاية

عديدة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة (١). ومهما بالغنا في وصف دقة صنع هذه الصناعة وقوة تعبير زخرفتها وتناسق الوانها، فان الالفاظ عاجزة عن ان تعطيك فكرة واضحة عن جمالها وبهائها

وبين صقلية سرت تلك النهضة الى لوكا ، وفلورنسة ، والبندقية . فأخرجت مصانع تلك البلاد ، في اول الامر ، اقمشة قريبة الشبه جداً من المنسوجات المصرية لا تكاد تختلف عنها

أم هو ناتج مما عرف عن الخلفاء الفاطميين من التسامح ازاء المسيحية — ومعظم الصناع كانوا مسيحيين — فازدهر فن النسيج ، وارتقى حتى بلغ أوجه ، في القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم اضمحل عندما ضعف هؤلاء الخلفاء ، ومات عندما زال سلطانهم ؟

هذه العوامل المختلفة ، قد يكون واحد منها ، او تكون جميعها او بعضها سبباً في اصابة صناعة النسيج في مصر من الانحلال . ولا يجب ان يتبادر الى الذهن أن المقصود هنا هو صناعة النسيج بصفة عامة بل المراد هو النسيج الذي يتجلى فيه الفن بجماله

ولئن كان الايوبيون لم يبذلوا جهدهم ، لكي يمنعوا تدهور هذا الفن ، فان الذنب في الحقيقة واقع على الظروف التي احاطت بهم . وليس من العدل في شيء ان تتهمهم بعدائهم للفن ، لأن عمائرهم المتينة في سوريا ، واخشابهم الاثرية ذات الزخارف الباهرة ، واوانيهم النحاسية ذات النقوش الرائعة ، تشهد بما كان لهم من ذوق راق وذوق سام .

على ان هذا لا يمنعنا من ان نأسف على اضمحلال صناعة النسيج في هذه البلاد ، ذلك لان الاقمشة هي ، في الحقيقة ، المادة التي استطعنا أن نكتشف فيها بهاء الزخرفة الاسلامية ورونقها وأمكننا الوقوف منها على ناحية البقرية في الفن الاسلامي ، فلقد كان محذوراً على الفنان المسلم أن يرسم لنا بريشته الصور المجسمة ، ذات الابعاد الثلاثة ، ولكنهُ ، بفضل حذقه ومهارته ، وقدرته على اللعب بالالوان ، أمكنهُ أن يخرج لنا صوراً على الاقمشة ، تكاد لا تشك قط في انها مجسمة . ثم أن توده هذه الالوان والاصباغ ودقة الزخارف ، وجمال الاشكال ، التي تشيع في نفس المتأمل لها نوعاً من البسطة والانشراح ، لا يكاد يحسهُ وهو يشاهد تحفاً فنية اسلامية من مادة اخرى ، خير شاهد على حيوية الفن الاسلامي وسموه ، وأقوى حجة دامغة ، ضد اولئك الذين يرمونهُ بالجمود والكآبة

وأخيراً اذا علمت انهُ من اخص خصائص الفنان المصري المسلم « الهرب من الفراغ » أي أنهُ لا يسعى لاظهار جمال زخارفه بايجاد فراغ بينها ، بل يلجأ غالباً الى زيادة هذه الزخارف والتكثير منها ، حتى لا يترك مكاناً خالياً ، وان هذا المبدأ لا يلقى اعجاباً من رجال الفن التربين لعدم اتفاقه مع المبادىء العامة لفن الزخرفة ، وانا لا نجد هذا المبدأ ممثلاً في الكثير من هذه الاقمشة الاثرية ، استطعت ان تدرك في يسر السر في مقام هذه الاقمشة من الناحية الفنية

(١) انظر الجزء الثامن من Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe

ثماني عشرة سورة من حياة

فولتير

«أنا متقلّب كالحمل، نشيط كالعصفور، دؤوب كالسنجاب»

للكاتب اميل لودفج

نقلها: كامل محمود حبيب

في حجرة جميلة الاثاث، فاخرة الرياش، في دار في ناحية من باريس، جلست سيدة قد دبت اليها الشيخوخة فبدت غضوناً في وجهها، غير أنها ما زالت في قوة الشباب ونشاطه، جلست تنظر الى الشمس وتبسم لها وتصطلي بدفئها . . . . وجاء الظهر، ميعاد زيارة القس اليومية، وهو شاعر على علم بفن الموسيقى ثم هو يفقه النساء. دخل وإلى جانبه صبي عليه سمات الفطنة والذكاء كان قد نثر القس بعض شعره على عيني السيدة بالأمس. وراح القس يتحدث: إن أول ما بدا من عبقرية هذا الطفل حين جاء احد رجال القصر يطلب الى الأستاذ ان يكتب لهُ قصيدة يقدمها هو الى ولي العهد، وكان الاستاذ غائباً فجلس التلميذ الى نفسه حيناً ثم قدم لهُ قصيدة في عشرين بيتاً. ثم تناولها القس لينشرها أمام السيدة

ووقف الصبي بازاء السيدة متردداً، ثم نُزع عنهُ اضطرابهُ، فقبل يدها في احترام. لقد قبلها مولير، وهي ما تزال تحمل نسمات فيتوس، منذ نصف قرن. وابتسمت السيدة في رضا وبشاشة. وتصرم عام، وقُضيت الوصية، فاذا السيدة توصي بألفي فرنك للصبي يشتري بها كتباً. هذه هي نينون دي لانكلو، سيدة في الرابعة والثمانين وهذا الصبي هو فولتير في العاشرة من عمره

جلس الاديب وهو في الحادية والعشرين في نديّ وهو في غيظ وسخط على كل ما يجيء به الملك والحاشية ولاسيما دوق اورليان الوصي، وجلس اليهِ ضابط من عيون أورليان يستدرجهُ في خداع ومكر، فاندفع الاديب يتهدم ويتهدم، وراح يفيض في ثورة وحماسة بعض ما نشره بالفرنسية حيناً وباللاتينية حيناً آخر، غفلاً من الاعضاء. وأبلغ الجاسوس ما سمع، وترامى الى الوصي الخبر، ومضت أيام فاذا فولتير في سجن الباستيل وحيداً لا يرافقهُ سوى كتابين لهوميروس، ومنديلين وقطعة وياقتين وزجاجة عطر. ولبث في سجنهِ أحد عشر شهراً لا يرى المداد ولا الورق، فكان يكتب اشعاره بين أسطر الكتاب بقطعة من رصاص

ازدحت الكوميدي فرنسيز بالناس، وقد انقسم رجال الدولة والشعب الى حزبين يتفاخران ونهم الأمن والحقد . إن « أوديبس »[1] التي ألفها فولتير الصغير ستبدو أمام الناس ، ودوقة مين وأتباعها يأملون ان يروا الوصي وابنته ، اللذين يعيشان كما يعيش الرجل وزوجه ، يستشعران قوة النعسة فيما يرون فيهوين وقد جللها الفضيحة وآذاها العار ، مثلما هبط الزوجان الملوكيان في مملت . ولكن أورليان لم يرَ فيما أمامه ما يؤلمهُ فابتسم في رقة والى جانبه ابنته في كبريائها وصلفها، وقد حفت بها وصيفاتها الثلاثون، ما تستطيع ان تخفي بعض ما بدا عليها من جدّ واهتمام. وحين بدا نجاح الرواية اندفعا يصفقان مع الناس ، وفولتير ينظر من خلف الستر وفي نفسه الطرب والنشوة لما لاقى من انتصار ثم انطلق ليرى . . .

وهدأت العاصفة ، وظهر هو في مقصورة المارشال ، فعلى هتاف من جوانب المسرح ينادي زوجة المارشال الجليلة أن « قبليه . . . قبليه » فما استطاعت هي الأ ان تنزل عند رأي الجمهور الملتاج

* * *

تلاقى ڤولتير وشاب من النبلاء في مقصورة أدريان ليكوفرور في ليلة من ليالي الشتاء ، ولشد ما آلم الشاب أن يرى هذا الاديب الوضيع يرافق السيدة ، فراح يتدر عليه أمامها « ما اسمك الحقيقي ؟ أهو مسيو دي فولتير أم مسيو آروية فقط » فأجابهُ فولتير « وماذا يعنيك ؟ ان اسمي يبتدىء معي ثم يطير عني الى غيري أما أنت فاسمك ينتهي عندك ! » فثار به النبيل ورفع عصاه، غير ان فولتير سلّ سيفه . ومضت أيام ، وبينا فولتير يدلف من قصر مضيفه الدوق الذي حباه بفضله وكرمه سنوات عدة ، وجد نفسه بين جماعة من سفلة القوم وأراذلهم ، ينهالون عليه ضرباً ولطماً ، والنبيل الشاب على خطوات ينظر ويبتسم . ووجد هو مهرباً فطار الى الدوق يطلب اليه المعونة فأبى

وتراءى لفولتير أن ذكاءه وعبقريته قد رفعاه الى أن أصبح صديق العظماء والنبلاء ، ثم هو في رعاية المرأة التي كانت الحاكم الحقيقي لفرنسا ، وقد اندفع في حياة سياسية عالية خلق لها ، فعزّ عليه ان يكون هو هو ثم يجرَّح فلا ينتقم . والآن ، وهو يسل طول يومه محصناً ، راح يدعو النبيل الشاب الى المبارزة ، وينال من كرامته تحت سمع الناس وبصرهم ، ويثلم شرفه كلما وقع عليه نظره ، غير ان أقارب الشاب من الكرادلة والأمراء أرادوا ان يقفوا سدّاً في وجه هذه المبارزة ، فقبضوا على الأديب السفيه وقوه فانطلق الى انكلترا

* * *

ظلّ فولتير في باريس زماناً يتوارى عن الانظار ، ثم ضاق بهذه الحياة المقيدة فانطلق من مكمنه يطير وضع أنى شاء ثم استقرّ به المقام في دار تاجر قمح ، وهنا . . . في هذه الدار كان يلتقي كل من يهفو فهوه . وجاءت اليه دوقة سانت بير وصديقها تراضهما سيدة عليها مسحة من جمال

(١) اوديبس : أحد ملوك طيبة اليونانية قيل انه قتل والده وتزوج أمه

غير أنها جذابة أسرة الها أنف كبير ، وفم صغير جميل ، وذقن لطيف ، وعينان خضراوان صافيتان ، وجبهة بيضاء ناصعة تتدلى عليها خصل من الشعر الاسود الفاحم فتزيدها رونقاً وجمالاً ! ثم هي على جانب كبير من التربية والتعليم والتجربة . ورأى الشاعر كل ذلك — لاول مرة — فراعهُ ما رأى ! وهي ... هي المركيزة دي شاتيلي تتزعما هي عليه من علم وذكاء . وحين جلسوا للغداء راح الشاعر يقرأ هذه الانشودة :

يا للسماء ! إني أسمعها تردد هتاف الترحيب ،
وكذلك ماريان الطاهية ،
لأن دوقة سانت بير ،
ودوقة دي شاتيلي ، وفور كاليه ،
هنا يتناولون الغداء في كوخي الصغير ،

وظلت إميلي المقدسة — منذ الليلة — صديقة الشاعر مع عشرة سنة . لقد كانت خليلته أولاً ثم صديقته ومحاميته . وقضى هو هذه السنين الطوال إلى جانبها على حدود اللورين ليستطيع في عهد اضطهاده — أن يفر متى حزب الامر

* * *

في حجرة مقفرة في قلعة في كليف شاب ضئيل في الثامنة والعشرين ، تلتف في ملابس الصيد البروسية وأستاذ على فراشه تعركهُ الحمى وهو ينتظر وصول استاذه منذ سنوات اربع . لقد ارسل اليه سيلاً من الخطابات بعضها نثراً وبعضها شعراً ، تحمل تفتات صدره وآلامه وتحمل إعجابه وحبه ، فهو يقارن بينهُ وبين أبولو وسقراط وشيشرون وبلينيوس وأجريبا . غير ان هذا الفرنسي لم يأن له ان يأتي . ولعل كلمات التملق هي التي حالت بينهُ وبين أن يحضر ! لطالما أراد ان يكشف له عن بعض ما في قلبه فدعاه تراجان وقرجيل وطيطس واغسطس . وحين تلاقيا كانت الحمى تريد ان تصرع الفتى الالماني

ونزت بيزوات الخاطفة الجامحة حين رأى أستاذه فراح ينفض عن نفسه آثار الحمى ، لقد سخرا معاً مما كانا يزعمانه من اختلافات بينهما ، ووجدا لذة عقلية في تلاقيهما . هذان هما فردريك وفولتير

* * *

على مائدة ريشليو ، صديق شاعرنا وشبيهه في الحكم والذكاء والدهاء ، جلسوا يبحثون في شجاعة وصراحة ما بلغت إليه فتاة اورليان من مجد . واطمأن الجميع إلى ان فولتير وحده هو الذي يستطيع أن يتناول هذا الامر بقلمه ، فأجاب وهو يبتسم « ان فتاة الحان التي تمرن حاتها لتموت حرقاً لجديرة بلاذع الهجو ! » ولكنهم مضوا يقنعونهُ ، وبعد لأي ، انسحب هو وكتب المقاطع الاربعة الاولى ، ثم نشرها على اعين الجميع فهتفوا لهتاف الاستحسان والاعجاب

وكانت هذه فاتحة «لابوسيل» احدى رواياته الجريئة التي عالج فيها التاريخ والدين كأنما يعالج طلسماً ، وظلت على السنين تحمل أفكاره الحرة وتهكماته المرة ، ثم أخفى اسمه ، غير أنها طارت في نواحي باريس موسومة باسم فولتير

* * *

في قصر فرساي وفولتير في الحين يهتم بما يشغل الناس، وعلى مسرح القصر الصغير تحت عيني الملك والملكة وولي العهد والامراء والنبلاء والكرادلة، راح فولتير — وقد ألقى اليه قيادالمسرح — يثبّ هنا وهناك بين الموسيقيين ومحترفي الرقص والرسامين يثير الكلمات والاوامر في نشاط ويقظة. لقد رفعته سيدة وضيعة المولد الى هذا المنصب حين شغفها مؤلفاته حبًّا : هي السيدة دي بومبادور . وأصبح هو شاعر الدولة في ربوع القصر . وصدر الامر الملكي

« فرساي في أول ابريل سنة ١٧٤٣

إن الرغبة السامية ... رغبة جلالة الملك قد رأت أن تمن على السيد أرويه دي فولتير بلقب «السيد»، حين لم نجد من يستحق هذا اللقب سواه ، لما بدا لها من ذكائه ونشاطه وقدرته على العمل، ولما رأت من عبقريته في العلوم والآداب التي أنكبّ على دراستها فبزّ فيها من هو في سنه العالية وفاق نظيره»

وابتسم فولتير وهو يدس في جيبه الذي جنبه ، راتبهُ السنوي ، ثم انطلق يترنم :

سيدي هنري الرابع ، وسيدتي زاير ،
وسيدتي ألزير الاميركية ،
كل اولئك لا يساوون عندي نظرة ملكية واحدة :
إن لي الف عدوّ يحسدوني على مجدي الضئيل
وبرغمهم هطلت عليّ ألقاب الشرف والثروة كالمطر
كل هذا جزاء أضحوكة (لافوار)

* * *

على مائدة الملكة الخضراء في فونتينبلو جلست صديقة فولتير المركيزة دي شاتيلي تلعب ، فخسرت اربعمائة جنيه ، ثم امدّها هو بمائتين خسرتها هي الاخرى ، واستطاع خادم ان يقترض لها مائتين أخر بأرباح مضاعفة فخسرتها ايضاً و ... لقد خسرت في هذه الجلسة اربعة وثمانين الف فرنك وفولتير الى جانبها يحذّرها ، ثم نادى شجاعته وصراحته فقال لها : انهم يخدعونها ويغشونها ... أفيكون ذلك حقًّا وهي تلعب على المائدة الملكية . وفي هذه الليلة ارغما على ان يطيرا بعيداً خشية الفضيحة

واسكنتهُ دوقة عجوز من صديقاته قلعة على بضعة اميال من باريس ، وأمضتهُ الوحدة وهو يعيش في حجرة ثانية منفردة ، قضى فيها ثلاثة اشهر لا يرى الخلاء ولا يخرج الاّ عند الثانية

بعد الظهر ليتناول الغداء في حجرة نوم الدوقة ثم ليقرأ لها ما كتبهُ في يومه . في هذه العزلة استطاع ان يكتب خمساً من رواياته القصيرة

* * *

في حديقة قلعة كوميرسي حيث ضيوف ملك بولانده الذين شغلوا بعض مناصب الدولة حيناً من الزمان ، جلست المركيزة في كبريائها وجمالها وقد بلغت الاربعين وقد نهضت بدها من حب فولتير منذ سنوات عشر لانهُ خطا الى الشيخوخة خطىً فساحاً غير انها ما برحت صديقته الوفية. لقد جذبها فتىً في الثلاثين فراحت تتزين لهُ وتتبرج تريد ان توقعهُ في حبالها . انهُ هو السيو دي سانت لامبير الذي احبتهُ خليلة الملك

في الرابعة والخمسين من عمر فولتير ، وفي امسية هادئة انطلق من حجرته قبيل العشاء، ودخل على غير ميعاد حجرة صاحبته ، فوجدها الى هذا الشاب في حالة تبعث في النفس الشك والريبة ، فاضطرب واستشعر لذع الحيانة في قلبه ، وأصرّ على ان يبرح الليلة ، غير ان خادم فولتير — وقد اوحت اليه السيدة بأمر — ارتد يقول لسيده ان العربة لا تستطيع السير . وتحدثت هي الى فولتير — والليل ساج — حديثاً ظلّ في طيّ الكتمان حيناً من الدهر ، والمركيزة تخفي صاحبها في قصرها . قال فولتير « اتريدين ان اصدقك بعد الذي رأيت ؟ لقد بذلت صحتي وسعادتي في سبيل رفاهيتك ثم تخونين عهدي ! » قالت « انني احبك حبًّا شديداً ، غير انني قد سمحت لشكوك تهدم قوتك ثم قلت انك لا تستطيع ان تعيدني دون ان يكون في ذلك مضرتك ، فلماذا ثورتك حين اريد ان ارفع عنك بعض ما يثقلك ؟ » قال « هذا حق ، ولكن حذار ان يحدث هذا مرة اخرى تحت عيني ! »

وفي الليلة التالية بدا خصمه امامهُ يعتذر ويسأله الصفح ، فقال لهُ « يا بنيّ ، لقد بلغتُ من الكبر عتيًّا ، وأنت ما تزال في سن السعادة والمرح ، تستطيع ان تشق وان تستميل قلوب النساء ! انتهز هذه الفترة الذهبية من العمر . أما انا فرجل حطمتهُ الايام ، لا حول لي ولا قوة ، فما اصلح لما تصلح انت له » ! . وعلى مائدة خليلة الملك تناولوا جميعاً طعام العشاء ، في الليلة الثالثة

وانقضت اشهر بدت ، بعدها ، سمات الحمل على المركيزة ، وجلسوا جميعاً يتشاورون في امر الطفل وهل تستطيع هي ان تعلن امر زواجها من هذا الشاب ليكون أب الطفل الجديد ؟ فأجاب فولتير في غيظ « لا بأس . فسنضم هذا الطفل الى مؤلفات السيدة الدبدة ! »

* * *

لازمت المركيزة فراشها وفولتير الى جانبها يمرضها ، ورفض دعوة ملك بروسيا الملحة ليكون في جوار صاحبته يسهر عليها ويعنى بأمرها وهي تضع ابن غريمه ، وحين وضعتهُ تألق البشر في وجوه من في القصر . وبعد اسبوع هاجمتها الحمى فتضعضت محياتها . وظل الزوج الحبيب واقفاً بإزائها،

أما فولتير فأطلق ذاهلاً في هدوء الى الطبق الاسفل . وفي نهاية السلم سقط فشجّ رأسه ، واندفع غريمه يعينهُ ، وحين أفاق نظر الى الشاب في سكون وقال « لقد قتلتها ! »

* * *

استعار الرجل الفرنسي وهو في بوتسدام من آخر من برلين قطعتين من الماس يزين بهما وهو يمثل دور شيشرون في احدى رواياته امام الملك فردريك ! وبعد أن صاحب فولتير الملك ثلاثة اشهر قلّده منصباً في البلاط الملكي البروسي براتب سنوي قدره عشرون الف فرنك . ولما كان فولتير لا يطمئن الى ما يربحهُ من كتبه العديدة التي نشر كثيراً منها لا يحمل اسمهُ ، كما يطمئن إلى ما يملك هو ، ثم هو يريد ان يكون دائماً في بحبوحة من العيش ، فقد ارسل يهودياً الى درسدن يشتري لهُ اوراقاً مالية سكسونية بمبلغ اربعين الف فرنك ، وكانت هذه الصفقات حراماً على البروسيين فحنق الملك على فولتير حين ترامى اليه الخبر

وقدّم للمحاكمة ، وراح فولتير يدفع عن شرفه وبالته التهمة ببراهين وأدلة بدت فيها عبقرية الرجل ثائرة لا هدأ ، قوية لا تضعف . وانتهى الامر بوساطة ذوي الرأي والجاه ، غير ان الحادثة كشفت امام الملك ناحية من نواحي الرجل السامية

ثم ... ثم اندفع بهاجم موبرتيس مواطنه وزميله في «سان سوسي» دون ان يصرح باسمه فيما يكتب ، فغضب عليه الملك غضباً شديداً ، وأمره ان يحرّق هذه الرسالة في الطريق على اعين الناس ، فأبى فولتير وقدم استعفاءهُ من وظيفته ورد كل ما جاءه به الملك مع ابيات من الشعر:

لقد قبلتها في سرور وطرب ،
والآن أردها في اسىً وحزن ،
كعاشق أتاني ، سلّطت عليه الخواطر السود ،
فرد الى الفتاة التي أحب رسمها

غير أن الملك لم يتركهُ يفلت ، فردّ اليه ما أرسله في نفس الليلة ، ومضت أسابيع تخللتها مخاصمات ومصالحات ، ثم جرى الحديث بين الملك وفولتير أثناء احتفال باهر ، قال الملك: « سيدي فولتير ، اني أرى رغبتك في السفر مُلحة ! » قال « سيدي ، بالرغم مني ما أريد ، لانها صحتي . . . » قال الملك اذن أتمنى لك سفراً سعيداً ! »

وغادر فولتير فما رأى أحدهما الآخر بعد ، وجاءته الخطابات تترى تحمل في ثناياها شتى ألوان التقدير والاعجاب ، فما انقطع سيلها الا بعد أربع وعشرين سنة ، حين مات الشاعر

* * *

لقد جاوز الستين وهو يعيش الى جانب جنيف عيشة أغنياء البلاء ، وقصره الصغير يعج بالضيوف من مختلف الأمصار ليروهُ وليسمعوا منهُ . وأصبح يملك عربة ، ولهُ خدم وطاهٍ من باريس وسكرتير ولقد نجحت رواياته على مسرحه الخاص نجاحاً باهراً ، أثار حقد مواطنيه من البلاء

هنا على حدود وطنه ، الذي اضطهده وشتت شمله لأنهُ عرف كيف يفكر بعقل الفيلسوف عاش أكثر من عشرين عاماً ، يتنقل في هذه الناحية في حذاء وجوارب سود ، وسترة قصيرة من الحرير ، وقبعة من المخمل او في شعر مستعار ، ثم هو يعمل في نشاط ، ويطالع في نشاط ، ويستقبل ضيوفه من العظماء والعظيمات . واتخذ الحيطة فاشترى ضيعة في سويسرا وأخرى في فرنسا ليستطيع ان يفر من واحدة الى أخرى متى حمل على ذلك

وحين كبرت سنه لم يستطع ان يشبع نهم ضيوفه من المفكرين والفلاسفة ، فبذل قصارى جهده في العناية بأمر الفلاح ، وأصاخ الى صيحاته الحزينة المكفوفة ، فاستطاع أن يحصل من مجلس المدينة في جنيف على تصريح يخوّل لهُ نزح المستنقعات التي تحيط بضيعته ليحفظ على الناس صحتهم ، واستطاع ايضاً ان يرفع نير استعباد المزارعين عن صغار الفلاحين

وهو الآن يعمل ما يعمل الفلاح الصغير فهو يحرث ويبذر في حقله المسمى حقل دي فولتير وظلَّ يقوم عليهِ بنفسهِ حتى جاوز الثمانين وانطفأت منّته ، وكان فولتير ايضاً كريم النفس ، سخيّ اليد ، يساعد المعوزين والفقراء من أبناء مقاطعته ، ولقد شجع صناعة الساعات الدقاقة ، وهو اول من أدخل صناعة نسج الحرير ، فحوّل مسرحه الى بيت لدود القز

في هذه الآونة ايضاً دأب اشهراً ليطلق سراح امرة في تولوز كان قد اتهمها القضاة المتحصبون باطلاً ، فهاجم ما نشأ في القضاء الفرنسي من فساد ، وما ساد من استبداد

لقد كان العدل هدف فولتير الاعلى

* * *

وفي عصر يوم من ايام فبراير وقفت عربة على باب باريس الغربي ، وسأل ضابط : او يكون على ظهر هذه العربة ما يحرم دخوله ؟ فأجاب رجلٌ همّ في صوت يضطرب « لا اعتقد ، ليس هنا سواي ! » وحدق فيهِ ضابط ثم أقسم « والله انهُ لهو فولتير ! »

لقد جاء يزور باريس للمرة الاولى والاخيرة منذ عشرات من السنين ، وتوارى وراء المسرح والروايات واعماله العديدة يتخذ من كل ذلك ستاراً يقتح امامه ما استغلق ، ولكنهُ كان يريد أن يجد فرصة يزور فيها باريس ، وكانت باريس تتمنى لو اتيح لها ان تراه . وكان هو قد هاجم كلاً من البلاط والكنيسة فأمضها ، فالاول يريد أن يبعده عن باريس والثانية تريد ان تستدرجهُ علّهُ يؤمن ، ولكنهُ وجد ترحيباً من الاكاديمية ومن الزعماء السياسيين ومن زعماء المسرح ، فكان يزوره نيف وثلثمائة شخص في اليوم الواحد ولقد ابتدأ هو فزار المرأة التي كانت أولى من أحب ، والتي لم يرها منذ ستين عاماً . ولقد اثرت في نفسه هذه الزيارة وأثرت في نفسها هي ايضاً ، حتى انها ردّت اليهِ في اليوم الثاني صورتهُ حين كان شاباً

* * *

لاول مرة في مدى سبعين سنة ، وفولتير تتناهبه الاسقام وانحطاط القوة ، وقع مع نس

في نقاش ديني ، غير ان واحداً لم يعرف ما استقر عليه رأي فولتير . وجعلت الكنيسة تتملقهُ حتى اقر بأنهُ يريد أن يموت على المذهب الكاثوليكي ثم قال « ... واني لارجو ان يغفر لي الله وان تسامحني الكنيسة فيما فرط مني نحوها » لقد انتحى فولتير الى هذه الخاطرة حين أدخل في روعه أن جثته — إن لم يفعل — ستلقى في العراء . ولكنهُ حين جاء القس يلقنهُ بعض الطقوس الدينية أوقفهُ قائلاً « تذكر ان دمي لا يزال ملوثاً ، ويجب علينا الا نخلط بهدم الله ! »

وراح يصد هجمات الكهان وهو يقول في غضب : انهُ لن يذعن كما اذعن اولاً . وعلى حين فجأة ارتدت اليهِ صحته . لقد كانت خطواته في الاكاديمية موفقة ، وعلى المسرح الباريسي لاقى احتفاء لم يفز بهِ من قبل شاعر . وحين اضطره اصدقاؤه ان يبدو امام الناس ، أطلَّ من مقصورة في المسرح ثم انحنى يحيي الجمهور ، ثم رفع رأسه وقد اغرورقت عيناه بالعبرات وقد ظلت طول عمره قوية صافية . وحين ارتد الى داره جلس يحدث نفسه وهو يبتسم (انك لم تخبر الفرنسيين ، لقد رحبوا بروسو في مثل هذه الحماسة والاندفاع في يوم ، وفي اليوم التالي أمر فقبض عليه !) ثم اشترى داراً في باريس وعزم على ألاَّ يبرحها حتى يحين حينه

ولكنهُ اسرع نحو النهاية فانحطت قوته على حين بغتة ووافتهُ المنية بعد اسبوعين

* * *

وأبت عليهِ الكنيسة قبراً ، وأخذ الطيب ، وهو يشرحهُ ، رأسهُ الشاذ القوي ، وأخذ صديق قلبه . وفي المساء كانت جثتهُ في ملابسها وقبعتها وقد لُفَّت في رقق ، تبدو كرجل نائم ، وأبعدت على مركب . وحرمت الكنيسة الموتورة على الاكاديمية ان تقرأ شيئاً مما كتب الميت الجاحد ، وحرمت على الصحف ان تنشر كلمة عنهُ ، وأبعد رئيس دير لانهُ لم يستطع ان يمنع نقل الجثة ، ودفن الميت سراً الى جانب احد ذوي قرباه

وفي سنة ١٧٩٠ اي بعد اثنتي عشرة سنة احضر رفات فولتير ، مع اول نسمات الثورة ، الى باريس في حفل حاشد ودفن في الپانتيون . ومثلت الحجرة التي لبث فيها زماناً سجيناً في الباستيل ، بالزهر والنقوش ودوت بالاغاني والموسيقى . وفي وسط المشاعل والموسيقى بين مئات الآلاف من الناس مرت العربة تحمل رفات الرجل العظيم ونثرت عليهِ آخر كلمات التقدير « لقد نفث هذا الشاعر المفكر والمؤرخ في الانسانية من روحهِ السامية فتأهبت للحرية »

* * *

وتحطم التابوت الرصاصي في الپانتيون ، حطمهُ جماعة من الشبان المارضين في احدى ليالي مايو بعد أربع وعشرين سنة ، وجمعوا عظامه وأودعوها حفية ، وحفروا لها حفرة في دار مهجورة على حدود العاصمة ، وهكذا ضاع رفات هذا الرجل العظيم في التراب

* * *

وليس يعرف احد الآن اين وقعت عظام فولتير

الفكر واللغة

لجرجي شاهين عطيه [1]

منحنا منذ مدة لحضرة مدير هذا المعهد العلميّ الزاهر المسيو غرانجران محاضرة نفيسة بالفرنسية موضوعها « الفكر واللغة » تناول فيها بالبحث المشبّع قضية العلاقة بين ما لكل امة من الطرق في التفكير ، وما في لغتها من أساليب خاصة في التعبير ، مورداً على ذلك الامثلة العديدة من كثير لغات الشرق والغرب . وقد رأيت الآن ، وقد أتيحت لي فرصة التحدث اليكم ان اطرق هذا الموضوع نفسه ، مقتصراً في البحث فيه على ما يتعلق بلغتنا العربية خاصّةً ، فأبيّن ما بين أوضاع هذه اللغة وتعابيرها وطرق التفكير عند العرب الاقدمين من العلاقة ، ثم اتطرق الى ايضاح ما يجب التقيد به من العلاقة بين طُرُق تفكيرنا في هذا العصر وما يراد صوغه من الاوضاع والتراكيب الحديثة

(لغة كل قوم تصوّر افكارهم) معلومٌ ان لغة كل امة هي ما تتخذه للتعبير عن افكارها ، فلا يرتسم بها الاّ صُوَر ما يجري في اذهانها ، ويجول في خواطرها . والذي يؤثر في تكوين عقلية الامة وطرُق تفكيرها عاملان : البيئة الطبيعية ، ونريد بها ما يحيط بتلك الامة من جبال وبحار وانهار وصحارى وما اشبه ، والبيئة الاجتماعية ، ونريد بها ما لها من نظام أسري ودين وطرق معيشة ونحو ذلك . على اننا اذا حاولنا تطبيق هذه القاعدة على لغتنا العربية بالنسبة البنا وجدناها تنطبق عليها في بعض الشيء ولا تنطبق في البعض الآخر . فلغتنا تصوّر ما في افكارنا في ما تستمدّه من ذلك تسدُّداً ، وأما في ما تستمله كل حين من التراكيب المجازية فانها لا تبسط الاّ صُوراً تمثل احوالاً غير احوالنا ، وتشير الى عصور غير العصر الذي نعيش فيه . ونرى الآن ما في بعض تلك التعابير من تصوير لاحوال قدماء العرب الطبيعية ، ثم لاحوالهم الاجتماعية

(تصوير احوال القدماء الطبيعية) يقول الواحد منا اذا سُرّ : « وقد قرّت عيني ، وثلج

(١) نص المحاضرة التي القاها على جمهور من الادباء بالكلية الطائفية في بيروت .

صدري » ومعنى قرَّت بردت ومعنى ثليج صار بارداً كالثلج ، واذا بحثنا في سبب اختيار البرد للتعبير عن السرور لوجدنا في حالة العرب وعيشتهم في بلاد حارَّة يؤذيهم حرّها ، وتؤلمهم رمضاؤها ، ما جعلهم يتصوَّرون البرد أفضل وسيلة من وسائل النعيم . وبديهي انهم لو كانوا عائشين في بلاد باردة لما كان للبرد عندهم هذا المعنى المستحب ، ولا كانوا يدعون على من يريدون لهُ السوء بنحو : « أسمجَ الله عينهُ »

ونقول في الدعاء بالخير : « سقياً لفلان ، وسقى الله ايام الصبا » وما كان هذا الدعاء بالسقي الا لقلة المطر وندرة الانهار والينابيع في شبه جزيرة العرب بحيث كان السقي اهم ما يمكن تمنّيه من الخير . وهذا ما جعلهم يدعون المطر بالغيث لانهُ يغيثهم اي يبلّغهم في الضيق ، وبالرحمة من باب المجاز المرسل لانهم يعدونهُ رحمةً من الله

ومن هذا القبيل قولنا : « رعاكم الله ، وسقياً لكم ورعياً » فضرورة الرعي لمواشيهم لم تكن تقل عندهم عن ضرورة السقي . فالماء والكلأ اشدُّ العناصر ضرورةً لحياتهم وحياة أنعامهم ، ولم يكن عندهم التنقل من مكان الى آخر الا للبحث عنهما وعن المواضع التي يكثران فيها

ويدخل في هذا الباب قولنا مثلاً : من اهم واجبات الشبان الذَّود عن حياض الوطن . فالحياض هي مجتمعات الماء ، وقد كان لكل قبيلة حياض خاصة تسقي منها وتوردها مواشيها ، ولما كانت تلك الحياض من اهم الاشياء كلها اذ عليها تتوقف صيانة حياتها وحياة ماشيتها كان من الطبيعي ان يستميت جميع افراد القبيلة في الذود عنها ، وان يبذلوا دماءهم لمنع كل اعتداء عليها

ونقول : « ان هذه القصيدة من صفو الساعة » اي مما قاله الشاعر ارتجالاً بدون أن يجهد قريحته . واصل هذا من صفو الماء وهو ما نضل عن الشاربة وأخذ من غير كلفة ولا مزاحمة

وكثيراً ما نقرأ في الصحف العبارة الآتية : « تمتعوا البلدة الفلانية في الخيل انتجاعاً للسحة » والانتجاع هو طلب الكلأ والبحث عنهُ في مواضعه

ومثل هذا قولنا : « ان فلاناً من روَّاد الملهو » والروَّاد جمع رائد وهو الذي يسير امام القوم يبحث لهم عن مواضع الكلأ والماء

ونقول في قوم ضعف أمرهم : « قد ذهبت ريح القوم » وفي من ابتدأ امرهُ في الظهور : « قد هبت ريح فلان » وما كان دخول الريح في مثل هذه المواضع الا لما لها من الاثر في إقامة البدوي وتنقلاته في الصحراء

ونقول في الامر الصعب المنال : « هذا امرٌ دونه خرط القتاد » والقتاد شجر ينمو في الصحراء لهُ شوك كالابر ، والخرط من خرط القصن اذا نزع ورقهُ اجتذاباً بان يقبض على أعلاه ويمرّ يدهُ عليه الى اسفله

ونقول في من يطعن على قوم : « هو ينحت أثلتهم » والأثل شجر عظيم من الطرفاء و« هو يقرع مروتهم » والمرو حجارة بيض تقتدح منها النار

ونقول في من نشاوره في أمر : « استوريا زند فلان » والزند هو حجر تقتدح منهُ النار ، واستيراء الزند استخراج النار منهُ

ففي كل ما تقدّم تذكيرٌ بأحوال العرب في شبه جزيرتهم ليست مما نألفهُ ولا مما يعرفهُ أهل زماننا (تصوير أحوال القدماء الاجتماعية) أما ما يمثل أحوالهم الاجتماعية في كلامنا فهو كثيرٌ من ذلك قولنا : « إن الازمة ضاربة أطنابها في هذه الايام » والاطناب ما تشدُّ به الخيمة من الحبال ، والمراد بضرب الأطناب نصب الخيام للإقامة

ومنهُ قولنا « ان الكسل سبب الفقر » والسبب هو الحبل الذي توصل به أطناب الخيمة بأوتادها

ومنهُ قولنا في الزم على الأمر : « ضرب فلانٌ أطنابه على هذا الأمر ، وألقى لهُ جرانهُ » والجران مقدّم عنق البعير ، يقال ألقى البعير جرانه اذا برك ومدّ عنقه على الارض كناية عن تمكنه في البروك

وكثيراً ما يرد في كلامنا هذه الجملة او ما شاكلها : « قرأت هذا الفصل برمّته » أي كلهُ . ومعنى الرمّة الحبل البالي . قيل ان رجلاً دفع الى آخر بعيراً بحبل في عنقه ، فصار يقال لكل من دفع شيئاً الى آخر بجملته : أعطاه إياهُ برمّته

ونقول : « حدا بي الى فعل هذا الامر أو حداني اليه كذا » أي دفعني اليه ، وأصله من حدا الناقة أو حدا بها أي غنى لها وساقها

ونقول في من يسير في أمره على غير هدًى : « هو يخبط خبط عشواء » أي ناقة عشواء وهي التي في بصرها عشًا لا تبصر ما أمامها ، فهي تخبط بيديها كل شيء اذا مشت لا تتوقى شيئاً

ونقول : « العجلة تنتج الندامة » وهذا من نُتجت الناقة أي وضعت

ونقول في من يقصدهُ الناس للاستفادة من علمه او جدواه : « إن دار فلان يحطُّ الرحال » والرحلُ ما يُوضع على البعير ليركب عليه مثل السرج للفرس

ونقول في من لا يكتم سرّه : « هو لا يكظم على جرّة » والجرّة ما يفيض به البعير من كرشه فيمضغهُ ثانيةً

ونقول في من هو خيرٌ بالامور : « هو جذلها المحكك » والجذل أصل الشجرة يُنصب للإبل لتحتكّ به الجَرْبى

وكثيراً ما نقرأ هذه الجملة : « بات القوم كأن على رؤوسهم الطير » أي ساكنين هيبةً . وأصل المعنى في هذا ان الغراب يقع على رأس البعير فيلتقط منهُ القراد فلا يتحرّك البعير لئلا ينفر عنهُ الغراب

ونقول : « قبض فلانٌ على أزمّة الأمور » و « انقادت اليهِ الامور بأعنّها » والازمة جمع زمام وهو الخيط الذي يُشدُّ الى طرفهِ مقود البعير وقد يسمى بهِ المقود نفسهُ ، والأعنة جمع عنان وهو سير اللجام الذي يمسك بهِ الدابة

ونقول في من يطمع في غير مطمع : « هو يكدمُ في غير مكْدَم » والكدم العضُّ بأدنى الفم ، وأصله في الدابة تكدم الحشيش

ونقول في من كثُر رزقهُ : « درّت عليهِ اخلاف الرزق » والخلف للناقة كالضرع للشاة

ونقول : « فعل فلانٌ هذا الأمر اعتباطاً » أي بدون موجب . وهذا من اعتباط الذبيحة اي نحرها لغير علة

ونقول : « ورّطت فلاناً في الامر » اي اوقعتهُ فيهِ ، وهذا من الورطة وهي الوحل ترتطم فيهِ الدواب

هذا بعض يسير من التعابير التي ليست في الواقع الا صوراً لحياة الاعرابي بين إبله وشائه. ولا يقل عنها ما استعمله من التعابير التي تمثل بها سائر مظاهر حياته

فمن ذلك قولنا : « أحرز فلانٌ القِدح المُعلى » أي سبق أقرانهُ . والقِدح أحد قداح الميسر وهي سهام لا نصال لها ولا ريش ، والميسر قمار العرب بهذه القداح ، كانوا يشترون جزوراً ناقةً أو بعيراً ، فينحرونها ويقسمونها ثمانية وعشرين قسماً ويقامرون عليها بعشرة قداح يفرضون في أحدها فرضاً واحداً ، وفي الثاني فرضين ، وهلمّ جرًّا الى السابع فيفرضون فيهِ سبعة فروض ومجموع ذلك ثمانية وعشرون ، ويضيفون اليها ثلاثة قداح لا حظّ فيها ، ويجعلون الكل في خريطة وهي وعاء من جلد ويضعونها في يد رجل عدل يسمونه المجيل أو المفيض ليجيل يده في الخريطة ويخرج منها قدحاً للرجل منهم . فان خرج لهُ قدحٌ من ذوات الفروض أخذ نصيبه من الاقسام بعدد الفروض التي فيهِ ، وان خرج لهُ قدح من الثلاثة التي لا فُرض فيها غرم ثمن الجزور . والقدح المُعلى هو ذو الانصبة السبعة

ومن هذا قولنا في من فاز في أمر . « قد فلج سهمهُ » أي غلب واستظهر

ومنهُ قولنا : « أجال القوم قداح الرأي » أي تشاوروا وهو من إجالة القداح في الخريطة على ما تقدم بيانه

ونقول : « أعطِ القوس باريها » أي سلِّم الأمر الى من هو أهلهُ

ونقول : « رميتُ عن قوس فلانٍ ونزعتُ عن قوسهِ » أي شاورتهُ وعملت برأيهِ « ورمى القوم عن قوس واحد » اي اتفقوا في الرأي والعمل

ونقول : « إن هذا الامر على قلب قوسين مني » دلالةً على شدة قربهِ وقاب القوس ما بين

المقبض والسية فلكلّ قوس قابان ، والسية ما عُطِفت من طرفيها ، وفي القول قاب قوسين قلب فالمراد قابا قوس

وتقول في نفاد الصبر : لم يبقَ في قوس الاضطبار منزع ، وقد نفدت السهام حتى الاهزع والمنزع سهمٌ في الكنانة ، والاهزع آخر سهم من سهامها

ويرد في كلامنا كثيراً « سنوح الفرصة » وهذا من سُنُوح الصَّيد وهو ان يمرّ عن يمين الصّياد الى يساره فهو السانح ، فان مرّ عن اليسار الى اليمين فهو البارح . وكانت العرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح

وتقول في اختلاط الامر : « اختلط الحابل بالنابل » والحابل صاحب الحبالة وهي شبكة الصائد ، والنابل صاحب النبل ، وذلك ان يجتمع القناصون فيختلط اصحاب الحبائل بأصحاب النبل فلا يصاد شيء

وتقول في من وقع الخلاف بينهم وتفرقت وحدتهم : تصدعت عصا القوم ، وانشقت العصا بينهم ، والعصا آلة الدفاع عن النفس عند الاعراب فهي رمز القوة عندهم

وتقول « قشرت لفلان العصا » اي أطلتهُ على ما في سريّ من محبة او عداوة

وتقول : « جاءت هذه المصيبة على فلان ثالثة الاثافيّ » اي كل بها الشر كله فلم يبق منه غاية . وهذا من الاثفيّة وهي الحجر من حجارة الموقد ، كان يوضع حجر في كل من الجانبين فاذا وُضع الثالث كمل الموقد الذي توضع عليه القدر

وتقول في تهدئة اضطغان القوم : « فأنا ما جاش من قدرهم » اي سكّناه وكسرنا حدته

وتقول في من يوقد نار الفتنة : « إن فلاناً يوقد في الحضر الرطب » والحضر شجر شائك تعمل منهُ الحظائر ، والحضر الرطب اذا أوقد انتشر منه دخان كثير حتى ينال أذاهُ كل أحد

وتقول في من يحسن التصرف بالأمور : انه يعرف من اين تؤكل الكتف . قالوا تؤكل الكتف من أسفلها لأن المرقة تجري بين لحم الكتف والعظم ، فاذا أخذت من أعلى جرت المرقة على الاكل واتصبت ، واذا أخذت من أسفلها اقتشرت من عظمها وبقيت المرقة مكانها

﴿ كيف رسخت هذه التعابير في صلب اللغة ﴾ كل هذه التعابير يستعملها الادباء ويستعملون اكثر منها في منظومهم ومنثورهم وقلّ منهم من يفطن لما فيها من تصوير احوال العرب الاقدمين في مختلف ضروب معيشتهم ولعمري ان هذا مظهر غريب في هذه اللغة لا لفظن لن له مثيلاً في غيرها من لغات العالم . ولا مجال للعجب من رسوخ هذه التراكيب وامثالها في صلب اللغة بحيث صارت جزءاً متمماً لها لا يستغني عنه كاتب ولا شاعر في التعبير عن افكاره فان الادب في هذه اللغة بعد دخول الامة في عهد الحضارة ظل كما كان وهي في عهد البداوة ، وظلّ الشعراء في

دمشق وبغداد والاندلس يفتتحون قصائدهم بالبكاء على الاطلال ووصف الشوق والحيام كما كان يفعل أسلافهم من سكان البادية في حين هم عائشون بين القصور والحدائق لا شوق لديهم ولا اطلال ، وقد بلغ من تشدّدهم في المحافظة على هذه الاساليب انهم كانوا يحظرون على الشاعر ان يركب في طريقه الى محبوبته فرساً او برذوناً لمجرّد ان الجاهليين لم يركبوا اليها الاّ الناقة. وان كان قد قام من عاب عليهم هذه الخطة ودعاهم الى نبذها كما نعى في اوائل العصر العباسي الشاعر ابو نواس القائل

طلح الشتيّ على رسم اسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكي على طَلَل الماضين من أسد لا درّ درك قل لي من بنو أسد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر ولا صفا قلبُ من يصبو الى وتد

فان هذه الدعوة لم تصادف آذاناً صاغية وظلّ الشعراء يقفون على الاطلال ويصفون البالي حتى اننا نقرأ في اواخر القرن الماضي لسلامتنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي اي بعد مرور اكثر من الف سنة على عهد ابي نواس قوله في مستهل احدى قصائده :

لمن طللٌ بوادي الرمل بادِ تخطّهُ به الرياح بلا مداد
وقفت بناقتي فيهِ فكنا ثلاثة أرسم ، في ظلّ وادِ

فهل نعجب بعد هذا من رسوخ هذه التراكيب في صلب اللغة وهذه حال الادب والادباء. أما في هذا العصر عصر السيارة والطيارة فقد تغيرت الحالة ولم يعد شعراؤنا يتحدثون الاّ عن الزمان الذي يعيشون فيهِ ولا يصفون من الاشياء الاّ ما يقع تحت حسهم بدلاً عما كان يألفهُ اهل القرون الخوالي . وهذا ما يبشر بنهضة جديدة في ادبنا الحديث يتحفز بها لمجاراة آداب الشعوب الراقية . بيد انهُ اذا امكن تحرير الادب من قيود الاساليب القديمة فليس من الممكن ولا من الضروري تنقية اللغة من التراكيب التي في معانيها الاصلية دلالة على احوال القدماء ، فلك بأن هذه التراكيب قد رسخت في الاستعمال وتداولتها الالسن والاقلام بمعانيها المجازية أما معانيها الاصلية فقد غابت من الاذهان بتاتاً ولم يبق لها عند الناس الاّ هذه المعاني الاصطلاحية

***

﴿التجديد في اللغة﴾ على اننا قد أخذنا نشعر بمظهر من مظاهر التجديد في اللغة في ما نقرأهُ على صفحات بعض الصحف من تراكيب مجازية مبنية على صُور من حياتنا اليومية ، وهذه التراكيب تشيع تدريجاً في الاستعمال بحيث لا تلبث ان تجري مجرى المثل . من ذلك قولهم في

من يُثير فتنة يجرّ لنفسه مغنماً : « هو يصطاد في الماء العكر » وقولهم في العزم على ازالة الناس: «انا نريد وضع النقاط على الحروف» . فهذه استشارات لا بأس بها ومزيتها فائقة في ان المشبه به فيها معروف ومألوف لدى القارىء . ومعلوم ان الاستعارة مبنية على التشبيه ، والاصل في التشبيه ان يكون المشبه به معروفاً عند المخاطب ليقيس عليه المشبه الذي يجهله او يجهل شيئاً من صفاته

بيد ان اهم مظهر للتجديد هو في ما نراه من الاهتمام بوضع ألفاظ للدلالة على ما اوجدته الحضارة الحديثة من ادوات وما تستلزمهُ من معان . وهذه مهمة قد تألفت لها في السنوات الاخيرة مجامع لغوية في عدد من الاقطار العربية تضم فريقاً من علماء اللغة الذين يشار اليهم بالبنان وفي مقدمتها المجمع اللغوي المصري . ولا اريد الآن البحث في ما قامت به هذه المجامع من اعمال وما اتخذتهُ من قرارات ولكني اريد توجيه الانتباه الى قضية هي بمنزلة الاساس من العمل الذي اتخذتهُ على عاتقها واغفالها يؤدي الى ضياع الفائدة المتوخاة منهُ . تلك هي قضية العلاقة بين الفكر واللفظ في ما يراد الاتيان به من الاوضاع . وأعني بذلك ان يكون المعنى المراد اتخاذ الاسم منهُ عن اقرب ما يخطر بالبال عند تصور المسمى اذا كان المقصود الوضع بطريق الاشتقاق ، او ان تكون العلاقة بين المعنى الموضوع له اللفظ والمعنى المراد استعماله فيه قريبة لطيفة ، اذا كان المقصود الوضع بطريق المجاز . وترى العرب قد راعوا بالبداهة هذه القاعدة في ما وضعوه من الالفاظ تمام المراعاة . ففي ما اشتقوه من الاسماء للسيف مثلاً قد وضعوا له الخذم والبتر والبتار والصارم والقاضب والقضيب والعضب والحسام والجراز من خذم وبتر وصرم وقضب وعضب وحسم وجرز وكلها بمعنى قطع والقطع هو اول معنى يتبادر الى الذهن عند رؤية السيف او تناوله . وكذلك ما وضعوه بطريق المجاز فقد راعوا فيه قرب العلاقة ولفظها كما في تسمية اللحيتين المتدليتين في جانبي الحلق باللوزتين ، وتسمية داخل الفم بالنار اي الكهف وما اشبه . اما اوضاع المجمع اللغوي المصري فاننا لم نرَ في كثير منها هذه المراعاة ، كما في تسمية قطار الركاب مثلاً «بالوقّاف» عللوا ذلك بحجة بطئه وكثرة وقوفه في المحطات . فان هذا المعنى ليس مما يتبادر الى الذهن عند رؤية هذا القطار منطلقاً وما من احد يركبهُ بقصد كثرة الوقوف في المحطات

ومثل ذلك اقتراح تسمية المكرونة «بالدُّويداء» فانه اذا صح وجود جامع بين هذين الشيئين من جهة الهيئة فان هذه التسمية مستنكرة من جهة انها مبنية على تشبيه طعام مستطاب يستمرئه الناس بحشرات قذرة تتقزز النفس عند تصورها وهي مما تأكلهُ الخنازير . اولا يرى المجمع ان استعمال لفظة « الاطرية » في هذا المعنى وافٍ بالغرض . قال في القاموس : « الاطرية طعام كالخيوط من الدقيق » فان قيل ان هذا الاستعمال يحتاج فيه الى شيء من التوسع قلنا ان التوسع

لا بد منهُ في مثل هذا المقام كما نفعل في استعمالنا لفظة الحساء فان ما نعرفهُ الآن بهذا الاسم يختلف كثيراً عما كان معروفاً منهُ عند العرب. فلهم ايجاد الفاظ يرضى عن استعمالها الذوق السليم

وكما تجب مراعاة الذوق من جهة المعنى تجب مراعاته من جهة اللفظ ايضاً. فمن المحال ارغام جمهور الكتاب والمتأدبين على استعمال ألفاظ غير مأنوسة او كريهة في السمع كما هي الحال في الارزيز والطرطران والطرز. والغريب في اللفظة الاخيرة ان ارباب المعجمات قد اختلفوا في تفسيرها. قال صاحب القاموس الطرز البيت الصيني بلغة بعضهم، ومثله قال صاحب اللسان. اما في المخصص فقد جاء ان الطرز البيت الصيني واتفق الجميع على ان اللفظة فارسية معربة. ولكن مع عجمة هذه اللفظة والاختلاف في تفسيرها لم يرَ الجمع بأساً من تفريرها المدلول كلة « فيلا ». ولا أعلم ما الذي أحرج المجمع فأحوجهُ الى ركوب هذا المركب الذي اقل مافيه ابدال كلة اعجمية بكلمة اعجمية وقد كان له غنىً عن ذلك في لفظة « دارة ». قال في القاموس: « الدارة المحل يجمع البناء والعرصة وهي أخصّ من الدار. ولم يذكر صاحب القاموس ما تتميز به الدارة عن الدار. ولكن دارات العرب مشهورة، وقد كانت مواقعها خارج المدن. وتفزّل الشعراء بها دليل على انها كانت على جانب من الأناقة. وكل هذا ينطبق على تحديد كلة « فيلا » جاء في تفسير هذه اللفظة في معجم لاروس une maison de campagne élégante فهل من خروج بعد هذا في تخصيص لفظة دارة لهذا المعنى لا سيما وفيها ما فيها من اللطف والرشاقة

ان اهم شرط في حياة ما يوضع من الالفاظ الحديثة هو ان يراعى فيه ذوق العصر الذي عن عاشون فيه. وإن قريشاً لم تتغلب لغتها على سائر اللغات في شبه الجزيرة لكونها أفصح العرب فالنبيّ انما استرضع في بني سعد، بل ان لغتها تغلبت لانها كانت أعلم العرب باختيار الفصيح من الالفاظ اي انها كانت اصحهم ذوقاً فكانت تنتقي من الفاظ العرب عند اجتماعهم في مكة ألطفها وقعاً على الآذان. وبهذا استظهرت لغتها على غيرها من لغات القبائل وتمت بها الوحدة المنشودة. فالواجب السير على هذه الخطة عند وضع الالفاظ الحديثة ليكون العمل مثمراً

***

وأختم كلامي الآن بشكركم أيها الحضور الكرام على ما أوليتموني من فضل اصغائكم، والدعاء للعاملين في سد حاجات هذه الامة بالتوفيق في مسعاهم، لتظل هذه الأمة الشريفة متابعة سيرتها الاولى في خدمة الحضارة والعمران، قائمة بالفرض الذي يطلب منها على تقلبات العصور والازمان

حشرة سان يوزى

وصولها الى مصر في ابريل الماضي

للدكتور محمد منير بهجت
وكيل المحجر الزراعي المركزي بوزارة الزراعة

(تمهيد) ترتدُّ تسمية هذه الحشرات بالقشرية الى الغلف التي تغطي معظمها . وقد تكون هذه الغلف قطنية او قرنية او جلدية او دقيقية او شمعية وتختلف شكلاً وحجماً ولوناً

والحشرات القشرية انواع كثيرة تنقسم تبعاً لتركيب غلفها الى حشرات ذات قشور صلبة وحشرات قطنية وبق دقيقي وحشرات رخوة او جلدية

لا تلبث هذه الحشرات عقب توالدها بالتفريخ بأيام قلائل حتى تكون مغطاة دائماً بالقشرة المميزة لنوعها ويختلف عدد سلالاتها السنوية ووقت تفريخها وخواص اطوارها الاخرى باختلاف نوعها وموسم ظهورها وموطنها . فبعض الحشرات القشرية يقتصر في تغذيه على نبات واحد في حين ان البعض الآخر يتغذى باصناف من النباتات عديدة . والحشرات القشرية تصيب جذور النباتات وسوقها الاصلية وفروعها واغصانها وأوراقها وثمارها . وتمتص العصارة من السائج النبات بأجزاء الفم وهي شبيهة بالابر وبعضها يفرز مادة عسلية كالندى تجتذب النمل والنحل والزنابير وغيرها وقد ينمو بعض الفطر على هذه المادة العسلية فيبدو الجزء المصاب من النبات مغطى بمسحوق اسود يشبه « الهباب »

(توزيعها الجغرافي) موطن حشرة سان يوزى (Aspidiotus perniciosus comst.) الصين. وهي تملك بالخوخ الصيني المعروف بالمزهر في منطقة التلال الفاصلة الصين الاصلية عن منوفوليا ومنشوريا . وقد استورد المستر م . لك الذي كان قاطناً في سان يوزى بولاية كاليفورنيا في سنة ١٨٧٠ بعضاً من الشجر المصاب من هذا الخوخ فأدخل تلك الآفة الخطيرة في الولايات المتحدة الاميركية . وفي سنة ١٨٨٠ عثر كومستك على تلك الآفة ووصفها وما لبثت طويلاً حتى عم

انتشارها في تلك المنطقة من كاليفورنيا ثم تفشت في جميع الولايات المتحدة الاميركية . وبعد سنين قلائل من استقرارها وشيوعها اندُر استئصالها لتأخر القيام به . ثم نقلت على بعض شجيرات الفاكهة من الولايات المتحدة الى جزائر هاواي وشيلي واستراليا . وبعدئذ تسربت الى بلاد المكسيك والارجنتين . وهي الآن منتشرة في جهات عديدة من اليابان وزيلندة الجديدة وكنايا وجنوب افريقيا واوربا الوسطى ورومانيا واسبانيا والبرتغال علاوة على ما ذكر . وفي اوائل سنة ١٩٣٢ عثر عليها باسواق الفاكهة في باريس على تفاح اميركي . وفي ٨ مارس من تلك السنة نفسها صدر قرار وزاري فرنسي بمنع دخول جميع انواع المصابة بهذه الحشرة فلم يعثر عليها بعدئذ في فرنسا . وفي أوائل ابريل سنة ١٩٣٧ عثر عليها لاول مرة على تفاح استرالي وصل الى جمرك بور سعيد ليباع في مصر . وفي أواخر ابريل من السنة نفسها عثر عليها ايضاً على شحنة كبيرة من التفاح الاميركي بجمرك الاسكندرية . أما الشحنات المشار اليها فقد حجزتا في جمرك بور سعيد والاسكندرية

هذا وحشرة سان يوزي ليست من حشرات مصر ولم توجد بها مطلقاً

﴿ أطوارها ﴾ ان هذه الحشرة بعض الطرف عن غرابة أطوارها التي هي أشبه شيء بقصة خيالية تتوالد فتكثر بسرعة مدهشة . فقد أحصي النسل الناشيء عن أنثاها الواحدة فاذا هو زهاء ٤٠٠و٨٠٠و٢١٦و٣ حشرة في الموسم الواحد اذا ما صادفتها أحوال جوية ملائمة ولم تهلك أية حشرة منها

وصغار الحشرات تولد احياء . وقد يصل العدد المتولد من الحشرة الواحدة الى ٤٠٠ احياناً . أما عدد أحيائها فأربعة في السنة غالباً . وهذه الحشرة وان كانت تشاهد بجميع أطوارها المختلفة على النباتات في فصل الخريف الا ان معظمها ينعدم في الشتاء سوى القليل من صغارها التي تمضي الشتاء وهي مستكنة . فاذا ماجاء الربيع شرعت في امتصاص العصارة وكبرت في حجمها حتى يتكامل نموها وعندئذ تبدأ أنثاها في وضع صغارها بمعدل ٩ او ١٠ كل يوم مدى ستة أسابيع . وقبل توقف الامهات عن الولادة بأسبوع تشرع صغارها التي ولدت في الاسبوع الاول وتكامل نموها في الولادة وهكذا . هذا والصغار بعد ولادتها بساعات تبدأ في امتصاص العصارة ثم تشرع في افراز كتلة من الألياف القطنية أو الشمعية لا تلبث حتى يتدخل بعضها في بعض فينشأ عنها الغلف القشرية للحشرات

والغطاء في أول الأمر أبيض مستدير في وسطه نتوء صغير ثم يسود خلال أسبوعين أو ثلاثة وأخيراً يصير ذا لون سنجابي . والاناث وحدها تفقد أعينها أثناء الانسلاخ الاول في حين أنها والذكور معاً تفقد فيه أرجلها وقرون استشعارها . وهذه الذكور ذات أعين أرجوانية

اللون كبيرة وهي تتحول بالتدريج بعد انسلاخين آخرين الى حشرات كاملة لها أجنحة رقاق لونها برتقالي . أما الاناث فتظل كل واحدة منها مستديرة الشكل منبسطة وتتزاوج مع الذكور بعد انسلاخها الثاني

﴿ وصفها ﴾ الحشرة الانثوية البالغة تكون مستديرة تقريباً ومحدبة قليلاً وفي حجم رأس الدبوس قاتمة اللون في صغرها سنجابية عند بلوغها ذات حلمة سوداء في وسطها تحيط بها قناة سنجابية قاتمة اللون . اما الحشرة الذكرية فقاتمة اللون سنجابية تضرب الى السواد وأصغر من الانثى كثيراً وطولها نصف عرضها

وحشرة سان يوزي ويقال لها ايضاً حشرة التين القشرية عبارة عن قشرة وحشرة حقيقة . فالقشرة ضئيلة الحجم غير ظاهرة ولكن يسهل تمييزها على انسلاخ النبات الطرية بوجود بقع جرحول قواعدها . اما الحشرة نفسها فقد توجد تحت هذه القشرة الواقية لها وقد لا توجد وهي رخوة الجسم صفراء كالليمون وانثاها مستديرة تقريباً بينما الذكر اكثر استطالة منها واطوار هذه الحشرة تستوعي النظر لان الذكر منها وهو في طور الشرنقة يختلف كثيراً بعد الانسلاخ الاول عنه في الانثى . فالذكور لها اعين ارجوانية كبيرة في حين ان الاناث ليس لها اعين مطلقاً وهذا ما قد اصطلح عليه ربلي « بالطور السابق الشرنقة » الذي توجد فيه وسائد للاجنحة بينما تكون الاخاذ قصيرة غليظة . اما الطور التالي المعروف بالشرنقة الحقيقية فتستطيل فيه قرون الاستشعار والارجل . اما الحشرات الكاملة فتخرج من تحت قشورها متراجعة الى الخلف وفي حالة الاصابة الشديدة تكون الاجزاء المصابة مغلفة تماماً بقشور متضامة تعيش تحتها الحشرات

﴿ النباتات التي تعولها ﴾ جميع الحشرات القشرية تلحق الضرر بالنباتات على نمط واحد هو امتصاص العصارة وتجريد انسجة النبات من الغذاء . وهناك تأثير فسيولوجي ينشأ عن مواد تفرزها الحشرات القشرية في النباتات لكنهُ قليل الشأن لان الشجرة التي لم تضعف جداً لفقدان الغذاء تنتعش ثانية متى ابيدت الحشرات . وقد تقضي القشور الشجرة المصابة اذا تركت وشأنها بغير علاج سنة او سنتين فاذا ما مضى عليها سنتان أخريان ماتت او صارت عديمة الفائدة

وتوجد حشرة سان يوزي على اي جزء من النبات وفي حالة اصابة الثمار بها تشاهد عادة مجتمعة حول عنق كل ثمرة وتسبب عليها بقعاً حمراً صغيرة وكذلك الحال في اللحاء الداخلي للشجرة المصابة حيث يكون في الغالب مصطبغاً باللون الارجواني في مواضع تجمع هذه الحشرات

وسرعة توالد هذه الحشرة مع سهولة « تأقلمها » تجعلانها شديدة الخطر وهي تعيش في مختلف الاجواء حارة وباردة رطبة وجافة وغذاؤها يختلف باختلاف مواطنها ولكنهُ ينحصر في شجر الفاكهة والزينة وفي الاعشاب

كانت حشرة سان يوزي في اول الامر آفة شجر الفاكهة ولا سيما الخوخ الذي ما زال عرضة للاصابة الشديدة بها . وكذلك صنف الكمثرى المعروف بالدوشس Duchess والصنف الآخر المعروف بالبارتلت Bartlett تشتد اصابتهما بها بينما صنف الكمثرى المسمى كيفر Kieffer يظل منيعاً . اما البرقوق المعروف بالبلو دامسون Blue Damson فاكثر قابلية للاصابة بها من اصنافه الاخرى . والسفرجل والتفاح عرضة للاصابة بها ولكن صنفي التفاح المعروفين بين ديفس ويلوترانسبرانت Ben Davis & Yellow Transparent اكثر عرضة للاصابة من اصنافه الاخرى العادية . اما شجيرات الريبس Currant bushes فاذا ما اصابتها هذه الحشرة تلفت او ماتت . وقد يصاب بها الكريز الحلو اما اصنافه الحمضة فنيعة نسبياً . وكروم العنب لا تصاب عادة لكنها قد تصاب اذا ما غرست بجوار اشجار اصابتها شديدة . وتوت امريكا المعروف باسم مالك لورا اورانتيا كا Maclura aurantiaca واسمه الانجليزي اوسج اورنج Osage orange اذا ما غرس كسياج بأني اصيب اصابة شديدة واتخذته الحشرات القشرية مكاناً امناً لا يضارع لتوالدها — واصناف الورد العديدة عرضة للاصابة عادة اما الاشجار الآتية وهي الاجاص المسمى (Pyrus aucuparia Mountain Ash) وشجر لسان العصفور الابيض المسمى (Fraxinus alba or F. americana) White Ash وشجر البيلاق المسمى Lilac (Syringa vulgaris) وزهاء مائة نوع آخر من اشجار الغابات عرضة للاصابة بها

﴿ وسائل انتشارها ﴾ (١) بمجرد زحفها على الفروع المتعانقة (٢) بواسطة الرياح الشديدة (٣) بحملها على اقدام الحيوانات واجسامها ولاسيما الطيور والحشرات التي تفوقها حجماً (٤) على شجيرات الغرس المصابة (٥) بالشحنات الزراعية المصابة المستوردة من الخارج

﴿ طرق مقاومتها ﴾ من المعلوم ان ابادة بويضات الحشرات بالرش اصعب من ابادة الحشرات نفسها التي لا بد لها من استنشاق الهواء حتى ولو كانت الاخيرة في حالة كمون جزئي

وقد اشرت الى ان حشرة سان يوزي لا تقضي فصل الشتاء في طور البيضة فالحشرات الصغيرة تكمن في فصل الشتاء تحت قشورها . ولما كانت حشرة سان يوزي القشرية لم يعثر عليها مطلقاً في مصر فانهُ اذا اتفق وتسربت الى داخلية القطر من النطاق الجركي بسبب ما فلا بد من اتخاذ الوسائل الفعالة الآتية لمقاومتها : —

١ — ان يكون رجال الحجر الزراعي بالجمارك على حذر من ان تتسرب حشرات اخرى الى داخلية القطر

٢ — الامتناع عن شراء شجيرات الفاكهة من المشاتل المصابة

٣ — علاج شجيرات الغرس المصابة بالمشاتل في كل سنة حتى تستأصل الحشرات القشرية

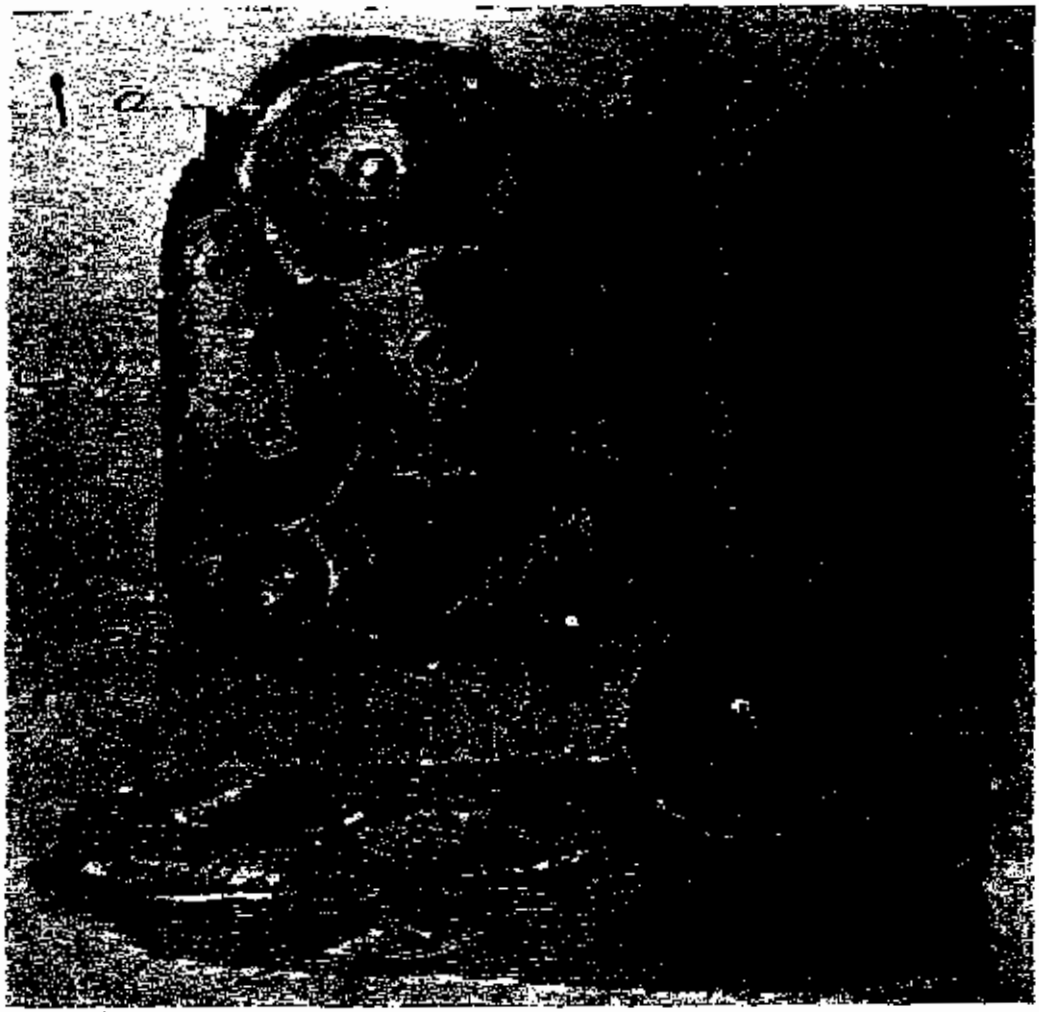

حشرة سان يوزي النشرية « ا » الحشرة الانثوية البالغة « ب » الحشرة الذكرية « جـ » الحشرات الصغار « د » اليرقة عقب تولدها « دَ » اليرقة نفسها مكبرة كثيراً « هـ » قشرة مرفوعة ليشاهد جسم الحشرة الانثوية تحتها . وهي جميعاً مكبرة كثيراً أخذا عن (كوينتانس)

٤ — تقليم النباتات المصابة التي يمكن انقاذها في الساتين وحرق مخلفات التقليم
٥ — قلع جميع الاشجار المصابة التي لا يرجى نفعها وحرقها
٦ — احكام رش الاشجار المصابة في فصل الشتاء بمحلول الجير والكبريت او بعض المستحلبات الزيتية
٧ — الاستمرار في الرش سنة فسنة طالما عز على اي اثر للحشرة القشرية
٨ — عمل الترتيب اللازم لمكافحة هذه الحشرة بالوسائل البيولوجية

﴿ الرش ﴾ الطريقة الشائعة المعول عليها لمقاومة الحشرات القشرية هي الرش . وقد وجد ان الرش بالمواد المناسبة في الوقت اللازم اذا أجري كما يجب مرة في السنة كان كفيلاً بقمع الحشرة ومنع ضررها . اما المواد المجربة والمعتبرة خير المواد لرش حشرة سان يوزي القشرية فهي مخلوط الجير والكبريت وكذا بعض المستحلبات الزيتية . اما المواد الاخرى كالصودا الكاوية وزيت السمك والصابون والكيروسين التي ومستحلباته ومنتجات البترول المنوعة والمستحضرات المعروفة بمبيدات الحشرات القشرية فهي أقل تأثيراً مما تقدم

﴿ العلاج بالنفس ﴾ تستعمل هذه الطريقة فقط في علاج شتلات الغرس . فالنفس في المواد الموافقة اذا توافرت فيه جميع الشروط اللازمة يقتل أية حشرة قشرية قد تكون على الشتلات وقت العلاج من دون ان يلحق بها أي ضرب . والمحلول الذي يستعمل هنا هو بوجه عام المحلول المستعمل في الرش الا انه يكون عادة اكثر تركيزاً والشائع هو استعمال محلول الجير والكبريت والزيوت القابلة للذوبان ومستحلب الكيروسين والارجح منها هو الاول فهو أقل خطراً وفعله يضارع فعل أي واحد منها . ولا بد من تخفيف المستحضرات التجارية لمحلول الجير والكبريت بنسبة جزء واحد منه الى كل سبعة أجزاء من الماء . ومدة النفس هي دقيقة واحدة وبعد ان توضع الشتلات المعالجة على مسطح منحدر بحيث تكون قمتها الى اسفل ليصفى عنها السائل . وينبغي ان لا تغمس الجذور لكيلا يلحقها تلف ولا ضرر اذا تصادف وقوع بعض السائل على الجذور الكبيرة ويراعى ان تكون الشتلات المعالجة في حالة كمون تام . ويلزم عند استعمال الزيوت القابلة للذوبان ان تخفف كما لو اريد استعمالها في عملية الرش — اي تخفف بنسبة جزء واحد من الزيت لكل خمسة عشر جزء من الماء . اما عند استعمال مستحلب الكيروسين فيجب تخفيفه بنسبة جزء واحد من المستحلب لكل سبعة اجزاء من الماء

﴿ التدخين ﴾ يحسن تدخين شجيرات الفاكهة قبل نقلها من المشتل الى محلها الدائم بالبستان . والعادة ان يستعمل غاز الحامض الهيدروسيانيك بالنسبة الآتية لكل مائة قدم مكعبة من الفراغ

سيانيد الصوديوم (٩٥ ٪ نقاوة)	ارقية
حامض الكبريتيك النقي	اوقية
ماء	اوقيتان

ولا بد من استمرار عملية التدخين مدة تتراوح من نصف ساعة الى ثلاثة ارباع ساعة ويجب ملاحظة عدم التدخين وشجيرات الفاكهة مبتلة لان وجود الرطوبة يجعلها عرضة للتلف — كذلك يتحتم اجراء التدخين في صناديق او غرف محكمة الاغلاق — هذا وقد دلت التجارب على ان التدخين اذا جرى بدقة واتبعت فيه الشروط السابقة لا بد من ان يقتل الحشرات القشرية التي على شجيرات الفاكهة المعالجة بدون احداث اي ضرر بها

***

﴿ الوسائل البيولوجية ﴾ تظل حشرة سان يوزى القشرية مغلوبة على امرها في موطنها الاصلي (الصين) بواسطة الحشرة الاسيوية المسماة Chilocorus simulis Rossi وكثير من الحشائش التي بالولايات المتحدة الاميركية تتغذي بحشرة سان يوزى القشرية واكثرها نشاطاً الحشيشاء المعروفة باسم Chilocorus bivulnerus Mulds والنوع الصغير جداً الاسود اللون المسمى Microweisea misella Lee. وكل من الحشرات الكاملة واليرقات للحشائش المشار اليها تتغذي بحشرة سان يوزى القشرية. وفي ولاية ماسشوستس من الولايات المتحدة الاميركية قامت حشرة Prospaltella perniciosi Tower بالتغذي متطفلة على حشرة سان يوزى القشرية فكان له من اعظم الاثر في تلاشيها. هذا وقد رتى الدكتور هاورد الحشرات الطفيلية الآتية أخذاً من حشرة سان يوزى القشرية وهي : —

Physcus varicornius How.,	— ٥	Aphelinus fuscipennis How.,	— ١
Prospalta suranti How.,	— ٦	Aphelinus mytilaspidis Le B.,	— ٢
Alberus clisiocampae Ashm.,	— ٧	Aspidiophagus citricus How.,	— ٣
Rhopoideus citricus How.,	— ٨	Amphes gracilis How,	— ٤

هذا وبعض الطيور الصغيرة قد تتغذي بحشرة سان يوزي من وقت الى آخر

ثم ان حشرة سان يوزي القشرية وكثيراً من الحشرات القشرية الاخرى عرضة للاصابة بأنواع الفطر . وقد قام الفطر المعروف باسم Sphaerostilbe coccophila بما كان لهُ الاثر الجليل في عرقلة انتشار حشرة سان يوزي القشرية بولايات فلوريدا وجورجيا والولايات الاخرى التي تحيط بخليج المكسيك

ولا يخفى ان الرطوبة من اهم ضروريات نشأة هذا الفطر وتعطله

كيمياء الفيتامينات

التعريف لعنصرها بالتركيب الكيماوي
ومكانة الضوء والاشعة التي فوق البنفسجي في ذلك

هذه العوامل الخفية في مواد الغذاء، التي تحول دون بعض الامراض، وتشفي بعضها، وتحصن الجسم فلا تناله العدوى من دون كفاح، لقد عرفناها بتأثيرها، وتبيناها في الاغذية التي تكثر فيها، فما هي على حقيقتها، والى اي المركبات الكيماوية تمتُّ بصلة، وهل من الممكن عزلها ومعرفة تواليها ثم تركيبها بحيث تؤخذ في كل بلاد مهما تباين الاقليم واختلف الغذاء وتطيب لكل خلق سواء أفي زيت السمك كانت ام في غيره من مواد الغذاء الدسمة والمطيبة ؟

من اروع المشاهد في النفس في تاريخ العلم الحديث تسابق العلماء وتنافس العاملين في حل مشكلة طبية عند ما تتضح لهم عناصر تلك المشكلة : بل وقبل ان تتضح . لذلك قضى العلماء نحو عشرين سنة من ١٩٠٨ الى ١٩٣٠ وكأنهم يتلمسون في شكل الفيتامين طريقهم في الظلام . فعجزوا عن عزل الفيتامين وصنعه بالتركيب الكيماوي . ثم اعلن خلال بضعة اسابيع في سنة ١٩٣١ ان فيتامين D قد استحضر بلورات نقية في لندن وجوتنجن وهولندة وايثاسفيل بأميركا

كان الطريق الى النجاح طريفاً وعراً . اتيحت الفرصة في غير منعطف واحدر من منعطفاته لكشف السر، ولكن ما كان معروفاً عن الفيتامين، لم يكن وافياً، فضيعت الفرصة، وظلت المشكلة قائمة . ففي سنة ١٩٠٨ وضع احد الباحثين ثمانية جراء كلاب في حجرة مظلمة فأصيبت بالكساح، حالة ان جراء اخرى تركت طليقة فلم تصب بها، مع ان الطائفتين كانتا تتغذيان بغذاء واحد . وأثبت باحث آخر سنة ١٩١٢ ان جراء الكلاب تصاب بالكساح اذا حرمت من ضوء الشمس . ولاحظ هري ستيبوك احد مساعدي ماكولم الأول عند ما كان في وسكنسن [١] ماعزاً يمثل الجير وينيه في مظاهيه مدى اسابيع وهو يمرح في ضوء الشمس، ثم جعل يفقد هذا الجير عند ما حبس في حجرة مظلمة مع ان غذاءه كان واحداً في الحالين . ولكنه لم يمض في البحث لان الكلاب التي جرب فيها امتحان هذه المشاهدة لم تسفر عن نتيجة فانصرف عن

(١) راجع مقتطف مايو ١٩٣٧ صفحة ٥٣١ — ٥٣٢

هذا الموضوع الى آخر . وفي سنة ١٩٠٨ لاحظ هولدتشنكي احد اطباء برلين ان الكساح اقلّ في الفصول المشمسة منهُ في الفصول الغائمة الماطرة

فقال هولد تشنكي : لعل ضوء الشمس هو العامل الفعال في توليد الفيتامين ، وقد تمكن فعلاً من شفاء اطفال المانيا مصابين بالكساح ، بتعريضهم لاشعة منبثة من مصباح بخار الزئبق

ثم ثبت لباحثة تشتغل بمعهد لستر بلندن ، ان المادة المقاومة للكساح في زيت السمك هي نفس المادة التي تولّد بفعل الضوء . ونشرت بحثها في سنة ١٩٢٢ فاذا فيهِ وصف تجارب جرّبتها فشفت جرذاناً مصابة بالكساح ، بتغذيتها باكباد الجرذان بعد تعريضها للاشعة المنبثة من مصباح بخار الزئبق . ولكنها لم تتابع البحث فوقفت عند هذا الحدّ . وفي السنة التالية (١٩٢٣) تمكن ثلاثة من الاطباء الداعين الى عبادة ضوء الشمس من الناحية الصحية ، من كشف فعل ضوء الشمس الفسيولوجي، كلٌّ على حدة ، وهم الفرد هس بنيويورك وغولدبلات بلندن وستينبوك بماديسن ومكنصن . فقد وجّه ثلاثتهم الاشعة التي فوق البنفسجي الى مواد غذائية لا تحتوي الاّ على يسير من فيتامين D فكثر هذا الفيتامين فيها

وكانت طريقة ستينبوك غاية في البساطة . فقد ربّى هو ومعاونهُ بلاك جرذاناً في حجرة مظلمة، وغذاها بطعام يسبب الكساح وكان طعاماً مركّباً وفقاً لوصفة وضعها ماكولم الخبير العالمي في هذا الموضوع ، فظهرت اعراض الداء على الجرذان . تعرّض ستينبوك عندئذٍ عناصر الغذاء للضوء، ثم غذّى بها الجرذان المسجونة في الحجرة المظلمة والمصابة بالكساح ، فشفيت منهُ . فجرّب هذا الاسلوب في اطعمة اخرى ، ليس فيها فيتامين (د) او هو يسير جدًّا فيها ، فصحّ . فسجّل طريقتهُ هذه في سجل «الباتنته» الاميركي واستخرج امتيازاً باستعمالها ، وغرضهُ على ما قال وقاية الجمهور من استعمال الشركات المختلفة لهذه الطريقة استعمالاً قد لا يكون صحيحاً ولا سليماً . وكان رقم هذا الامتياز ١٦٨٠٢٨١٨ فخوّله عند الفوز به الى جامعة وسكنصن ، بيعاً لاحدى هيئاتها الرسمية الاتفاق مع الشركات التي تبغي استعمالها ، اتفاقاً يضمن استعمالها الصحيح . وما يجني من هذا الاتفاق ينفق على تشجيع المباحث العلمية في الجامعة نفسها

وعلى الرغم من كلّ هذا ، وجه اعتراض شديد لحصر ثمار البحث العلمي المجرّد ، وتكبلها بامتيازات خاصة ، لان هذه الثمار يجب ان تباح للناس

واذن فالضوء قد ركب في هذه المواد شيئاً جديداً فيها . فظنّ ستينبوك ان «الكولستيرول» Cholestecol هو موطن هذا التركيب . والكولستيرول مادة توجد في جميع الخلايا الحية . فلما أخذ الكولستيرول وعرّض للاشعة التي فوق البنفسجي ظهر انهُ لا يشفي الحيوانات المصابة بالكساح . فانصرف ستينبوك عن هذا البحث الى آخر وهو سبب فقر الدم في الجرذان وشفائه.

ولكن غيره والى البحث . وفي سنة ١٩٢٦ أذيع من ثلاثة معامل في انكلترا والمانيا وأميركا ان المادة التي يحوّلها الضوء الى فيتامين هي المادة المعروفة باسم «ارجستيرول» Ergosterol وكان من المتداول بين العلماء ان مادة «الارجستيرول» هذه توجد في انسجة النبات والحيوان في مقادير يسيرة جداً هي أقل من واحد في المائة . وهذه المادة ليست دهناً كما ظنّ أولاً بل من طائفة من المواد العضوية تعرف باسم «ستيرول» وقد وصفت بأنها «جدر شجرة الحياة ومن فروعها الفيتامينات والاتوار (الهرمونات) والازيمات (الانزيم مادة كيمياوية معقدة يولدها الجسم العضوي لكلية الخميرة فتستطيع ان تحدث تحوّلاً كيمياوياً كتخمير السكر)

فلما وجد العلماء أمامهم مادة كيمياوية معينة أكبوا على البحث . وفي ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣١ أذيع أول نبإ من أنباء النجاح . ذلك أن أدولف فندوس Windaus الاستاذ بجامعة غوتنجن وحائز جائزة نوبل الكيمياوية ، تمكن من تحضير فيتامين D في بلورات خالصة من الشوائب بتعريضه «الارجستيرول» للاشعة التي فوق البنفسجي ثم استخلاص الفيتامين D منهُ . وقد وجد فندوس انهُ اذا عرّض «الارجستيرول» لامواج معيّنة من الاشعة التي فوق البنفسجي تمكن من الحصول على بلورات تكفي ثلاثة أجزاء من بليون جزء من الجرام منها لشفاء الكساح حالة أنّ جزءاً من خمسة آلاف جزء من الجرام منها يفعل فعل السم . ولم ينقض شهر على ذلك حتى أذاع المعهد القومي للبحث الطبي بلندن استحضارهُ بلورات فيتامين D ودعاها «كالسيفيرول» Calciferol وجرى مستغلاً في تحضيرها على نفس الطريقة التي جرى عليها فندوس أي بتعريض الارجستيرول للاشعة

ثم اعلن باحث اميركي يدعى تشارلز بلز Bills — وقد كان أحد تلاميذ ماكولم — انهُ تمكن من تحضير فيتامين D بالتركيب الكيمياوي وذلك بمعالجة الارجستيرول بناز اكسيد النتروجين (نتريك أوكسيد)لا بتعريضه للضوء . الا ان الفيتامين الذي حضره لم يكن نقيًّا ، ولكن وجه الخطر في اذاعته ، اذا صحّت ، انهُ اول من صنع الفيتامين بالتركيب الكيمياوي لا بالاشعاع . ولا يزال الباحثون يجدون وراء التركيب الكيمياوي لفيتامين D من حيث ترتيب الذرات المختلفة في جزيئه

وما كاد فندوس يطمئن استفراده لفيتامين D التي حتى اذاع باحث في جامعة بتسبرج يدعى كنغ King فوزهُ بفيتامين C في بلورات نقية . فسبق في ذلك طائفة من اشهر العاملين الكيمياوية المعنية بالموضوع في انحاء العالم

اقبل كنغ على هذا البحث سنة ١٩٢٥ وكان من المسلم به ان الليمون الحامض غني بفيتامين C المقاوم للاسكربوط . ولذلك عني به جماعة من العلماء يحاولون ان يستخرجوا منهُ هذا الكنز الصحي . ولكن البحث أعياهم فانصرفوا عنهُ . اما كنغ فلم يتطرق التعب اليه . فأخذ عصير عشرات من « ليمون » الليمون وجرّب بكل وسيلة من وسائل الكيمياء ان يستخرج منها الفيتامين

الثقل . وكانت كلّ مرتبة من مراتب تجربته خاضعة لقواعد الضبط العلمي . وكان قد خطر لهُ ان الاوكسجين يتحد بفيتامين C فيتلفهُ فصنع أجهزة تمكنهُ من عزل العصير عن الاوكسجين باحلال النتروجين محل الهواء في أجواء الآنية التي كان يشتغل بها . واستعمل الارانب الهندية لامتحان فعل العصير في مراتبه المختلفة . وكان كلما قلّ العصير باستبعاد الاجزاء السائلة منهُ ، يمتحنهُ لتحقق هذه الارانب به ، فرأى فعلهُ في مقاومة الاسكربوط يزداد فاعتقد انهُ اصبح قريباً من الفوز بالمادة النقية

وفي ٤ ابريل سنة ١٩٣٣ بعد سبع سنوات من البحث المضني المستمر ، استفرد كنغ من لتر كامل من عصير الليمون خمسين مليغراماً من بلورات أثبت انها بلورات فيتامين C النقي

وبعد ذلك أكبّ كنغ على حلّ هذه المادة النقية لمعرفة تركيبها الكيمياوي فثبت لهُ انهُ (ك ٦ يد ٨ ا ك ٦) $C_6H_8O_6$ وهذه المادة تباع الآن باسم سيبيون Cebione وتؤخذ عن طريق الفم في حبوب كل حبة منها سنتغرام (جزء من مائة من الغرام) ويقال انها تحتوي على مقدار من فيتامين C يعدل مقداره في ملء قدح من عصير البرتقال (٣٠ سنتمتراً مكعباً) . ثم تناول بول كارر احد علماء زوريخ البحث في ترتيب الذرات في جزيء من هذا الفيتامين ويقال ان كيمياويًّا انكليزيًّا ضمهُ بالتركيب الكيمياوي بعيد ذلك

وبعد ذلك توالى استفراد انواع الفيتامين الاخرى فولد فيتامين A بتعريض الكاروتين (المادة التي تسبب اللون الاصفر في الجزر وهي مادة عضوية) لامواج الضوء من طول معين على نحو ما ولد فيتامين D بتعريض الارجستيرول للاشعة التي فوق البنفسجي ثم استخلص الفيتامين نقيًّا منها . وصاحب هذا البحث يدعى درمند Drummond وهو احد كيمياويي لندن

اما صورة فيتامين A الكيمياوية فهي كما يلي : ك ٢٠ يد ٢٩ ا ك يد $C_{20}H_{29}OH$ ولكن ترتيب الذرّات في الجزيء لم تُعرف معرفتهُ بعد . ومن التراتب ان فيتامين A في حالته النقية زيت كثيف ثقيل الوزن وقد وجد في الدم والكبد والطحال والكظرين (الغدتين اللتين فوق الكليتين) وبعض اعضاء اخرى . والرأي ان هذه الاعضاء تتناول الكاروتين من الطعام فيتحوّل الى فيتامين A بفعل انزيم خاص يفرزن

وتلا ذلك تحضير فيتامين B الخضّر فندوس الالماني مادة ظن انها بلوراتهُ النقية وذلك في سنة ١٩٣٢ ولكن رويرت ولمز الاميركي ، فاز في يناير سنة ١٩٣٥ ببلورات فيتامين B النقية من قشور الرز . ويمتاز ولمز على غيره من الباحثين بانهُ حقق ترتيب الذرّات في جزيء الفيتامين الذي استفرده وصورتهُ الكيمياوية $C_{12}H_{16}N_4OS$

وفي شهر أغسطس من السنة نفسها (١٩٣٥) أعلن افاز استفرادهُ لفيتامين E واستخلاصهُ في بلوراته النقية . ولا يخفى ان لهذا الفيتامين صلة بالتناسل من جهة (راجع مقتطف يونيو

١٩٣٧ ص ٣٥) وبالسرطان من جهة أخرى. ذلك ان باحثاً كنديًّا تبين في سنة ١٩٣٤ ان الفئران التي تتغذى بغذاء يكثر فيه فيتامين B لها تصح أشد مناعة من غيرها وأقل تعرضاً للاصابة بالنواحي السرطانية . ويؤيد هذا ان باحثاً في جامعة ايينوي لاحظ ان الفراخ التي تتغذى بغذاء يموزه هذا الفيتامين تبدو فيها نواح شبيهة بالنواحي السرطانية . فاستفراد هذا الفيتامين وتحضيره بالورات نقية سيسهل ولا ريب البحث العلمي المضبوط في هذين الموضوعين الخطيرين ، التناسل والسرطان

أما فيتامين G فلم يستحضر بعد نقيًّا من الشوائب وتركيبهُ غير معروف . فقد ظن أولاً ان فيتامين B و G واحد وظلّ الرأي كذلك حتى أثبت جولد برجر وغيره من رجال مصلحة الصحة الاميركية ان هناك فيتامينين في فيتامين B الذي يذوب في الماء وما يعرف الآن بفيتامين G مؤلف في عرف بعض الباحثين من مادتين كيمياويتين لا بدّ من تلازمهما لمنع البلاجرا

اما فعل فيتامين G في منع البلاجرا فلا يزال فيه مجال للبحث ، ورأي جولد برجر لم يقبل بحذافيره . ومن هنا بعض الغبة دون التوصل الى استفراد هذا الفيتامين ومعرفة تركيبه الكيمياوي

ان البحث في الفيتامين على النمط المتقدم ليس فوزاً لعلم الكيمياء البيولوجية فحسب ، بل هو فوز كذلك للعلم المطبق في الصناعة . فمادة الارجستيرول المعالجة بالاشعاع لتحويلها الى فيتامين D تدخل الآن في غذاء ألوف الألوف من الصغار وكذلك الخبز المشبع به وهو يصنع باشراف مهندسين طبيين بالولايات المتحدة وكندا . ثم ان الناس يستهلكون كل سنة مقادير كبيرة من الحميرة واللبن الجاف والبسكويت وغيرها من الاطعمة بعد اضافة الفيتامين D اليها او توليده فيها . وتتغذّى الابقار بالحميرة التي وُلّد فيها الفيتامين بالاشعاع ليزيد مقدار الفيتامين في لبنها وقد عمدت طائفة من مصانع الالبان الى تعقيم اللبن بأسلوب كهربائي خاص بحيث يحتفظ بما فيه من الفيتامين

هذه بعض الحقائق المتصلة بموضوع الفيتامين ، وهي على ما يرى القارىء كثيرة ومتنوعة ، وليس بهمّهُ منها بوجه خاص الاّ ما كان لهُ علاقة بغذائه . ولعالم ما كولم كلمة مأثورة في هذا الصدد قال : « كُلْ ما تشتهي بعد أن تأكل ما يجب » . فما الأطعمة التي يجب أن تأكلها ؟ اللبن والخضراوات الورقاء والفواكه والبيض ومقادير معتدلة جدًّا من اللحم . هذه هي الاطعمة التي تقيك من الأمراض الناشئة عن نقص الغذاء . ويجب ان يضاف اليها في حالة تغذية الاطفال والحوامل والمراضع زيت السمك وكل ما يحتوي على فيتامين D لأن مقدار هذا الفيتامين في الاغذية المختلفة التي يوجد فيها ليس كبيراً

قال الحكيم الفرنسي قديماً « ان الموت يدخل من الفم » . وأثبت العلم الحديث ان طائفة كبيرة من الأمراض التي تصاب بها صغاراً وكباراً سببها نقص التغذية . هنا حكمة القدماء وعلم المحدثين مجتمعين !

المدرسة والطالب

والوطن

للدكتور تشارلس وطس
رئيس الجامعة الاميركية بالقاهرة

سيداتي ، سادتي : تحت هذا العنوان ، وفي هذا الموضوع المتسع الجوانب ، اريد ان ابحث في ايجاز المرحلة الدقيقة التي تجتازها الامة المصرية اليوم ، ونصيب التربية من هذه المرحلة ، ولا سيما ما قد تستطيع الجامعة الاميركية ان تسديه من الخدمات الجليلة ، المشبعة بروح الصداقة والوداد في هذا السبيل ، وان تلك هذه الخدمات متواضعة في نوعها ، محصورة في مداها

ولنستهل البحث اولاً بقياس الحياة القومية الجديدة التي تمخضت عنها سيادة البلاد واستقلالها ، ولنساءل عن الفروق الناجمة عن هذه الحياة الاستقلالية ، وما اصبح الآن بفضلها مستطاعاً مما كان قبلها وبغيرها مستحيلاً . ان واضع هذا السؤال يمكن ان يكون احد اثنين : اولهما ذلكم الذي لا يعنيه من هذه الحالة سوى اشباع مآربه الذاتية وما يجنيه هو في هذا الموقف من النفع المادي . ذلكم الذي لا يجول بخاطره سوى الوظائف التي تفتح ابوابها امامه ، وما ينجم عنها من زيادة في المرتب ونقص في ساعات العمل . هذا هو الاناني الذي يدور محور تفكيره حول هذا الهدف : ترى ما الذي يعود عليّ انا من هذا الاستقلال ؟ واذا اتخذنا البلدان الاخرى مقياساً ، بما في ذلك بلادنا — ولايات اميركا المتحدة — فان عدد الذين يقتحمون ابواب الحكومة لنيل ما يستطيعون من الغنائم ليس بالقليل ، وليس ثمة ما يصدهم عن اشباع مطامعهم الانانية سوى سخط الرأي العام . بيد ان هناك والحمد لله ذلك النوع الثاني من ابناء الامة ، الغيور على وطنه ، الذي يتجه تفكيره شطر طريق مباين للنوع الاول . ذلك هو الرجل الذي يسائل نفسه : ما هي التبعات الجديدة التي تترتب على هذا الاستقلال ، فأتحمل تبعاتها ؟ وأنى لي ان اقوم بنصيبي منها ؟ وللاجابة عن هذا السؤال بروح الاخلاص المنزه عن الغرض ، خليق بنا أن نحلل الموقف وان نبدي ما عنّ لنا من الملاحظات الآتية :

يلوح لي بادىء ذي بدء أن فوز مصر باستقلالها التام لن يحدث في نظام حكومتها تغيراً يذكر ، وهذا أمر يظهر في غاية الغرابة ، اذا قابلنا بين مصر اليوم وولايات اميركا المتحدة في بدء

عهدها بالاستقلال . كانت تلك البلاد في ذلك الحين تتألف من ثلاث عشرة ولاية مستقلة بعضها عن بعض ، وكان عليها انشاء حكومة مركزية تضمها تحت لواء واحد . وكان عليها ان تضع دستوراً ، وتنشىء مجلساً نيابياً ، وتنتخب رئيساً للجمهورية ، وتشيد قاعدة في واشنطون ، وتؤلف وزارة ، وتنظم غير ذلك من المصالح المتشابكة التي تسير دفة الاعمال في الحكومة الاتحادية الجديدة . بيد ان مصر لحسن الحظ أسعد حالاً ، وحالها من هذه الناحية اقل تعقداً ، ومهمتها اخف عبئاً . فهي تتمتع بدستور راسخ البنيان ، ولها مليك شاب يبشر بمن طالعه بعمر مديد ، ولها مجلس نيابي قائم باعباء وظيفته خير قيام ، ولها وزارات حنكتها الايام واكسبتها دراية وخبرة منذ عهد بعيد . وليس ثمة ما تحتاج البلاد اليه من الانظمة الجديدة مما يستحق الذكر ، وليس هناك ما يدعو لاعادة التنسيق في اي مرفق من هذه المرافق . وبلاد بلغت لظمها هذه المنزلة السامية ، تبشر بنجاح اكيد في حياتها المستقلة الجديدة

وعلى الرغم من ذلك فليس هناك من يستطيع اغفال الحقيقة الواقعة ، وهي ان هذا الاستقلال حادث تاريخي مشهود ، له أسمى منزلة في حياة الامة المصرية . ويظهر شأن هذه الصفحة الجديدة في تاريخ وادي النيل الخالد جليًّا للعيان ، اذا ما شبهنا مصر بشاب يغادر لاول مرة منزله وأسرته ، ويزل في ساحة العمل مغامراً طلباً للرزق ، وامامه شبح المسئولية ماثل ، فلا يفتأ مناجياً نفسه : هل ترى يكون نصيبي الخيبة ام النجاح ؟ غير ان ابتهاجه بحياته الجديدة وحماسته المتقدة لا تفتلان عن خشيته من أعباء المسؤلية ، ذلك لأنه بدأ يشعر حقًّا بأنه هو المسيطر على نفسه ، المالك لزمامه . ولا يبرح هذا الشعور أن يقوّي في نفسه العزيمة الصادقة فيقبل التضحية بصدر رحيب أملاً في النجاح مغامراً في لجة هذه الحياة الجديدة التي أخذ يخوض غمارها

لقد عدت الى مصر منذ شهرين بعد غيبة قصيرة في أميركا ، فأذهلني ما رأيت من دلائل الروح الجديدة مبثثة في طول البلاد وعرضها ، وعلى الاخص في الناشئة . وأول ما شاهدته من هذه الروح كان في طلبة هذا المعهد حيث سمعت جمعهم ينشد في حماسة وقوة النشيد الوطني ، وشهدت بعد ذلك في دور السينما تصفيقاً حاداً كلما خفق العلم المصري على ساريات المباني والقصور . هذه المظاهر وأمثالها تنبيء بالشعور القومي الذي يمكن تسخيره للعمل والخدمة

ولا تدحة عن أن تفتقر هذه الروح الجديدة التي تبلغ فيها الحماسة والوطنية مبلغهما الى التوجيه والارشاد . لقد سبقت الاشارة الى ذلك الشعور الاناني الذي يتخذ الاستقلال سلماً يصعد به الى مآربه الذاتية . ولا يفوتنا أن ننوه كذلك بأن الوطني المثقف حماسة مع بعده عن الانانية ، وبراءة مقصده ، في حاجة ملحة الى هذا التوجيه وذاك الارشاد ، وإلا استحالت وطنيته هتافات وخطباً جوفاء ومظاهرات بغير عمل ، وبدت في ثوب قومي قشيب يبهر ظاهره

الأبصار ، وتجلت فيه مظاهر الأبهة والعظمة والابهاء ، وقد تتخذ الروح العسكرية لوائح الفخامة لمجرد الزينة لا أداة للذود عن حياض الوطن

على أن هذه الروح الجديدة يمكن توجيهها الى القيام بأجل الخدمات نحو الأمة كمكافحة الامراض الفتاكة التي حدت برجال الفرقة العسكرية في سنة ١٩٣٤ — ٣٥ أن رفضوا ٨٣ ٪ من الذين تقدموا للفرز العسكري ، وكتوفير الماء النقي في كل قرية مصرية ، وانشاء المدارس القروية الكافية للقضاء على الامية في المناطق الزراعية ، وتأسيس المصانع إنقاذاً للبلاد من خطر الشبان العاطلين الذين لا يستطيعون الكسب من الزراعة ، وتطهير المدن من مساوئ الأزقة ، وازدحام المنازل الحقيرة بساكنيها ، مع خلوها من الوسائل الصحية ، وانشاء الملاعب الفسيحة للاطفال والناشئين حتى يشب رجال الغد أصحاء بدنيًّا وخلقيًّا ، واخلاء الشوارع من المتسولين والاحداث العمل وغرس المبادىء التي تعمل على تنمية روح التعاون والتفاهم وحسن النية بين الامم ، ولا يخفى ما ينبغي أن يكون لمصر في هذا من النصيب الوافر لوقوعها على مفترق الطرق العالمية

كل هذا يحتاج إلى توجيه وإرشاد وزعامة من الطراز الاول ، في جميع مرافق الحياة القومية من اجتماعية ، واقتصادية وقضائية ، وتعليمية ، وسياسية . ونظراً لاهمية هذه المرحلة الجديدة التي تقطعها مصر في تاريخها الحديث ، فانها على استعداد تام ان توجه الهدف الى اسمى الاغراض وأعلى المثل ، طالما كان زعماؤها في كافة المرافق الحيوية يتصفون بالنزاهة ، والبعد عن الغرض. وهنا يبدو ما للمدرسة من الشأن العظيم . وكيف يتسنى لنا ان نبحث عن زعماء الغد خارج دور التعليم ؟ اسمحوا لي أولاً أن أشدد النبرة على الصفات التي يجب توافرها في الزعامة ، ومنها تحكمون بأنفسكم على الاغراض التي نحاول بلوغها بما نزاوله من الاعمال في هذه الجامعة

الصفة الاولى التي يجب توافرها في الزعامة هي التماسك القومي وامتزاج الزعيم بالكتلة الوطنية لحماً ودماً . لان الزعيم على النقيض من «الدكتاتور» الذي لا يحتاج الى التعرف الى هذه الكتلة أو العطف عليها ، إذ انه لا يعير التفاته الى شعورها ، ولان همه منصب على إملاء إرادته على الشعب بغير إشفاق أو رحمة . وليس الزعيم الحق كذلك ، لانه يستوي مع الشعب إن لم يكن يحكم القلب بالعاطفة والاماني . أضرب لذلك مثلاً بصموئيل غومبرز الذي أصبح من أكبر زعماء العمال في أميركا . كان ذلك الزعيم في الاصل شغوفاً بالموسيقى ، وكان يمكن أن يكون كوكباً لامعاً من كواكب الأوبرا ، ولكنه رأى بعينيه العمال العاطلين يتضورون جوعاً بسبب إنشاء الآلات ، وسمع أحد عمال النسيج يهتف صارخاً : «رباه خذ حياتي بيدك ، زوجي وأولادي في حاجة الى الخبز وأنا عاطل عن العمل» فألقى الشاي والموسيقى جانباً ، ووقف نفسه على خدمة العمال والعمل بينهم وهذا غاندي ، أتم دروسه الجامعية ، وكان من كبار رجال القانون ضليعاً من مهنته ، ولكنه

آثر ان يزج بنفسه بين أفقر طبقات الهنود وبذلك مهد لذاته السبيل الى الزعامة الحقة للملايين من شعبه . ومما يؤسف له ان المدرسة كثيراً ما تعجز عن بث هذا النوع من الزعامة في نفوس طلبتها ، وكثيراً ما نجد الطلبة يساورهم الغرور والزهو وغيرهما من الصفات التي تفقدهم شروط الزعامة ، وتعمي ابصارهم عن رؤية حاجات المجتمع ، ومطالب أبناء جلدتهم

اتاني هذا المهد نعى كل العناية بهذه الناحية ، ونحاول أن نخلق في نفوس الطلبة روح العطف على الانسانية بفضل الرحلات والزيارات التي يقومون بها الى المستشفيات والملاجىء والقرى والأحياء المتواضعة في المدينة والسجون والمصانع ، ومن أهم أغراض هذه الزيارات العطف على السواد الأعظم من أبناء الأمة ، وهو من أجل صفات الزعامة

- ومن الصفات التي لا ريب في وجوب توافرها في الزعيم الذكاء . ولسنا نعني بهذه الصفة الالمام بما في بطون الكتب من المعارف ، انما نعني بها مجموعة الصفات اللازمة لحل المسائل العامة وتحليل المواقف وتقدير عواملها . فاذا ما خلت هذه الصفة من زعيم كان مثله مثل جاهل يقوده جاهل مثله . وهذا النوع من الذكاء يتضمن ضرباً من حب الاستطلاع الصحيح . قيل عن المخترع الشهير توماس اديسون انهُ ولد وعلامة الاستفهام تختلج على شفتيه . فقد كان منذ نعومة اظفاره يمطر والده وابلاً من الاسئلة ، وكلما قال والده لا أدري اجابهُ الطفل اديسون ، ولم لا تدري ؟ وقد بلغت هذه الصفة فيه مبلغاً حملهُ على الاختلاف الى احواض السفن فيتدفق من فمه سيل الاسئلة ، حتى اقترح اولو الامر هناك ان يعين له موظف خاص للاجابة عن اسئلته انقاذاً للموقف ، وتوفيراً لاوقات المهندسين والصناع

وكان العالم الطبيعي « أجَسي » في حب الاستطلاع مضرب الامثال ، حتى ان حديقته ومنزله وحجرته الخاصة وجيوبه ، كانت على الدوام مكدسة بالنماذج التي يراد فحصها . وحدث مرة انهُ كان يتناول العشاء مع ضيوفه ، فأثيرت مناقشة حادة حول الفرق بين نوعين من الضفادع ، فاكان منهُ الا ان مد يده الى جيبه وأخرج منه ضفدعاً تعزيزاً لرأيه ، فأدهش الحاضرين . ولا نعد حضرات والدي الطلبة وأولياء امورهم أننا لنستطيع ان نبث في الناشئين في هذه الجامعة هذه الدرجة من حب الاستطلاع ، انما نعد اننا نستطيع ان نوقظ فيهم شديد الرغبة والشغف بالعلم حتى تدفعهم هذه الرغبة الى تجاوز الكتب المدرسية ، وتغريهم بحب البحث والتنقيب في بطون الاسفار في المكتبات العامة ، والتغلغل بعد ذلك في عالم الحقيقة

والزعامة والطاقة صنوان لا يفترقان . ومن الخطأ الشائع ان الناس يفكرون في القوى الجثمانية كلما ذكروا كلمة طاقة ، في حين ان هذا التعبير لا قيمة له ، اذا لم يكن منصبًّا على صفة من صفات العقل ، وكانت هذه من أبرز الصفات التي اشتهر بها ابراهام لنكولن من رؤساء

ولايات اميركا المتحدة وقد قيل عنهُ وهو شاب انه اشتغل مساعداً لمهندس مساحة ، فسار على تدنيه عشرين ميلاً لدرس ما يتطلبهُ هذا العمل . ولما ان وجد انهُ لم يدرّ في عمله الجديد بعد هذا الجهد ، لم يثنِ ذلك من عزمه ، بل وصل ليله بنهاره ستة اسابيع حتى اتفق عليه جيرانه ، وحذروه من نتيجة هذا الاجهاد ، الذي ينذر حياته بالخطر . غير ان ذلك لم يردعهُ بل ظل مجاهداً حتى نال ناصية عمله . وكذلك عندما عقد النية على الاشتغال بالمحاماة ، فانهُ اخذ ينقب في اكداس من الاوراق عن نسخة قديمة الأثر ، مبعثرة الاوراق ، كانت تحوي مذكرات قانونية ذات شأن ، حتى عثر عليها ولمَّ شعثها وانكب على قراءتها واستيعابها حتى ألمَّ بما فيها مع أنهُ كان في ذلك الحين يستعين على تكاليف الحياة من متجر يستغرق كثيراً من وقته الذهبي

على ان السؤال الذي تتطلب جوابه — هل في استطاعة المدرسة ان تربي هذه الصفة في نفوس طلبتها ؟ واجابة عن هذا السؤال نعتقد ان هذا من المستطاع ، ان لم يكن في كل الاحوال ففي اكثرها . ولا نعتقد ان ذلك يتأتى عن طريق حشو الذهن وكثرة الاستذكار ، وتكديس المعلومات ، ولكنهُ يأتي عن طريق المناقشة ، وبخلق جو مدرسي تسود فيه اليقظة ، ويتوافر فيه النشاط العقلي . ومصر المستقلة في حاجة الى هذا النوع من الزعامة الذي يتوافر فيه ثمين لا ينضب من هذه الطاقة ، التي يتطلبها هذا المنهاج من مرافق الإصلاح في شتى النواحي

ومن أسمى صفات الزعامة سمو الخلق . وهنا ننتقل من الكلام عن الصور الذهنية الى الصور الخلقية . فالزعيم يجب ان يكون موضعاً لثقة الناس به ، لما جبل عليه من الاستقامة ورصانة الخلق . وهذه الصفة تفسر لنا النجاح الذي يصيبهُ الزعماء المتواضعون في كفاياتهم ، المتوسطون في مواهبهم العقلية . فهؤلاء لو لم يتخلقوا بكريم الصفات لما كانوا موضع ثقة الناس فيهم ولما وفقوا الى ذلك النجاح

كان هربرت هوفر من رؤساء الولايات المتحدة باميركا ، في خلال الحرب العظمى . وقبل ان يتقلد الرآسة ، مضطلعاً بادارة القوت فكان يسيل بين أنامله ملايين الريالات ، حتى انهُ كان يكفي ان تكتب التحاويل المالية الى هربرت هوفر وكفى . وقد بلغت هذه التحاويل زهاء مليونين وأربعمائة ريال في الشهر الواحد ومع ذلك فانهُ لم يخامر احداً خلجة من الشك في طهر ذمته . فهل تدهش بعد ذلك اذا فاز برآسة الجمهورية ؟ البت هذه الصفة المحمودة وهذا الإخلاص الصافي وتلك الامانة النقية هي التي جعلت لفاندي في الهند هذه السلطة التي لا حد لها بين الملايين من شعبه ؟

هناك بين الاسماء التي يتألق نجمها في سماء الإحسان ، وعمل الخير في انكلترا اسم جورج مولر . فقد انشأ خمسة ملاجىء كبيرة للايتام بلغ مجموع من دخلها عشرين الف نفس . وقد بلغ من شهرة هذه الملاجىء ان تدفقت سيول التبرعات والهبات والوصايا على خزينتها ، ومع ذلك فقد كانت تضحيته واستقامته وأمانته ابعد من ان يمس درهماً منها . وقد بلغت هذه الاموال مليوناً

ونصف مليون من الجنيهات ومع ذلك فقد مات ووراءه ثروة ضئيلة لا تجاوز المائة والسبعين جنيهاً . فهل تدهشون اذا اتهم بين الانجليز بزعيم المحسنين ! ؟

ان مصر المستقلة تطمح الى مكافحة الفقر والمرض والجهل بفضل زعمائها الاجتماعيين . وهؤلاء لا بد أن تتوافر فيهم صفة استقامة الخلق . وكثيراً ما يوجه الناس الى معهدنا بعض الانتقادات بدعوى اننا نضحي في مناهجنا مجالاً واسعاً لدروس الاخلاق والاكثار من الاندية والجماعات والرحلات ، غير ان لدينا ما يحمل على الاعتقاد بأن هذه كلها في مقدمة ما ينبغي ان تعنى به معاهد التعليم اذا شاءت مصر المستقلة ان تبلغ أمانيها القومية

وأخيراً اذكر تلك الصفة العظيمة التي تتطلبها الزعامة ألا وهي سعة الاطلاع وأزان الحكم . فمن السهل جداً ان يكون المرء متعصباً بالتعصب ، اي انه يركز رأيه في نقطة ضيقة محدودة ، غير أن الزعيم الحق هو ذلكم الرجل الذي يحيط بالمسئلة من جميع نواحيها وينظر الى الموقف نظرة فاحصة عامة في مجموعه . ولو ان موقع مصر الجغرافي في مكان الافغانستان او في منطقة بحيرة تشاد في افريقيا بعيداً عن الامم الاخرى ، لما احتاجت الى اتساع الافق فيما يتعلق باتصالها بالامم الاخرى . ولكن مصر لا يتسنى لها ان تعيش في منأى عن غيرها من الامم ولا يمكن ان يرضى شعبها لها ان تكون كذلك . واذاً فلا بد لها من الاتصال بغيرها من الدول وهذه العلاقات الدولية من شأنها ان تزيد الحياة رغداً وغنىً ورفاهية اذا حسن وضعها في الموضع اللائق بها . ولا يتاح لها هذا الا بسعة الاطلاع ومرانة التفكير وهنا نلقي سؤالاً : كيف يتسنى تربية هذه الخلق في الناشئة ؟

في هذه الكلية سبع عشرة جنسية يتلقى طلبتها العلم معاً متعاونين ويتعلم الواحد منهم كيف يحترم جنسية أخيه . غير ان السواد الاعظم من الطلبة هم من المصريين إذ تبلغ نسبتهم اربعة وسبعين ٪ في المائة من المجموع . ومن ذلك يتبين أن المجال هنا فسيح للقومية والاممية على السواء ، استعداداً للزعامة التي ننشدها في مصر . ونقول في الختام ان الاستقلال الصحيح لا يتم بالاتفاقات السياسية ، كالمعاهدة مع بريطانيا ، او اتفاق مونترو ، او دخول مصر في جمعية الامم . وهل يمكن ان يكون الاستقلال الصحيح منحة لشعب من الشعوب ؟ أليس الاستقلال هدفاً تبلغه الامة بالتعب والكد ؟ ألا يكون تدعيم هذا الاستقلال في كل ناحية من مرافق الحياة ؟ اذا كان هذا صحيحاً فان تحقيق استقلال مصر التام لا يأتي بحوادث سنة ١٩٣٧ السياسية وحدها ، ولكن بجهود الجبارة التي تتوالى بعد هذا التاريخ ، تلك الجهود التي ترفع مصر الى ذروة المجد القومي في حياتها الاقتصادية ، حياتها الاجتماعية ، وحياتها العقلية والثقافية ، كما في حياتها السياسية . والى هذا المرمى نسعى جاهدين ، وفي سبيل تحقيق هذه الصفات في الناشئة نوجه جهودنا جادين

ازاحة الستار عن تمثال

الدكتور صروف

في جامعة بيروت الاميركية

وصف الحفلة وملخص ما قيل فيها

في الساعة السادسة من مساء الاحد ٢٠ يونيو الماضي احتفلت جامعة بيروت الأميركية بازاحة الستار عن تمثال الدكتور يعقوب صرُّوف ، وهو التمثال الذي أهدي اليها من قبل جماعة من أصدقاء الدكتور صرُّوف ومتخرجي الجامعة في مصر ، تشهد الاحتفال جمع حافل من الأعيان والوجهاء والنواب وقد وضع التمثال مؤقتاً في الساحة الكبرى التي تتوسط بعض بنايات الجامعة على دكة عالية للخطابة جلس عليها سعادة الدكتور عبد الرحمن الكيالي وزير المعارف السورية والاستاذ يوسف انتيبوس رئيس جماعة متخرجي الجامعة الاميركية والدكتور عبد القادر العظم مدير الجامعة السورية بدمشق والاديب زكي شخاشيري نيابة عن والده سكرتير لجنة التمثال بمصر الدكتور شخاشيري والدكتور بيارد دودج رئيس جامعة بيروت الاميركية وفي الوسط جلس العلامة الدكتور فارس نمر باشا رفيق الدكتور صرُّوف وشريكه في عمله وجهاده العلمي . وينتظر ان ينصب التمثال نهائيًّا في حجرة المطالعة الكبيرة في مكتبة الجامعة

وكان في مقدمة الحضور صاحبا الدولة والسعادة عبد الفتاح يحيى باشا وتوفيق دوس باشا وحضرة الدكتور مصطفى شوقي وسواهم من الضيوف المصريين الكرام وقد دعوا خصيصاً بناء على رغبتهم في حضور هذا الاحتفال بشخص تتبع الاقطار العربية بطبه وأدبه وخدم النهضة فيه ، وحضر كذلك نجيب بك صروف نجل الدكتور صرُّوف وقد جاء من مصر خاصة لهذا الغرض

وعند الساعة السادسة افتتح الدكتور دودج الحفلة بخطبة بالانكليزية قال فيها : منذ ٧٠ سنة قامت هنا كلية صغيرة كانت مؤلفة من ١٦ تلميذاً . فكانوا البذرة الاولى التي تزرع في الارض وبين هؤلاء فتىً يدعى يعقوب صرُّوف جاء ليعد نفسه لعمل عظيم يعمله في المستقبل فتعلم هذا التلميذ وأخذت معارفه تنمو وتزداد حتى أخذ في عمل عظيم وجعل بعمله هذا يوقظ الأقوام العربية ويدعوها الى رفع الغشاء عن عيونها . والآن نكرم هذا الرجل ونحن نرجو ان يأتي

في السبعين سنة القادمة سواء يتسجون على منواله ويبذرون مثل البذر التي بذر

ثم طلب من سعادة الدكتور عبد الرحمن الكيالي ان يتفضل بازاحة الستار عن تمثال هذا الرجل العظيم

خطاب الدكتور كيالي

سيداتي سادتي : أنتم وأنا من هذا المعهد ركن الثقافة ومنار الفضيلة تخرجنا فيه وحمدنا الله تعالى وشكرناه وخرجنا الى ساحة العمل

اننا عشنا نرى من تقدمنا ونتطلع اليهم لنرى أعمالهم وآثارهم في هذا المعهد وكان بين أهم ما رأيناه فكان نبراساً اضاء مجلة خدمت العلم والادب والنهضة العربية هي مجلة «المقتطف» الزاهرة أترابها أنا وأنتم بل يقرأها العرب في جميع بلدانهم وأقطارهم ومثلي من كان يتلمس من صفحاتها ما تقصهُ العلم به وما هذا الا من فضل هذا الرجل الذي تحتفي به اليوم ونطلب إلى اخواننا أن يتسوا الرسالة التي بدأها تحقيقاً لآمال كل من لطق بالضاد . ان المرء اذا مات انقطع عمله الا من ثلاث : علمه وصدقة وولد يدعو لهُ ، وخير الناس من انتفع بعلمه على مر الايام

ان الحكومة الجمهورية السورية التي شرفتني بهذا اليوم يسرها ان أقف أمامكم لارفع هذا الستار عن تمثال رجل لا هو حي خالدٌ بالتمثال بل بالقلوب وان أبناء أمة الضاد الذين يعيشون تحت سماء هذه الاقطار أحراراً سيعلمون كيف يخلدونهُ في قلوبهم . واني بهذا الشرف العظيم أزيل الستار عن وجهه الكريم (تصفيق حاد عند ما أزال الستار)

من كلمة سكرتير لجنة التمثال

لما أتى الداعي الدكتور يعقوب صرُّوف في التاسع من يوليو سنة ١٩٢٧ ادرك تلاميذه واصدقاؤه هول المصاب فيه والخسارة العظيمة التي نزلت بالعلم والادب والصحافة بفقده فقد كان رحمة الله عليه رجلاً فذاً في علمه الواسع وقلمه البليغ وخلقه العالي . ولست في مقام المؤرخ فاذكر ما كان له من نصيب وافر وسهم نافذ في النهضة الفكرية في الشرق العربي طوال سبع وخمسين سنة اي من يوم ان تلقى الشهادة العلمية من رئيس هذا المعهد الجليل سنة ١٨٧٠ في أول فرقة تخرجت فيه الى يوم وفاته فانهُ رحمهُ الله خدم تلك النهضة في حجرات التدريس أولاً فكان مثالاً للمعلم الصالح والمربي الفاضل يقرن العلم بالعمل ويهذب النفس والعقل جامعاً بين التدريب العملي والمثل المحتذى في اسمى وجوه التربية متوخياً في ذلك المنفعة والخدمة الصادقة لبث روح العلم الصحيح للعلم ذاته . ثم انشأ «المقتطف» مع زميله وشقيقه الروحي الدكتور فارس نمر باشا (مدَّ الله في عمره) في حضن هذه الجامعة نفسها نحو عشرسنوات ونصف سنة يدرسان فيها ويصدران المقتطف عنها وليس لها بقية سوى نشر العلم لمن لم تتح له أسباب التعليم . ولما خرج المقتطف من

نطاق الجامعة ورأى صحبه ان يقفا وقفها عليها فاصبح العالم العربي بأسره خجرة تدريس للدكتور صرّوف يضوف عليه في كل شهر مقتطف جامع لزبدة العلوم المختلفة وثمار الآداب المتنوعة والمعارف الطريفة مقارناً بين النظري والعملي من الآراء وبين القديم والحديث والشرقي والغربي في أسلوب طلي لا يضارع وبلاغة لا تدانى سمتها الوضوح وجودة السبك وسهولة السياق الى المعنى المقصود . ولما بلغ « المقتطف » الخمسين من عمره الحافل اعترف العالم العربي له بالخدمات الجليلة التي أسداها الى الناطقين بالضاد في الحفلة الكبرى التي اقيمت في دار الاوبرا الملكية بمصر برعاية جلالة مليكها وفي الحفلة الكبيرة التي اقيمت في وست هول ببيروت في مساء اليوم نفسه

ولما انطفأت شعلة ذلك العقل الناضج وسكن القلم الذي كان ينشر العلم الصحيح والادب الرفيع والاخلاق العالية في ربوع الشرق فيغذي النفوس ويثقف العقول بثمات العلوم والمعارف اجتمع نفر كبير من عارفي فضله في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ في النادي الشرقي بمصر وتألفت منهم لجنة لاحياء ذكراه باقامة اثر له في وطنه مكونة من ميشال بك لطف الله رئيساً وامين مرشاق اميناً للصندوق وكاتب هذه السطور سكرتيراً وجورج زنانيري باشا ونجيب غناجه والمغفور لهم نجيب شكور باشا والدكتور نسمة الله طحان بك ويوسف خلاط بك ورشيد ثابت اعضاء وانضم اليهم فيما بعد الاستاذ خليل مطران والآنسة مي والاستاذ سامي الجريديني ويوسف دبانة بك . وفي ٨ ابريل سنة ١٩٣١ قبلت اللجنة استقالة امين مرشاق من امانة الصندوق وطلبت من حضرة صاحب السعادة احمد باسيلي باشا ان يتولى امانة الصندوق فقبل ونشرت اللجنة خبر انضمام سعادته الى اللجنة مع خبر قبول جامعة بيروت الاميركية اقامة التمثال فيها في مقطم ٢٥ ابريل سنة ١٩٣١ ومن ذلك التاريخ خطت اللجنة بالمشروع خطوات سديدة تكللت بفضل من تقدم ذكرهم وبفضل حضرات المتبرعين الآتية اسماؤهم بالنجاح الذي فازت به ووصلت اليه . وهذه اسماء المتبرعين أصرح بها الآن اعترافاً بفضلهم وشكراً على نجدتهم وكرمهم وهم : —

الدكتور سليم آل دباغ الموصلي . احمد افندي الالني . جورج بك الطويس . احمد حسن . محمود ابوحسين بمنفلوط . رشيد ثابت . محمد خليل الديب . الدكتور كامل هلال . ظاهر الريس . الدكتور يوسف غبريل . بركس ميخائيل انطون مطران السريان الارثوذكس بالقدس . خويلد حسن وشركاه . ابراهيم ديمتري بك . لجنة مشروعات مجلة الكلمة بحلب . لبا بركات . ثابت ثابت . الدكتور عبدالله منصور . معهد الموسيقى الشرقي . جورج اشقر في بيروت . دمتري بك خلاط . الدكتور نجيب يونس . انتس طانيوس سعد . الدكتور اسعد عطيه . ومحسن بي ألا بفوتني التنويه بفضل صاحب السعادة اسعد باسيلي باشا الذي كان له في احياء ذكرى الدكتور صرّوف اليد الطولى والاثر البارز ولاسيما الجائزة السنية التي تبرع بها ونشرت تفاصيلها في مقتطف مايو الماضي وقدرها ١٠٠ جنيه مصري

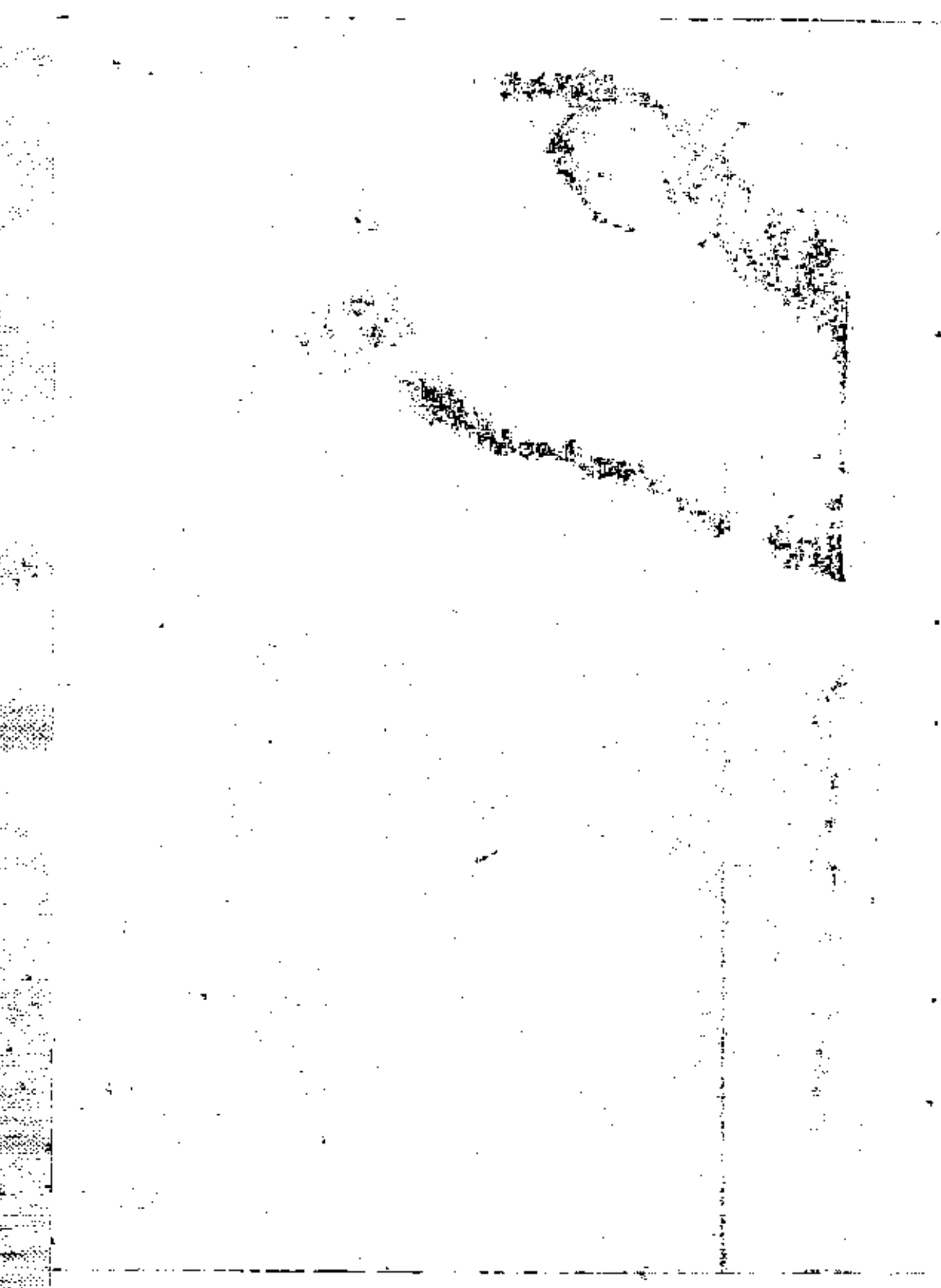

الدكتور عبدالقادر المظم مدير الجامعة السورية يخطب في حفلة ازاحة الستار عن تمثال الدكتور صروف

الدكتور فارس عمر باشا يخطب في حفلة ازاحة الستار عن تمثال الدكتور صروف

كلمة الاستاذ يوسف اتيمورس

ثم وقف الاستاذ يوسف اتيمورس رئيس جماعة متخرجي الجامعة وألقى خطبة استهلها بقوله مخاطباً صاحب التمثال وقد كان من التلاميذ في الجامعة : —

سيدي الاستاذ في هذا الحمى كم علينا لك من فضل ومن
أسفي تبدو على منبره صامتاً بل اثراً بين بعد عين
هاتي والله ما أشهده عوض الله بثاني الفرقدين

وجال الاستاذ اتيمورس جولة في الكلام عن التمثال وصاحبه الحكيم الكريم الباحث المنقب العالم الجليل وعن النهضة التي ايقظ روحها في بلاد العرب وتكلم عن معاصريه الاجلاء والبستاني والاسير واليازجي وعن زهرة الآداب وعن الازاهر والنقاش وغيرهم . وطفق يتكلم في كل هذه الموضوعات الى أن قال ان التاريخ سطر فيها اسمي صروف ونمر بين ألمع اسماء الرجال الذين تفانوا في خدمة هذه البلاد و بلاد مصر الشقيقة

صروف ونمر الاسمان المتقاربان المتلازمان صروف ونمر الفرقدان اللذان مشيا جنباً الى جنب مجاهدين متضافرين في سبيل الوطن واللغة والعلم والسياسة صروف ونمر ضربا للشرق مثلاً في الجد والنشاط والاستقامة والوطنية والتجلد في تنظيم الامور

ثم عاد الى الكلام عن التمثال وحده وعن صاحبه الذي له في كل خزانة مجلدات ضخمة من آثاره وختم قائلاً لم ينصب التمثال في مكتبة الجامعة ولصاحبه فيها أكثر من تسعين تمثالاً هي مجلدات صرف عليها ليالي السنين الطوال وختم كلامه محيياً صاحب التمثال ورفيقه في جهاده سعادة العلامة الدكتور فارس نمر باشا

كلمة الدكتور عبد القادر العظم

سيداتي . سادتي : أشكر لحضرة الرئيس الكريم — الدكتور صوديج — ما أولاني من شرف عظيم اتاح لي فرصة المثول بين أيديكم لالقاء كلمة وجيزة باسم الجامعة السورية في هذه الحفلة التذكارية . ان الجامعة السورية لسعيدة جداً باشتراكها في هذه الحفلة لانها جد حريصة على توثيق عرى الصلات الثقافية بينها وبين شقيقتها الكبرى الجامعة الاميركية

ان فقيد العلم والادب المحتفى بذكراه هو ابن الجامعة الاميركية هو ابن المروءة وفوق ذلك هو ابن العلم والثقافة اللذين لا وطن لهما . ان الانسانية الحرة السامية التي لا تعرف الحدود الجغرافية ولا الفوارق الجنسية بل تقدر النبوغ والفضيلة أينما وجدا . أليست هذه الحفلة التي يقيمها رسل الثقافة الاميركية المشبعون بهذه الروح السامية وهذا التمثال الذي أقاموه تقديراً لشخصية

صاحبه النفذة شاهدين على ما أقول ؟ ان كلمة الحق لا يليق بها أن تبقى مختبئة كامنة في النفس بل يجب على اللسان ان ينطق بها وعلى الآذان السامعة ان تتلقفها لتدخل أعماق القلوب . هذه الكلمة التي لا ينكرها أحد من سكان البلاد العربية قاطبة ولا سيما البلد الذي تظلنا سماؤه والبلد الذي قدسنا منهُ هي كلمة الجهر بفضل الجامعة الاميركية وأثرها البعيد في نهضة هذه البلاد العلمية والثقافية

ان هذه البلاد ساحلها وداخلها ثغورها وعواصمها تطق بالجميل وتذكر دوماً بيض الايادي لهذه الجامعة — الشيخة الفتية — لانها كانت وما زالت منهلاً رياضاً للعلوم والفنون يرتادها أبناء هذه البلاد فيرشفون من معينه العذب ما يروي ظمأهم وينفع اوارهم

أجل سادتي ان الجامعة الاميركية — شيخة وفتية — في آن واحد انها شيخة الجامعات في بلادنا بقدمها واختبارها وحكمتها . فتية بحمتها وتجدد براعمها ونشاطها . واذا اقترنت الحكمة بالنشاط كان النجاح محققاً والارتقاء مضموناً . اننا كيف وجهنا النظر نرى اثر الجامعة الاميركية في نهضة بلاد العرب الاجتماعية وفي تكوين الفئة المختارة من رجالاتها وشبابها . نراها في مصر حيث بعثت برسلها ينشرون المبادىء الحرة التي اقتبسوها . نراها في العراق حيث يتقلد تلاميذها المناصب ويديرون شؤون الامة . نراها في فلسطين وفي الشرق العربي حيث يرفع خريجوها ألوية الفخار لها

واخيراً نراها في سورية ولبنان حيث عمّ فضلها وانتظم عقد اياديها كاللآلي يزدان بهم جيد هاتين الجمهوريتين الفتيتين فيرئسون المجالس ويتولون الوزارات ويتزعمون الامة فهم كنوزها ومفاخرها عدتها في الحوادث وسندها في الملمات والكوارث

فاذا كانت الامم تعتز بجامعاتها لانها عنوان نهضتها ورمز اعلائها ورفعتها فاحر بأبناء هذه البلاد ان يعتزوا بهذه الجامعة لانها انجبت لهم رجالا كباراً يهتدون بهديهم ويسترشدون بوحيهم فيقودونهم في مراقي التقدم والنجاح واذا كان الفضل يعرفهُ ذووهُ حق علينا ان نقر بفضل جامعة هذا شأنها وان نطلب لها اطراد الرقي في ظل رئيسها الهمام واساتذتها الجهابذة الاعلام والسلام عليكم

***

وبعد هذا وقف الدكتور ضوديج وقال لا يمكن ان نكرم المرحوم الدكتور صرُّوف من دون ان نكرم الدكتور فارس نمر الحاضر بيننا فقد عاد بعد سنين طويلة الى المدرسة التي ربته

كلمة الدكتور فارس نمر باشا

سيداتي سادتي : منذ اكثر من ٥٣ سنة في مثل هذا الاسبوع من سنة ١٨٨٤ وضعت يدي بيد صاحب هذا التمثال وفارقنا هذا المعهد الذي قطنا فيه اربع سنوات وعلمنا عشر سنوات وولينا وجهنا شطر مصر العزيزة وقال لي رفيقي نحن فارق سوريا ونقابل مصر فان كنا رجالاً اظهرنا مقدرتنا ورجعنا ممدوحين

هذه الكلمة ترن بأذني الآن بعد ٥٣ سنة وها أنا الآن بعد هذه السنين الثلاث والخمسين أعود الى هذا المنبر فكم كنت اود لو كان رفيقي واقفاً الى جانبي الآن وواضعاً يده بيدي

قالوا تغير العادات صعب . حقيقة ان في هذا القول صحة . اني اعتدت ان اعد رفيقي صديقاً وأخاً حقيقيًّا وقضيت السر والناس يظنون اننا اخوان بيننا قرابة . نعم ان الصداقة اذا تمكنت تحل محل النسب وأؤكد لكم ان هذا الرجل اخي الذي سبقني بعشر سنوات كان لي أخ غيره ولكن صرُّوف هو بالفعل اخي ولو وجد في اللغة كلمة اشد من كلمة أخ لكنت استعملها

قلت تغير العادات صعب وكلما كنت اسمع احد الناس يمدحني لم ارد الكلام بمثله نظراً لما كان الناس يرونه من النسب بيني وبينه خوفاً من ان يقال عني مادح نفسه يقرؤك السلام ، بل كل ما قيل له كنت اراه يقال لي. وهكذا امتزجت حياتنا حتى كأننا افرغنا في قالب واحد

وشاهدي على ما اقول ياسادتي اني منذ بضعة اشهر نلت رتبة الباشوية التي ألمست بها على مصر وتلقيت اكثر من ٣٠٠ الى ٤٠٠ رسالة تهنئة واكثر هذه الرسائل معنونة بصاحب السعادة صرُّوف عمر باشا (ضحك من الجمهور) انا أقبل ذلك نعم نحن واحد ولسنا اثنين

وأبلغ من ذلك تزوجت بالأمس كريمة المرحوم سعيد باشا شقير ابنة ابنة المرحوم الدكتور صرُّوف فكان عرسها حادثاً ما ظننت به الصحف. وما قولكم برسول مجلس الوصاية جاء يهنئني بزواج هذه الابنة التي هي ابنة ابنة الدكتور صرُّوف باعتبار أنها ابنة فارس نمر

انا واقف هنا واخاف ان تغلبني عواطفي ويظهر ضعفي امامكم ايها السادة فكيفما التفت يميناً ويساراً تتوارد امام عيني الصور والحوادث التي اتحدنا بها فاختنق ان تغلبني

ان الرابطة بيننا وبين الجامعة الاميركية هي «المقتطف». وقضينا مرة في بلمونت لم احد اعرف ابن هو من هذه الابنية التي تغير بعضها وتجدد البعض الآخر وجلسنا نقلب مجلات وصحفاً انكليزية فالتفت اليّ رفيقي وقال ما قولك لو انشأنا مثل هذه الصحيفة قلت ولكن ليس لدينا علم ولا مال لصحيفة مثل هذه تحتاج الى الامرين . فقال لا بأس انا نجعلها من ٢٤ صفحة

قررنا الشاء الجريدة وذهبنا الى استاذنا الدكتور كريليوس فانديك رحمة الله عليه فقلت « خطر لنا خاطر وهو ان ننشيء جريدة عربية فقال ولكنكم تحتاجون في هذا الى المال قلنا ان الله ييسر وعولنا على انشائها وقلنا ماذا تسمينا اسماً لهذه الجريدة ففكر قليلاً وقال «المقتطف» فاسم «المقتطف» واضعٌ بالاصل فانديك . ذكر الاستاذ يوسف افتيموس الرجال الذين عاصروا نشأة تلك الجريدة وهم : الاحدب واليازجي والبستاني والاسير وقد كانت كتاباتهم واقوالهم ولاسيما البستاني منهم تذاع شرقاً وغرباً. وصدر « المقتطف » ولكنه كان صغيراً وبعد مدة صدر « لسان الحال » وهو من عمر « المقتطف» الا بضعة أشهر فكنا كعائلة واحدة واخذنا نشتغل معاً

قلت ان عملنا كان يحتاج الى مادة علمية ومادية ولا يمكن لعالم ان يذيع مؤلفاته الا اذا كان عنده مال وقد وجدنا ان «المقتطف» لا يمكن ان يثبت الا اذا وجدنا له المال فتشاورنا في هذا وهذا وحده هو الذي جعلنا ننشىء «المقتطم» لا لقصد ان نقلب عالك وحكومات بل لكي نساعد «المقتطف» ماليًّا. ولكن ارياح يا سادتي تجري عما لا تشتهي السفن ولقد جعلنا السياسة في المقطم راسخة على الاساس الذي كنا نسير به في هذا المعهد وهو خدمة الحقائق. وهكذا جعلنا نعمل للحقائق ولكننا نسينا ان العالم غير ذلك، نسينا ان هناك احزاباً وميولاً وأخذنا نتخبط في ذاك الخضم ونصطدم بأمواجه حتى ادى بنا الحال الى غضب سلطاننا السلطان عبد الحميد فمنعني ومنع رفيقي من الدخول الى هذه البلاد ومنذا من ان نرسل اولادنا الى التعلم في مدارسها

وأخيراً غير الناس انكارهم بنا والفضل بذلك لاخي هذا الذي كان يعامل الناس كانهُ طفل صغير. فم الفضل بذلك لاخي الذي كان مثال الدعة والامانة والاستقامة

ولو اردت تعرف حقيقة صرُّوف قد تقلني مبالغاً اذا قلت انهُ عند ما كان يقال امامهُ شيء لا يريد ان يبوح بحقيقته كنت تقرأ هذا على وجهه لانهُ كان يحمر وأنت تحدثهُ

كان في معاملته صادقاً وكان زهده غريباً فالذي يهم الناس لا يهمهُ ابداً واذا كنت تريد ان تعرف صرُّوف فتش عنهُ في غرفة تره جالساً وأمامهُ كتاب يقرأه يهدوه ثم بعد بحث طويل يأتيني ويقول وماذا بعد هذا؟ وماذا بعد هذا؟ يأتي حائراً ويقول لا اعلم ماذا بعد هذا؟ انهُ الآن يعلم!! . قالوا ان الارواح تتخاطب بعد الموت فليلة وفاته جلست في سريري انتظر ان يأتي ويكلمني ولكنهُ لم يجيء. وفي الليلة الثانية جلست على سريري انتظر ان يكلمني ولكنهُ لم يكلمني كذلك. ولكن الانسان لكي يعلم يجب ان يؤمن لان كثيراً من الاسرار مغلق لا يمكن فهمه

يا اخي انت الآن تعلم. انت سبقتني من عشر سنوات ولما توفيت لم احزن كثيراً لانني قلت انني سألحق بك بعض السنة. اما وقد مضت عشر سنوات ولم الحق بك اشعر بأني وحدي في هذا العالم. شقيق ذهب عني. ذهب وتركني في مكان مفتوح

كلما تحمم من المدح به حقيقة بل دونها. فلو مد الله بعمره لاستفاد هذا الشرق كثيراً منهُ. اخي صرُّوف يجلس الآن بين اساتذته فانديك وبليس وورتبات وبوست وهو الخامس بينهم. ان هذا قليل جداً عليك يا اخي. فاشكركم يا سيداتي وسادتي على حفاوتكم هذه

***

وهنا ارتقى المنبر نجيب صرُّوف بك نجل الفقيد الكبير وألقى كلمة باسم اسرته وجه فيها الشكر الى اللجنة التي تولت الاشراف على صنع التمثال والذين تبرعوا بالمال لهُ والسيدة التي صنعتهُ والجامعة الاميركية التي رحبت به وجميع الخطباء والسيدات والسادة الذين حضروا الحفلة

حول «العامية»

الفعل الرباعي

أصلهُ ونشوءُهُ ومعانيهِ

لانيسي فريحه
دكتور في الفلسفة من جامعة شيكاغو

درس «العامية» درساً عليًّا غريباً عنا، وذلك لان نظرنا الى العامية يختلف تماماً عن نظر الغرب ولذا بقي درس اللهجات العربية العامية من اختصاص المستشرقين على الغالب. واظن ان السبب في ذلك هو اختلاف في وجهة النظر. فالعربي، حتى من اقدم العصور الاسلامية، يعتقد ان اللغة العربية الفصحى كانت يوماً لغة التخاطب كما انها كانت لغة الشعر والادب. ثم ان العرب عند خروجهم من الجزيرة واختلاطهم بمن جاورهم من الفرس وباقي الامم «فسدت ملكتهم» وداخلت لغتهم العجمة [1] وانت ترى هذا الاعتقاد سائداً جميع الذين كتبوا قديماً وحديثاً في اللغة العربية وتاريخها. ولكن علماء الغرب المستشرقين يعتقدون، وهم في اعتقادهم على صواب، ان اللهجات العربية كانت عديدة وان الفصحى كانت لغة الشعر والادب، وربما كانت لغة بعض الخاصة في المجتمعات الادبية، واما عامة الناس فكانت تتكلم لهجات تختلف باختلاف الامصار والاحوال الشخصية. ويعتقدون ايضاً ان كثيراً من ظواهر العامية تعود بتاريخها الى اعصر قديمة حتى قبل ظهور الاسلام، ثم انهم يعتبرون ان اللغة المحكية هي اللغة الحية الحقيقية. ولذا تراهم ابداً ينقبون عن خفايا العامية لعلهم يتوصلون الى حل كثير من المشكلات التي تعترضهم في درس الفصحى

ان الغرض من هذه المقالة البحث في ظاهرة لغوية لا اعتقد انها استرعت نظر الباحثين اللغويين، اعني كثرة الافعال الرباعية العامية في اللهجات العربية المحكية. وسأحاول ان أبين كيف يلتي درس العامية كثيراً من النور على طائفة من المسائل اللغوية الغامضة. وقبل التعمق في

(١) عند ما يراجع الباحث ما قيل في مسألة وضع النحو، او عند ما يراجع تاريخ النحو والنحويين يرى هذا الاعتقاد مكرراً معاداً. فيقول ان اللغة فسدت في زمن على وعلماء اللغة لا يرتاحون الى مثل هذه النظريات التي تقول بنشوء لهجات في بضع سنوات. فوراء الظواهر اللغوية اجيال واجيال

البحث لا بد ان نشذر الى القارىء اذا اكتفينا باليسير من الامثلة خوفاً من ان يكون بعض الامثلة مجهولاً عنده ، ولكنا نقصد توجيه نظر القارىء الى كثرة الاوزان الرباعية في لغتنا الخاصة اذ لا شك عندنا انهُ بعد قراءة هذه المقالة يتبادر الى ذهنه عشرات من الامثلة التي لم يخطر اليها قبلاً

﴿ الجذور ﴾ الكلمات في جميع اللغات السامية ترد الى جذور . ويمكن تقسيم هذه الجذور الى قسمين ، الاول ، وهو القسم الاكبر ، يشمل الكلمات التي جذورها تتضمن فكرة اصلية لا تتعداها ، وهذه الفكرة صفة ملازمة لمجموعة الحروف التي تؤلف ذلك الجذر . خذ مثلاً قتال ، قتيل ، اقتتل ، استقتل ، فانها جميعها ترد الى جذر يتضمن فكرة اصلية هي القتل وهذه الفكرة صفة ملازمة لهذه الحروف في هذا الترتيب الخاص . والقسم الثاني يشمل الكلمات التي لا يمكن ان تردّ الى جذر يتضمن فكرة اصلية محدّدة معينة ، بل تتألف من عناصر اولية من شأنها الدلالة والاشارة ، وهذه عريقة في القدم ، ويقع تحت القسم الثاني الضمائر والموصولات والاشارة وبعض الادوات[1] الروابط . مثال ذلك الضمير « أنتَ » فانها تتألف من عنصرين الأول « أن » وهو عنصر اشاري كما هو في كثير من اللغات السامية والثاني « تَ » وهي الاصل في الكلمة وفكرة الضمير للمخاطب متضمن فيها فتقول ضربتَ وتضرب فان التاء في آخر الماضي وأول المضارع هي الضمير . ومن الغريب ان التاء تفيد معنى ضمير المخاطب في كثير من اللغات الآرية ايضاً . فالالماني يقول du والفرنسي tu والانكليزي thou . خذ مثلاً آخر « هذا » . فالكلمة هذه لا ترَدُّ الى جذر معين بل تتألف ايضاً من عنصرين ، الهاء للتنبيه ، وذا للاشارة . وقلنا ان هذه العناصر الاولية الاشارية هي ربما كانت من أقدم المقاطع التي استخدمها الانسان للاشارة والدلالة والتنبيه

من ميزات اللغات السامية ان كثرة الجذور فيها ثلاثية . وهذه الميزة شغلت بال المستشرقين كثيراً ولهم في أصلها نظريات عديدة . وهذه الوتيرة الواحدة كانت الباعث على استنتاجات كثيرة عن عقلية السامي ونفسيته ، بعضها يقبلها المنطق وكثير منها نتيجة تخيّل وتخمين . ولكن هنالك فئة لا يستهان بها من الكلمات في العربية كما في باقي اللغات السامية ترد الى جذور ثنائية مثل يد أخ أب شفة الخ فان هذه وان ظهر فيها حرف ثالث احياناً كما في شفهي او شفوي يدوي اخوان الخ فهي ثنائية في الاصل وهذا الحرف الثالث ليس الا محاولة لجعلها ثلاثية لتلاءم وباقي الكلمات فكان الثلاثية هي المثل في عدد الحروف[2]

---

(١) قلنا بعض الحروف لان بعضها لا يقع تحت هذا القسم فان حرف الجر على يرد الى الجذر «علا» اومع يرجع الى الجذر « عم » وهي في السريانية والعبرانية « عم » وليس مع . والجذر عم يفسر لنا معنى مع

(٢) راجع Th. Nöldeke, Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, p. 109 –178; ibid. Beiträge p. 69—72.

والمسألة التي يهمنا امرها الآن هي هل الثلاثية (Triliteralism) اصلية ام تمثل طوراً حديثاً ؟ يظهر من درس الجذور السامية ان الثلاثية نتيجة تطور من الثنائية وزيادة الحرف الثالث كان لزيادة في المعنى . فان كثيراً من الافعال الثلاثية يمكن جمعها الى طوائف يكون المعنى في كل منها واحداً وهذا المعنى مضمن في اول حرفين مثلاً قطع قطب قطم قط والعامي قطش فانها كلها تفيد معنىً واحداً هو معنى قط . وقل هذا في فلّ فلح فلج فلع فلق فلا ؛ وهكذا في حمّ وحمي وحما وحمر وحمس وحمق فالجذر فيها « حم » وهو مشترك في جميع اللغات السامية ويفيد معنى الحرارة

ولكن لا يجب ان نعتقد ان الشعوب السامية كانت يوماً ما تتكلم بكلمات جميعها ثنائية ثم انتقلت الى طور آخر اصبحت فيه تتكلم بكلمات ثلاثية ، كلا ، ان النشوء اللغوي بعيد جداً عن المنطق والوجدان ؛ والانتقال يتم بطء كلي وعن غير قصد او تعمد . الافضل ان نقول ان الثلاثية على مر الزمن اصبحت المثل لجميع الكلمات والنزعة كانت انهُ من المستحب والشهي على السمع ان تكون جميع الكلمات على مقياس واحد وشكل لغوي واحد . واما انه كان هنالك ثلاثيات ورباعيات وخماسيات حتى في اقدم العصور فأمر لا شك فيه

﴿ الجذور الرباعية ﴾ هل هناك جذور رباعية اصلية ام الرباعية مشتقة من جذور ثنائية وثلاثية ؟ علماء اللغة العربية صرفوا النظر عن هذه المسألة واكتفوا بقولهم ان هنالك افعالاً رباعية على وزن فعلل وملحق بالرباعي واظنهم كانوا يقصدون به الفئة التي تمكنوا فيها من ملاحظة الحرف الزائد وملاحظاتهم متفرقة في المعاجم وكتب اللغة ولا تفي بحاجة

وقبل الاسهاب في البحث نجد انفسنا مضطرين لنبذ اتخاذ فعلل كوزن للرباعي لما في ذلك من الاضطراب . لانهُ اذا كانت حروف فعل تمثل حروف قتح فوزن فرقع يجب ان تمثله صيغة فَرْعَل وليس فَعْلَل ، لبيان الحرف الزائد . اما فَعْلَل فيجب ان تمثل تكرار الحرف الثالث من الجذر كما في « بهور » السامية من بهر . واما اذا قلنا ان حوقل ، بذعر ، دهمس ، حصرم الخ هي على وزن فعلل فلا تكون قد أبنا الحرف الزائد ، فان حوقل تكون حفعل من وقل وبذعر بفعل من ذعر ودهمس دفعل من همس الخ وعليه سنتبع استعمال وزن فعلل لجذر الاصلي ثم تمثل الحرف الزائد باضافته الى (فعل) حيث يقع بالنسبة الى ترتيب الحروف . فسنتكلم عن فرْعل وفعلل الخ اي الرباعي الذي تزاد فيه الراء بعد فاء الفعل وفعلل الرباعي الذي تزاد فيه النون بعد فاء الفعل الخ

﴿ الجذور الرباعية في السامية ﴾ كثيرة جداً وتنقسم قسمين . الاول : يشمل الافعال التي لا ترد الى جذر سامي بل اكثرها مقتبس عن لغات اجنبية مثل سوكر من الايطالية succrta وقوْنَس من القانون[1] وقوْنَس من القانوس وكوْتَن من الكرتينا وكرك او جرّك من

(١) لفظ قانون في العربية مأخوذ عن اليونانية ، ولكن يظن ان الكلمة اليونانية ماخوذة من السامية من كلمة تفيد معنى القصبة ، ومن ثم معنى القياس

الكمرك وفودس من الفادوس ، وامثال هذه كثير نتركها جانباً لانها عارضة في اللغة . اما الذي يهمنا فهو القسم الثاني ، اي الافعال الرباعية التي تُرَدّ الى جذر ثلاثي إما عربي اصيل او بقية باقية من لغة سامية كانت محكية في القطر الذي بقيت فيه امثال كثير من الافعال الرباعية في لبنان التي لا اصل لجذرها في العربية بل يمكن بسهولة ردها الى جذر سرياني ارامي [1]

﴿ كيف يصح الجذر الثلاثي رباعيًا ﴾ او بكلام آخر كيف تنشأ الافعال الرباعية ؟ يتم ذلك عن احدى طريقتين (١) التضعيف (٢) الزيادة

١ — ﴿ التضعيف ﴾ يظهر بأشكال مختلفة : ا — بتكرار الجذر الثاني جملة فيحدث وزن فَعْفَع وهذا كثير في العامية مثل دَقْدق ، بَعْبع ، حَفْحَف ، قفقف ، بَرْبَر ، مرمَر

ب — بتكرار الحرف الاول من الجذر فيحدث فَعْفَل مثل فرفك من فرك ، فرفح من فرح ، فَلْفَش من فلش وأمثالها كثير

ج — بتكرار الحرف الثاني من الجذر فيحدث فَعْلَع وهو نادر [2]

د — بتكرار الحرف الثالث من الجذر فيحدث فَعْلَل مثل بَحْصص من البحص وفصيحها الحصب وبَهْرَر من بَهَر

ويدخل في باب التضعيف اوزان اخرى ثالثة في العامية يظهر فيها التضعيف مع الزيادة وهي اربعة اوزان ، فَعْفَى ، فرفر ، فوفر ، فَيْفَع [3]

﴿ ٢ — الزيادة ﴾ والزيادة تكون ا — سابقة (Prefix) ب — وسطية (infix) ج — لاحقة (suffix)

ا — السابقة تكون بزيادة الباء والتاء والحاء والدال والسين والشين والطاء والعين والفاف والميم والنون في اول الفعل الثلاثي فيحصل الاوزان التالية : (١) بَفْعَل (٢) تَفْعَل (٣) حَفْعَل (٤) دَفْعَل (٥) سَفْعَل (٦) شَفْعَل (٧) طَفْعَل (٨) عَفْعَل (٩) قفعل (١٠) مَفْعَل وغالباً مَمْفَعَل (١١) نَفْعَل

﴿ ب — الزيادة الوسطية ﴾ وتكون بزيادة الباء والحاء والراء والعين واللام والميم والنون والواو والياء في وسط الجذر بعد الحرف الاول فيحصل الاوزان التالية : (١) فَبْعَل

---

(١) يمكن صاحب المقال من جمع اكثر من الف فعل رباعي من لغة قرية من قرى لبنان وبعد درسها والتنقيب عن اصلها وجد ان كثيراً منها يرد الى السريانية الارامية ، وقليلا يرد الى جذر سامي له كيان اما في العبرية او الفينيقية

(٢) لا يمكن الاكتفاء من ذكر أمثلة على هذه الاوزان خوفاً من ان تكون غريبة على الاسماع لان الامثلة التي لدينا محلية ، مجموعة من لبنان ، ولكن لا شك عندنا في ان القارىء يمكن ان يجد في عاميته أمثلة على الرباعي ينطبق عليها هذا الوصف ، وربما بعد برهة قصيرة سنصدر قاموساً للعامية المحكية في لبنان يجد فيها الباحث أمثلة كثيرة على هذه الاوزان

(٢) فَحْمَل (٣) قَرْعَل وهذا شائع جداً (٤) فَمْعَل (٥) قَلْقَل (٦) فَمْعَل (٧) قَنْعَل (٨) قَوْعَل (٩) قَيْعَل والاخيران شائعان جداً مثل نوخر، روكب، قوشع، طيلع، نيزل، لَيْعَب، قَيْلَت. ويجب ان تلاحظ ان الزيادة الوسطية هذه قد تأتي بعد الحرف الثاني لاسباب صوتية لمجانسة او ملاءمة فيصبح معنا بدل فَعْمَل مثلاً فَعْبَل مثل غَلْبَط اي اوقعهُ في غلط

﴿ج — اللاحقة﴾ وتكون بزيادة الباء والتاء والراء والسين والشين واللام والميم والنون والالف المقصورة في آخر الفعل فيحصل الاوزان التالية: (١) فَعْلَب (٢) فَعْلَت (٣) فَعْلَر (٤) فَعْلَس (٥) فَعْلَش (٦) فَعْلَل (٧) فَعْلَم (٨) فَعْلَن (٩) فَعْلَى

﴿احرف الزيادة﴾ وأنت اذا جمعت العناصر التي تضاف الى الجذر الثلاثي لوجدتها ب ت ح د ر س ش ط ع ق ل م ن ه و ي، وعلى الباحث اللغوي ان يجابه مشكلتين. المشكلة الاولى: «ما الدافع في اللغة الى بناء افعال رباعية؟» والمشكلة الثانية: «ما اصل هذه الزيادات وما معناها؟»

﴿الدافع الى بناء افعال رباعية﴾ قد تلمس بعض الحقيقة اذا قابلنا بين الفروق في معنى الجذر الثلاثي والوزن الرباعي المشتق منه، واذا ما ثبتنا من هذا الامر حقّ لنا ان نستنتج ما يمكن ان نسميه دافعاً

إنك اذا درست عدداً كبيراً من الرباعيات المشتقة من الثلاثيات وقابلت بين الفروق الناجمة وجدت ان هنالك دوافع ثلاثة هامة تظهر في معاني الرباعي وهي (١) الحدة في الفعل او الشدّة (٢) فكرة التكرار (٣) فكرة التعدية

مثلاً فَرْفَح أحدّ من فرح، وقَلْقَش الامتة تفيد الشدّة والحدة في الفعل، ودَقْدَق تفيد تكرار العمل اكثر من دق، وطَيْلَع ونيزل للتعدية. والسؤال المنطقي الذي يتلو هذا هو: هل هذه الميزات المكتسبة في الرباعي راجعة الى الحرف او بكلام آخر، هل هذا المعنى الجديد مُضَمَّن في الحرف؟ يصعب الجواب عن هذا السؤال حتى انهُ وان سلمنا جدلاً ان للحرف معنىً مستقلاً بنفسه لا يمكن التحقق من هذا المعنى الآن لتقادم العهد لان مبادىء اللغة تعود الى ازمان بعيدة جداً وقد حاول بعض لغوي العرب (وبعضهم فرس) ان يثبتوا معانيَ للحروف[1] ولكن النتائج

(١) مراجع الفهرست لابن النديم طبعة (Flügel) ص ٣٩—٨٨ تجد ذكراً لكتب عدة كتبت في هذا الموضوع. ثم راجع ابن جني في Oscar Rescher ص ١٥ حيث يقول: وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة لان ذلك يعود الى اسباب جميع اللغة وهذا مما يطول جداً وليس عليه عقدنا هذا الكتاب، وانما الغرض فيه ذكر احوال هذه الحروف منفردة او منتزعة من أبنية الكلم التي هي موقعة فيما يخصها من القول في اعنيها ... الخ

كانت محدودة . اذ يصعب جداً ان تخيل ان اللغة بدأت بأصوات قليلة العدد . لكل صوت معنى. فاللغات في كل العالم تتألف من اصوات ابتدائية (Phonemes) لايزيد عددها على ٤٥ ولا يقل عن ١٥ وفئة كاليونانية او العربية لا يمكن ان تكون قد بدأت وتطورت عن هذه الاصوات القليلة المحدودة ، فالحرف الواحد أو قل الصوت الواحد لا يمكن ان يكون لهُ معنى خاص يستقى من هذا جزء قليل أخذ معنى خاصاً في اثناء تطور اللغة

فاذا كان من الصعب اثبات معنى لاحرف الزيادة فما هي اذاً هذه الحروف ؟ هل هي بقايا كلمات مستقلة لم يبق منها الاَّ بعض اجزائها بعد ان اندمجت في الجذر الثلاثي لتؤلف الجذر الرباعي الجديد ؟ هذا مستبعد ايضاً ، لان العربية كباقي اللغات السامية لا يعرف فيها امتزاج جذرين في كلة واحدة كما هو الحال في اللغات الآرية ولا يعرف بعض مظاهر النحت التي هي حقاً اختصارات اكثر مما هي ألفاظ منحوتة مثل بَسْمَلَ وحوقل أي قال بسم الله ولا حول ولا . . .[1] فان اللغات السامية لا تعرف النحت فما هي اذاً ؟

ان هذه الزيادات يمكن اعتبارها عناصر اشارية deictic كالتي تتألف منها الضمائر واسماء الاشارة والموصول . مما لا شك فيه ان الضمائر في السامية كما هي في باقي اللغات ، كلمات لا ترد الى جذور تتضمن فكرة اصلية كما في قتل بل تتألف من عناصر اشارية كما في أنت ، هو ، الذي ، وقد مرّت الاشارة الى هذا في اول المقال . ولا غرابة في ان اصل اقدم الكلمات في اللغة يردّ الى عناصر اشارية تنبيهية ، فالاشارة الى الشيء والتنبيه له ، والتعجب والاستغاثة والمناداة كل هذه من أقدم مظاهر اللغة على الاطلاق ولا نرى ضرورة للاسهاب في هذا الموضوع لان اصل الضمائر في اللغات السامية امر معلوم عند الاخصائيين . ولهذا الموضوع مراجع مستفيضة في اللغات الاعجمية

اما اذا حللنا الضمائر في العربية الى العناصر التي تتألف منها وجدناها : أ ت ذ ك ل م ن ه و ي ، اما احرف الزيادة التي تضاف لبناء الرباعي فهي ب ت ج د ر س ش ط ع ق ل م ن ه و ي ، وانت تجد ان جانباً من احرف الزيادة لا وجود لهُ في بناء الضمير مثل الطاء والعين والقاف . اما الشين وان لم نجدها في الضمير العربي فهي واحدة في ضمائر لغات اخرى سامية . اذ لا انكر ان هنالك مصاعب تاريخية وصوتية (Phonetic) يصعب تعليلها . ولكن بوجه عام يمكننا ان نقول ان القصد من هذه الزيادة هو . اولاً — لتأدية معنى المبالغة . ثانياً — لتأدية معنى الحدة والشدة . ثالثاً — لتأدية معنى التعدية . رابعاً — لاسباب صوتية بحتة

(١) راجع مثلاً للاب لويس شيخو في المشرق المجلد الاول ص ١٠٢٧ حيث ينفي وجود هذه الظاهرة في العربية

ولكن درس مسألة الاصوات في اللغة السامية لايزال في مهده ولا نعرف عن النواميس التي تتقيد بها الا القليل. خذ مثلاً وزن فرعل، فعلل، فعلل، التي هي ربما كانت عوضاً عن وزن فعّل الفصيح فبدلاً من مضاعفة الحرف الوسط يستعاض عنها بزيادة حرف كان اللسان يستسيغ او يستسهل لفظ فرفع مثل قشّع وفنجر على قجّر. ولكن السؤال الهام هو متى تزاد الراء او النون او اللام للاستعاضة عن التضعيف؟ هذه اسئلة لا يمكن الجواب عنها لقلة الادلة وربما عند ما تتوافر لدينا الاستنتاجات يمكن ان نقرر النواميس التي تتبع في هذه الناحية

﴿ الافعال الرباعية في الفصحى ﴾ اذا راجعنا المعاجم وجدناها طافحة بالافعال والاسماء الرباعية والخماسية والسداسية واكثرها مهمات ومعانيها غريبة عنا حتى ان الذين جمعوها ودونوها لم يكونوا على ثقة مما يدونون، بل كتبوا ما كتبوا على ذمة الراوي او على استنتاجهم من معنى يتكرر ورد في شعر احدهم، يدلك على ذلك المعاني الثقيلة التي تقيدها هذه المجموعة الكبيرة فانها لا تتعدى معنى «صلب، ضخم، شديد، سيء الخلق، غليظ، طويل» الى ما هنالك من المعاني غير المحدّدة. وعدم معرفتنا معانيها بالضبط يحول دون درسها لانه اذا فقد المعنى صعب التعليل

اما في كتب الادب وفي الشعر فورودها قليل بالنسبة الى كثرتها في المعاجم. فهذا القرآن الكريم لا يحتوي على اكثر من ٥٠ كلمة رباعية. ويحق للباحث في تطور اللغة ان يسأل عن السبب في ذلك. ولنا رأي نبديه بتحفظ وقد لا نكون على صواب فانما نعتقد ان الاوزان الرباعية لا بل النزعة في اللغة السامية الى اشتقاق اوزان رباعية من جذور ثلاثية كانت في عصور قديمة شائعة جداً كما هي شائعة في بعض اللهجات العربية المحكية [1] غير انه عند ما بدأ عصر التدوين والكتابة فعل قانون الانتخاب اللغوي فعله. فالناس عند ما يتكلمون يستعملون لغة ولكن عند ما يكتبون يستعملون لغة اخرى وهذا يصدق على جميع لغات الارض. والكاتب ميال الى الابتعاد عن العامي فكل شائع معروف في لغته قريب للابتذال، وإلا ماذا يفرق الكاتب عن بقية الناس؟ وما الذي يفرق يوئيل التي العبراني في كتابته عن باقي الانبياء؟ ولما كانت الافعال الرباعية واشتقاقها شائعاً عامياً، نظراً الى ضخامتها وكثرة حروفها اخذ الكتّاب في الاقلال من استعمالها

(١) تكثر الافعال الرباعية في لهجة لبنان وسوريا، فان كاتب المقال تمكن من جمع اكثر من الف فعل رباعي في بلدة صغيرة في لبنان واكثرها غير مذكور في معجم Dozy والف فعل في لغة مجتمع يعيش على الزراعة في الجبل عدد لا يستهان به، وعندما يذكر الانسان ان مجموع الكلمات التي نستعملها في كلامنا العادي لا يزيد عن ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ يدرك معنى هذه الكثرة

رحلة جغرافية عمرانية

لوصفي زكريا

— ٣ —

الجبال — لا نبالغ اذا قلنا ان القطر اليماني قطر جبلي بحت . لان جباله تشمل ما يزيد عن ثلاثة ارباع مساحته العامة . وجبال اليمن تتبع سلسلة « السراة » او سلسلة الحجاز الآتية من الشمال والمتدئة من بين الطائف ومكة والمنتهية في جنوب اليمن عند الاعضاد المشرفة على تهامة لحج وعدن . قال ياقوت في معجم البلدان : السراة جبل يشرف على عرفة قرب مكة يمتد الى صنعاء ، وانما سمي بذلك لعلوه ، وسراة كل شيء ظهره . وقال ايضاً : السراة الجبال او الارض الحاجزة بين تهامة واليمن ولها سمة وهي باليمن اخص . وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب السراة اعظم جبال العرب واذكرها اقبل من ثنية اليمن حتى بلغ اطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً لانهُ حجز بين الغور « تهامة » وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه الى امياف البحر غور تهامة ، وصار ما دون ذلك الجبل من شرقيه نجداً ، وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز . وقال ايضاً : اما جبل السراة الذي يصل ما بين اقصى اليمن والشام فانهُ ليس بجبل واحد وانما هي جبال متصلة على نسق واحد من اقصى اليمن الى الشام في عرض اربعة ايام في جميع طول السراة يزيد كثير يوم في بعض هذه المواضع وقد ينقص مثله في بعضها . وفي (الرحلة اليمانية) للشريف عبد المحسن البركاتي : ان اول جبل السراة يبدأ في عقبة كرى بين الطائف ومكة ويسمى بجبل الحجاز لانهُ الحاجز بين تهامة ونجد وانهُ عظيم الارتفاع عن سطح البحر واسع المساحة كثير الطول طوله من الشمال الى الجنوب احدى واربعون مرحلة ، وكل مرحلة مسير يوم بالابل المحملة وهي اربعين كيلومتراً . فمن الطائف الى

ايها عاصمة عسير خمس عشرة مرحلة ومن ابها الى صعدة سبع مراحل ومن صعدة الى شهارة ثماني مراحل ومن شهارة الى صنعاء عاصمة اليمن سبع مراحل ومن صنعاء الى نهاية هذا الجبل اربع مراحل . وهذا الجبل آهل بالسكان وقراه متصلة ببعضها ، واذا سافر مسافر من الشمال الى الجنوب في تلك المراحل فانهُ يكون دائماً بين مزروعات واودية واشجار كثيرة المياه والمراعي وكافة قراه مبنية بالحجر المنحوت ودورها من طبقتين الى ثلاث ولا يوجد فيه الكواخ مثل تهامة . اه

قلت : وظهر هذه السلسلة المرتفعة ارتفاعاً عظيماً ينقسم قسمين ، فما كان منهُ في الشمال في علو نحو ٢٠٠٠ متر وما فوق حتى جاوز ٣٠٠٠ متر سمي باليمن الاعلى ، وما انحط في الجنوب عن ٢٠٠٠ متر حتى اقترب من مستوى التهائم سمي باليمن الاسفل . والحد بين اليمنين فيما قيل قرية المزل في نقيل سمارة في جنوب مدينة يريم ، على طريق تعز وعدن

واليمن الاعلى حول مدن يريم وذمار وصنعاء وغمران وما بعدها نحو الشمال يؤلف نجداً مستوياً واسعاً مستطيل الشكل يمتد من الشمال الى الجنوب من قرب جبال نجران الى نقيل سمارة المتقدم الذكر ، فيتباين العلو فيه من ٢٠٠٠ الى ٢٦٠٠ متر ويختلف طول قننه الشاغة من ٣٠٠٠ الى ٣٥٠٠ متر . ويمكن تشبيه هذا النجد بسنام الجمل . لان سفحيه الغربي والجنوبي يتدرجان في الانخفاض نحو التهائم الغربية والجنوبية ، وسفحه الشرقي نحو نباقي الجوف المنحطة ، وهذه تتدرج بالانخفاض من ١١٠٠ متر فما بعد ويمتد في وسط هذا النجد (خط تقسيم المياه) الذي يدفع بعض مياه ينابيعه وسيوله الى الاودية المنحدرة نحو نباقي الجوف في الشرق وبعضها الى الاودية المنحدرة نحو التهائم في الغرب والجنوب . وسيأتي ذكر هذه الاودية

على ان النجد اليماني ليس في مجموعه بسيطاً خالياً من التلعان والتضاريس . بل ان في معظم ارجائه جبالاً وأطواداً عديدة منفردة او مجتمعةً مخروطيةً او مستطيلة الشكل . وهذه الجبال تفصل بين الرقاع التي يدعونها « نيمان » جمع « قاع » ويتخذون ارضها الشاسعة للحرث والاستغلال . اشهر منها قاع البون وقاع سنحان وفيه مدينة صنعاء وقاع جهران وقاع حواس وقاع الحقل وغيرها

اما اطراف السلسلة وسفوحها المنحدرة نحو الغرب والجنوب والشرق فهي تتألف من جبال شاهقة هائلة تتدرج في الهبوط نحو التهائم او الجوف ، وبعض اعضادها يدنو من البحر كتلك التي بين عدن وباب المندب ومخا

وجبال اليمن كلها — سواء أكانت في النجود أم في السفوح — من أروع جبال العالم مرأى واعسرها مرقى واكثرها تضرساً وتلعاً واشدها انحطاً وتصدعاً وافقرها بالماء والكلأ .

وجبال طوروس وآمانوس في شمالي الشام وجبال لبنان الغربي والشرقي واطوادها وعقباتها تحسب متواضعة ذليلة اذا قيست بما في اليمن. لا جرم أن من لم ير جبال اليمن المكفهرة وشناخيبه المشمخرة وأوديته السحيقة وصخوره العظيمة النافرة، ومعظمها جاف متجرد عن البهجة والخضرة، اسود اللون، متجهم المنظر، ومن لم يشلق نقائله[1] وعقباته الوعثاء او يتدحرج في منحدراته الكأداء ذات الميل الشديد — لا يعدُّ رأى جبالاً وأودية ولا قاسى تعباً ولا ردد لفظاً ولا ارتعدت فرائصه فرقاً من خشية تدهور السيارة أو كبو الراحلة او زلق القدم. وهذا التدهور او الكبو او الزلق مع الشبه في مهامه تهامة من الامور غير النادرة في اليمن. وبلغ الروعة في هذه الجبال والاودية يدركه المسافرون في احدى الطريقين القديمة (طريق القوافل) او الحديثة (طريق السيارات) بين الحديدة وصنعاء، او بين صنعاء وحجة، او بين صنعاء وتعز، بل في اي طريق شئت، اذكر ولا تستثنِ. ففي طرق اليمن الجبلية عدد لا يحصى من القمم الناطحة السحب والوهاد والهاوي المسمنة في التقعر والتموج والارتفاع والانخفاض في هذه الطرق يختلفان اختلافاً فجائياً لا حوادة فيه ولا رفق فيها ترى نفسك قد صعدت في ٤ — ٥ ساعات الى علو شاهق قدره ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ متر تهبط فوراً في ساعة او ساعتين الى ثلث او نصف او ثلثي ذلك العلو، ثم تعود للصعود، ثم للهبوط وهكذا بمعنى ان منكب هذه السلسلة مؤلف من مرتفعات ومنخفضات تتموج تموجاً رهيباً ويأخذ بعضها برقاب بعض كامواج البحر المتتالية المتلاطمة على مسافة بضع مئات من الكيلو مترات مما يبعث الرعب والتعب الزائدين للقريب القادم حديثاً.

ورغم اكفهرار هذه السلسلة وكثرة معارجها ومهابطها فأن في مشاهدها عظمة وروعة تأخذان بمجامع القلوب، ولاسيما حينما تتراكم امواج الضباب وتتكاثف قطع السحاب وترتج الآفاق من الرعود القواصف والبروق الخواطف، وهي ظواهر جوية كثيرة الحدوث في اغلب الايام بعد الزوال، فحدث اذ ذاك ولا حرج عن طلعتها التي لا تمل ورؤيتها التي لا تجتوى، مما يحتاج وصفه وتبيين الوانه ووقعه الى قريحة شاعر مفلق او ريشة رسام مبدع

البراكين والسيول

ولاقسام هذه السلسلة اسماء عديدة تدعى سروات جمع سراة. وفي كل من هذه السروات جبال متعددة معروفة باسماء واوصاف خاصة لا تتسع هذه النبذة لذكرها من وعرتها وكلها من الجبال البركانية الاندفاعية وجل صخورها من جنس البازلت الاسود او الازرق القاتم وهو لا يمتص الماء ولا يخزنه ناهيك جهومة منظره وبشاعة مكسره مما جعل جبال اليمن في الاكفهرار

(١) جمع نقيل وهو اصطلاح يماني يطلق على الطريق في الجبل. ويقابله عند اهل جبل لبنان كلمة «قادومية» من تعفير المشي الا على الاقدام

الذي وصفناه . وبعض تلك الصخور من جنس الحجر sandstone او الغرة grès او التراخيت او الميكاشيت ذات الالوان الدكن او الصفر . وتختلط هذه الصخور الرملية بصخور البازلت السود او تتراصف معها في غير انتظام في كثير من الاماكن . وتربة قيعان النجد اليماني تتألف من الطيفان الجيري والرملي الناشيء من تفتت الصخور المذكورة ، وتكون هذه التربة صفراء اللون في الغالب . وتتألف تربة الاودية من الرواسب الرملية والطينية الناعمة التي جرفتها السيول ، وتكون غبراء او رمادية اللون

ويظهر ان ثوران البراكين وفتكات الزلازل في الاطوار الجولوجية الغابرة كانت في اليمن على اشد مايتصوره علماء الجولوجيا في التصديع والتحطيم وان افعال العوامل الطبيعية من حر وقر وهزاهز وسيول ما برحت حتى يومنا هذا في غاية العنف والقسوة . فالمسافر في طول اليمن وعرضه كيفما التفت يقع بصره على اهاضيب هرمية او مخروطية الشكل قممها فوهات براكين منطفئة وعلى شناخيب مسننة مرتفعة كالآذن والابراج وعلى اطواد وآكام متسددة متنزلة او متحنطة وكلها مشحن بالخروق والشقوق المفجعة من هول تلك العوامل الطبيعية واخصها الزلازل والسيول . وفي مناكب تلك الشناخيب والاهاضيب والاطواد والآكام او في سفوحها وفجاجها جلاميد هائلة الحجم والشكل (مثل او اعظم من حجر الحبلي في بعلبك) حطمها الزلازل او السيول من عل ، وصخور عظيمة مكدسة (مثل او اعظم من صخور الاهرام في مصر) ورضام مضرسة تتدحرج كسورها وفتاتها تحت الارجل فتزيد تعب الصاعد في عقباتها ومنحدراتها الكأداء وتجعله يقاسي لهات المحتضر

وفعل السيول في اليمن عظيم . وتاريخ اليمن طافح بفجائع هذه السيول التي تحدث الفترة بعد الفترة . واخصها ما يحدث في صنعاء يأتيها من انحاء سنحان وسمسان وجبل اللوز ويخرب قسماً غير يسير من صنعاء وشعوب والروضة ويذهب بعد للانصباب في وادي خارد أحد أودية الشرق

واذا استثنينا القيعان المنبسطة في انحاد سلسلة السراة والرقاع الصالحة في بعض ذرواتها واسنادها[1] والمنحدرات الخفيفة التي وطدها اليمانيون بمناعب زائدة وعملوا فيها حقولاً صناعية متدرجة اسموها جُرباً جمع جربة[2] فان اكثر أقسام هذه السلسلة عاطل غير قابل للحرث والزرع ، وتكاد نسبة القابل منها لا تزيد عن الاربعين في المائة ، وما بقي فتون او حرار[3] اومنحدرات هي مسارح للقرود وأوكار للنسور ومنابت لما لا خير في اكثره من الاعشاب التافهة والانجم والاشجار الشائكة مما سوف نذكره في بحث الزراعة

(١) السند ما قابلك من الجبل وعلا من السفح

(٢) يقابلها لدى أهل جبل لبنان كلمة جلول جمع جل (٣) التون جمع متن وهي الارض التي تجمع الارتفاع والصلابة والغلظة والحرار جمع حرة وهي الارض ذات الحجارة الكثيرة السود النخرة

وغني عن القول ان هذه الجبال لا تتساوى في العظمة والروعة وامكان الصعود والنزول ووجود رقاع للحرث والزرع فيها او عدمه . فمنها ما هو واسع الذروة ، صالح التربة ، قابل الصعود على البغال والحمير . ومنها ما تفاتئه شديدة الكؤودة تزل الوبر[١] والقرد ، بل ان بينها ما ليس له غير نقيل « لا يطلعهُ سوى المشاة ولا يطلعهُ دابة . فاذا — ارادوا دابةً يستفيدون بها في ذروته مثل البقر للحرث والحمير للحمل حملها الرجال عجلةً او عضوةً صغاراً »[٢] . على ان اليمانيين لم يغادروا قيد شبر يمكن الاستفادة منهُ في ذرواتهذه الجبال او منحدراتها لا سيما من تلك التي تتفجر فيها عيون وغيول[٣] . فهم قد تعلقوا باذيالها وتسلقوا ادراجها ووطدوا ما امكنهم التوطيد من انجادها واسنادها فزرعوا وغرسوا وشادوا الحصون والقرى بهم فساء جديرة بالاعجاب

الطرق ووسائل النقل

اما وسائط النقل فأحدثها السيارات . فهي قد دخلت اليمن منذ خمس سنوات وصارت تجري الآن بين اكثر المدن والقرى التهامية وبعض النجدية التي لا يصعب وصولها اليها . اما في الصعبة الوصول فقد عبدوا لها حتى الآن طريقين طريق الحديدة — صنعاء ، وطريق صنعاء — حجة . الا ان هذه الطرق التي يخططها موظفون غير مهندسين وقرويون غير مأجورين وتلك السيارات البالية التي يديرها سواقون غير ذوي كفاءة تجعل الراكب يسأل الله السلامة في كل لحظة

في طريق الحديدة — صنعاء تطوي السيارة بادىء ذي بدء سهول تهامة فتتسف بين كثبانها وتغوص احياناً في رمالها ويتحمل الراكب حرارة شمسها اللاهبة ، فاذا انتهى منها بعد مسير نحو ستين كيلو متراً يصل الى بليدة اسمها (باجل) تتقدم وصفها . واذا غادرها ظهرت امامهُ طلائع الجبال التي تقدم ذكرها . وبعد ان يجتاز محطة البحيح وقرية عيال التهاميين ايضاً تنحرف السيارة نحو الجنوب الشرقي وتشرع بالتوغل ، فتلك الطريق التي فتحت للسيارات حديثاً على النحو الذي وصفنا نقصه وخطره . وهي تتلفل وتتسع وتصعد وتهبط في اودية طويلة قليلة العمران والسكان اسماؤها سيحان وسهام تجري في بلاد ريمة . وهذه الاودية منحصرة بين جبال شاهقة من فروع جبال ريمة منها — والممتدة على الساثق الذي اسمها — على يمين الطريق جبل ضام وجبل عبس وجبل برع وجبل عاكر وعلى يساره جبل العجي وجبل شرق . وهذه الاودية تتصل تارةً وتبتعد اخرى ، وتكثر في عدوانها اشجار السمر الشائكة والنباتات المتعرشة على اختلاف فصائلها وحقول الذرة على اختلاف اعمارها واطوالها ، وقد يصادف السائر ايضاً فيها قطعان القرود على اختلاف وفرتها وضخامة بعض افرادها وغرابة

(١) الوبر Hyrax دويبة كالسنور لكنها أصغر منه (٢) الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ١٩٢
(٣) غيول جمع غيل ، اصطلاح يماني يطلق على الينابيع الجارية

وثباتها وصيحاتها المضحكة . واذ كانت السيارات لا تستطيع الاسراع اكثر من ١٠ — ١٥ كيلومتراً في الساعة بحكم شدة الطريق وكثرة المعارج والمنحطات فلا بد من قضاء الليلة الاولى في هذه الاودية المقفرة . والمحطة الوحيدة التي يجوز المبيت فيها هي قرية حقيرة وبيئة اسمها «مدينة العبيد» — سكانها جناية من السودان . وبعد مسير مسافات شاسعة وسط وادي حام علي في بلاد آنس يصادف السائر قرب منتهاه الشرقي حماماً معدنيًّا كبريتيًّا يأتيه المرضى في شهري مارس وابريل . وبعد هذا الحمام ببضعة كيلو مترات تشرع السيارة باقتحام عقبة طويلة كؤودة اسمها عقبة الصنع ، اذا بلغت اعلاها أفضت الى ظهر النجد اليماني الذي تقدم ذكره وتصل الى احد قيعانه المنبسطة المسمى « قاع جهران » فيتنفس المسافر هنا الصعداء لخلاصه من الصعود والدوران المتواليين المدورين للرأس ومن ضيق الاودية وحشرها وحرها ، ويلاقي بعد الآن فضاء فسيحاً وهواء سجسجاً . وبعد الاستراحة برهة في قرية « سمر » ينحرف السائر نحو الشمال الشرقي ، فاذا انتهى من قاع جهران يصعد في نقيل كؤود يفضي بعده الى اودية لا تخلو من منعرجات ومنبسطات فيها عدة قرى متنزة اسماؤها بيت زيادي ووعلان والدوب وحزيز وغيرها حتى يصل الى قاع فسيح في وسطه مدينة صنعاء

هذا وما عدا السيارات، ليس في اليمن ولم يكن من وسائط النقل، سوى البغال والحمير والابل. اما الخيل فقليلة الوجود والاستعمال شأن كل البلاد الجبلية. والطرق عبارة عن شعب ومسالك وشاء حفرتها الاقدام بمرور الايام . وقد صادفت في طلوعي من وادي الاهجر الى حصن كوكبان في عقبة تقطع الباط توقفا اكثرها مشياً، ان قسماً من هذه العقبة قد بلط بليطاً حسناً لم اعرف رغم سؤالي اي صاحب خير من القدماء صنعه وفي اي عصر صنعه . ومثل هذا البلاط موجود في نقيل سمارة الصاعد من إب الى يريم وهو على ما قيل من صنع الملك العزيز طغتكين اخي صلاح الدين الايوبي الذي حكم اليمن في سني (٥٧٧—٥٩٣هـ) ، ولعل الاول ايضاً من صنعه ، كما ان السور المحيط بصنعاء بدأ به اخوه توران شاه وأكمله هو

طريق القوافل القديمة

﴿ وصف طريق القوافل القديمة بين الحديدة وصنعاء ﴾ كانت الجيوش التركية والقوافل التجارية قبلاً تسلك طريقاً أقصر منالاً وأكثر عمراناً وسكاناً منها في طريق السيارات الحديثة . عبد الترك بعض أقسامها في زمانهم وبنوا الجسور على بعض أوديتها فجعلوها صالحة لسير عجلات المدافع وغيرها . الاّ ان هذه الاقسام المعبدة قد أشرفت على الخراب من الاهمال الحاضر . فالمسافر في هذه الطريق [1] بعد مغادرة قرية باجل ومحطة البحيح اللتين تقدّم ذكرهما ينحرف

(١) وصف هذه الطريق مراسل جريدة التيمس الانكليزية المستر هرس سنة ١٨٩٢ ، ونشر ترجمته جيمس ضومط في المقتطف م ٣٨ ج ١

نحو الشمال الشرقي ويمر بقرية اسمها حجيلة . ومن ثم يشرع بالصعود في واد طويل ، هائل المنظر ، على جانبيه جلاميد عظيمة مدهشة ، واسم الوادي حجام يمتد نحو ساعتين على سير الجمال وفي قرب حجيلة قرية الاكمة من قرى جبل مشار ، وتحتها العريف ووراءها جبل صعفان وفيه حصن متسوح . وبزداد الصعود بين الترقل بعد حجيلة كلما أوغل المسافر نحو الشرق وتزداد معهُ مناظر الجبال العظيمة ووعورتها الرهيبة ، وتزداد ايضاً رقة الهواء وبرودته المنعشتان على خلاف ما كان في هواء تهامة ذي الثقل والحر المضنيين وبعد وادي حجام يبلغ المسافر سفح جبل وصل ويلمح على يساره في الافق الشمالي جبل الطويلة ، ويلمح أمامه في الافق الشرقي جبل شمام المعدود من قمم اليمن الشامخة ووراءه في الافق الغربي جبل برع وجبل ربعة المماثل لهُ ويلمح في طريقه ايضاً اوير بقرية محصنة اسمها « المنارة » أصلها اسماعيلية مكرميون . وبعد اقتحام عقبة طويلة تقطع ناط القلب طولها خمس ساعات يصل الى بليدة اسمها مناخة مبنية قرب قمة جبل حراز المشابه لصهوة الفرس . وهي كما قيل مسرح للبوم وموطن للعقبان والنسور ومناخة في موقعها وعلوها وتكل دورها الشبيهة بالحصون والآكام من أمنع أماكن اليمن وأعزها منالاً ، تشرف من أعلاها الاربعة على أودية ووهاد هائلة السحق والانحدار . واذا سرح المسافر نظره في آفاق مناخة البعيدة يرى وادي موسنة ينبسط أمامهُ شمالاً بغرب ودونه جبلا ملحان وحفاش ، وفي الشرق جبل شعيب حضور أعلى قمم اليمن طراً وتحته بوعان . وثمة قنن عديدة شيدت فوقها قرى حصينة وما منها الا وحولها الاراضي المحروثة والحقول الصناعية المتدرجة ومغارس البن والقات . وبعد مناخة يعود المسافر الى الهبوط والتدحرج في تقيل عمودي شاق اسمه تقيل مناخة فاذا بلغ وادي الشجة في اسفله يعود الى الترقل تارة والهبوط أخرى ، والهبوط أكثر والطريق مملوء بالاشجار الشائكة ، حتى يبلغ أسفل واد سحيق يعد أوطأ قسم الجبال في اليمن وأحرها فيه قرية اسمها مفحق بليت فوق قمة . ثم يعود المسافر للترقل في درجات عسيرة لا يحصى حولها وهاد لا قعر لها ولا حد حتى يبلغ قرية اسمها سوق الخميس ، ثم قرية أعلى منها اسمها بوعان فيها قلعة شاهقة ، وفي بوعان مشهد للجبال والاودية الهائلة . واذا تراكمت امواج الضباب او قطع السحاب وهي كثيرة الشتاء والتراكم في هذه الاماكن الجبلية المتجهة الى الغرب نحو سواحل البحر الاحمر ، تحدث مسارح النظر ومباهج الفكر التي أطرينا روعتها وبداعتها . وبعد بوعان يشرف الترقل الى متنة او مخضر سنان باشا وهي آخر مرحلة للقادم من الحديدة . وبعدها نزول متدرج الى مساجد ، ثم صعود الى عقبة عصر ثم نزول الى سهل أفيح فيه مدينة صنعاء خاتمة المسير

قلنا ان الترك في عهدهم الأخير عبدوا أقساماً كثيرة من هذه الطريق وخلوا صعبها . وكانوا يريدون ان يسيروا بها من مفحق الى وادي ضفور الى عيال ، تاركين مناخة لصعوبة

عقباتها وعلوها . ثم قرروا مد سكة حديدية من رأس الكثيب في شمالي الحديدة الى باجل فوادي ضفور فمفحق فسوق الخميس فصنعاء، وعهدوا في مد هذه السكة الى ادارة الخط الحجازي ، فقامت هذه الادارة بالعمل وجلبت آلات وعوارض وقضبان حديدية ، وتقدم التمديد من الساحل الى الداخل نحو ١٥ كيلو متراً . ولكن مفاجأة الطليان بحرب طرابلس الغرب ومن بعدها الحرب البلقانية والحرب العامة ، حالت دون انجاز ذلك

الارتفاعات في قسم الجبال

صعدة ٢٢١٦ عمران ٢٣٠٢ كوكبان ٣٠٠١ الروضة ٢٣٠٦ رداع ١٤٠١ تلا ٢٨٦١ ذي مرمر ٢٦٩٨ شام ٢٦٣٥ ذمار ٢٤٣١ يريم ٢٦٨٥ تعز ١٣٧٤ مأرب ١١٠٠ الطويلة ٢٩٠٠ مسور ٣١٦٠ معبر ٢٥١٦ جبل شعيب حضور « اعلى قمم اليمن » ٣٥٠٠ جبل ظفير في قضاء حجة ٣٤٠٠ جبل شهارة في بلاد حاشد ٢٣٧٠ . وفي بلاد عسير ، أبها ٢٢٧٥ سوغا ٢٣٦٠ محائل ١٦١٠ غامد ٢١١٠ . وفي قسم تهامة اليمن زهرة ٣٥٧ حبس ٢٩٥ بيت الفقيه ١٦٥ زبيد ١٤٠ وجميعها بالامتار

الاودية والسرود

ليس في اليمن أنهار تشبه على الاقل الصيفي او يردى في بلاد الشام من حيث غزارة الماء ودوام الجريان . بل ان بين جباله اودية تحصل من خطوط اجتماع المياه الهابطة من ذروات جبال اليمن والمنحدرة نحو التهائم في الغرب والجنوب او نحو النجود في الشرق . وتحصل مياه هذه الاودية اما من الينابيع المتفجرة عند خطوط اجتماع المياه المذكورة واسمها في اليمن (غول) جمع (غيل) ، وإما من السيول المجتمعة من مياه الامطار . ومياه هذه الاودية اما ان تغور في رمال تهامة والجوف وتضيع سدًى، وإما أن ينتفع بها في ري بعض الاراضي كما يعمل أهل زبيد ولحج . وهذه الاودية كثيرة ، لا طائل في ذكر اسمائها وتعداد روافدها في مجالتنا هذه . وجلها جاف في غير موسم الامطار . وليس بينها ذو ماء غزير يسيل في ايام السنة وينتهي في البحر الا وادي بنا ومصبه شرقي عدن ، ووادي لحج ومصبه في عدن ، وأودية تهامة العربية كوادي مخا ووادي زبيد ووادي رمع ووادي سهام ووادي سردود ووادي مور . وتمتد طول كل منها ٤ — ٥ ايام على الماشي ويحصل في مجاري بعضها غدران عميقة وواسعة يجدون فيها سمكاً يوزن الكيلو غرام أو الكيلو غرامين . ويذكر من أودية الشرق التي تذهب نحو فيافي الجوف وادي الجارد ووادي أذنة وغيرهما . الا ان اعظم هذه الاودية واقواها هو وادي مور الذي لا ينقطع في كل السنة وهو ميزاب تهامة الاعظم ، ومثله بكثرة الروافد وبعد المآتي في الشرق وادي آذنة الذي كانت تخزن مياهه بسد مأرب الشهير ويلقب بميزاب الشرق

والاودية في اليمن اجل اماكنه قدراً واعظمها شأناً ونفعاً . وهي ازهاها منظراً وازكاها تربة وارفرها خيراً وميراً . ففيها المواقع الرغيدة والينابيع والعيون الدافقة والاشجار الظليلة والمحاصيل الغلالة والقرى والمزارع العامرة المنتشرة على عدوتيها انتشاراً متقارباً جميلاً واذ ارتفعت هذه الاودية عن مستوى تهامة وحرها وانطلقت عن عقر الجهود وبردها فهي معتدلة الاقليم في الجملة على ان بعضها يشذ عما ذكرناه لضيق رقعته وانحباس هوائه وكثرة مائه فيحدث فيه الحر اللاهب والبرد اللاسع ويسبح ويشأ تفتك فيه حمى البرداء (الملاريا) . لا جرم ان اليمن لولا اوديته هذه لما اختلف بحياله وتهائمه من الهيكل العظمي الا قليلاً . فاجل مغارس اليمن ومزارعه واجود وابرك اشجاره وثماره تكون في هذه الاودية وفي كل منها كما قال الهمداني « ما لا يوقف عليه من القرى الصغار والابيات ، وكل واد منها مخلاف يكون فيه سلطان يقوم به عوائده »

وكان قدماء اليمانيين يعرفون قيمة مياه هذه الاودية الفائضة ويحسنون خزنها والانتفاع منها فيعمدون الى بناء الاسداد وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية المذكورة لحجز السيول ورفع المياه لري الاراضين المرتفعة كما يفعل اهل التمدن الحديث في بناء الخزانات . فتكاثرت الاسداد بتكاثر الاودية حتى جاوزت المئات . وذكر الهمداني في يحصب السلو من مخاليف اليمن (قضاء يريم الحالي على ما يظن) وحده ثمانين سداً . والى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وباربوة الخضراء من ارض يحصب ثمانون سداً تقلس الماء سائلا

واشهر اسداد اليمن « العرم » وهو سد مأرب الشهير وسد الحانق بصعدة وسد ريدان وسد سيان واسداد بلاد عنس وغيرها . وكلها مندثر ، لو امكن ترميم بعضه ان لم يكن جميعه لعاد قسم من عمران اليمن وزهوه اللذين أدبجهما الرومان في كلمة (العربية السعيدة)

المعادن

يستعمل اهل الجبال في اليمن الملح الصخري الذي يجلب من جبل الملح في مأرب . قال الهمداني في هذا الجبل ، هو ليس بجبل منتصب ولكنه جبل في الارض يحفر عليه ويعمن في الارض وهو يبقى منه اساطين تحمل ما استقل من تلك المحافر وربما انهدم على الجماعة فذهبوا . وهي ارض لا نبات فيها فيحمل اليها الماء والزاد والحطب والعلف ويتحفظ على الماء — من أجل الغراب ان يفسر السقاء فيذهب ماؤه وهو من مأرب على ثلاث مراحل خفاف . ومأرب بحذاء صنعاء شرقاً . اه . وفي مراحل تهامة الغربية عدة ملاحات اخصها الصليف شمال الحديدة ، وهي عظيمة ملحها صخري فريد في نقائه وجودته وغزارته وقد كانت هذه الملحة تستغل في عهد الثمانيين وتدر وارداً قيل انه كان يبلغ المائتي الف ذهب عثماني ، الى ان خربتها الدوارع الانكليزية خلال الحرب العامة وحطمت مبانيها وآلاتها فلم تعد تقوم لها

قائمة ، وقد طلب بعض الاجانب من جلالة الامام امتيازاً باصلاحها واستغلالها فلم يلب طلبهم خشية امتداد ايدي الاجانب الى اليمن بجرائمها . . . وقد اوجب خراب ملحة الصليف عمران ملحة عدن التي يستخرج ملحها من البحر وفي اليمن احجار بازلتية سود واحجار كلسية وجبسية يبنى صالحة للبناء واحجار كالرخام تقطع الواحاً رقيقة فتخرج شديدة الشفوف واللين والمتانة كأنها الزجاج او انيكا يستعملونها لسد النوافذ ويأتون بها من حوالي صنعاء . ولا تخلو بلاد اليمن البركانية من ينابيع مياه حارة كبريتية عليها حمامات يقصدها الاعلاء ، اشهرها حمام علي في قضاء آنس وحمام بيت الفقيه وحمام ناحية عر وحمام قحبة وحمام رداع

وقد ردد الهمداني وغيره من مؤلفي العرب وأطنبوا في معادن اليمن وأحجاره الكريمة فذكروا وجود الذهب والفضة والحديد والنحاس . وقيل ان بعض الخبراء من الافرنج اخبروا ايضاً عن وجود معادن الحديد والكروم والنحاس والفحم الحجري والكبريت والنفط ، وذلك في النماذج التي جلبت لهم للفحص او في الاماكن التي توصلوا اليها . لكن احداً لم يحقق حتى الآن صفاء هذه المعادن وغنى مناجمها ان كانت لها مناجم دارة ، ولا يزال اليمن بحاجة الى خبراء في الجيولوجيا والمعادن يرودونهُ رواداً علميًّا ويحققون الصفاء والغنى المذكورين اللذين يشك في كفايتهما ووفائهما بنفقات الاستخراج . وكذلك لا يعرف سبب اهمال المعادن القديمة التي ذكرها الهمداني وغيره أنفاد مناجمها أم لصعوبة استخراجها . وجل ما قيل[1] ان منجم الفضة في الرضراض بين بلاد همدان وخولان كان يستثمر قبل الهجرة الى ان هبط احد كهوفه وسد منافذه فترك . ومثله منجم الرصاص في بلاد نهم ومنجم الفضة في مسارع ، قيل انهما كانا يستثمران في عهد الامام شرف الدين وابنه المطهر (٩٢٣ — ٩٨٠ هـ) الى ان هبطت كهوفها ايضاً وسدت منافذها فتركا وقيل انهُ كان في جبل نقم (قرب صنعاء) في عهد الحميريين منجم للحديد ظلوا يستثمرونهُ قروناً وكانت الاسلحة المصنوعة من هذا الحديد ذات قيمة باهظة لجودته ، وقيل ايضاً انهُ كان في جبل صبر (قرب تعز) منجم للذهب استثمر طوال قرون . ولم يبق من المناجم القديمة التي تستثمر سوى منجم الحديد في جوار صعدة . ويذكر ان الحديد القليل الذي يستخرج منهُ يؤتى بهِ الى صنعاء وغيرها ويباع بضعفي ثمن الحديد الاوربي المجلوب الى اليمن ويعمل منهُ الجنبيات (جمع جنبية وهي السكين التي لا بدَّ لكل يماني ان يحملها في وسطه) والجرد (جمع جردة وهي ضرب من السيوف العريضة) . اما الجزع اليوني والمسير والعقيق الاحمر والاصفر اللذان يستعملان في صناعة الخواتم والكذب الذي يعمل منهُ ألواح وصفائح وقصب سكاكين وأمثالها من الاحجار الجميلة التي ذكرها الهمداني فانها لا تزال موجودة في اليمن يرزق من نحتها ونقشها أرباب صناعتها في صنعاء وغيرها

(١) سالنامة ولاية اليمن لسنة ١٣٠٤ هـ ، مطبعة صنعاء

صفحات من تاريخ الجيش

نواح عسكرية

في عصر اسماعيل العظيم

لعبد الرحمن زكي

في الفصل السادس من كتاب القاضي كرايتس « اسماعيل المفترى عليه » تقف على شيء كثير من مطامح الخديو اسماعيل باشا وآماله التي سعى في تحقيقها الى تحرير مصر من نير السيادة التركية . ولما كان يحتمي ان يضطر الى امتشاق الحسام لتحقيق هذه الغاية اتجه بأبصاره شطر الولايات المتحدة الاميركية ليستمير منها ضباطاً لتنظيم جيشه وتدريبه

ولسنا نعلم ما الاجراءات الاولية التي اتبعها الخديو اسماعيل . والارجح انهُ في اواخر سنة ١٨٦٨ أو اوائل سنة ١٨٦٩ اتصل الخديو اسماعيل بالكولونيل « هنري موط » Henry Mott من ضباط الجيش الاميركي الاتحادي . وكان قد ادخل اولاً في خدمته كضابط بسيط لكنهُ بعد ان اختاره اسماعيل كلفهُ أنتقاء ضباط اميركيين للخدمة في الجيش المصري فأخذ يستخدم ضباطاً من كلا الفريقين المتحاربين في الحرب الاهلية الاميركية وقد وقع اختياره على الضباط الآتي بيانهم :

الجنرالات لورنج وسبلي وستون . والكولونيلات شايه لونج . كولستون . ديريك . داي . فيلد — جنيفر — كتون — لوكيت — مكيفور — ملسون — بردي — بروت — الكسندر ريتولدز — فرنك ريتولدز — ريد — ريت — روجرس — سانيدج — آلين — وارد

ثلاثة ضباط برتبة لفتننت كولونيل . وثمانية برتبة ماجور . وثلاثة برتبة كابتن . وثلاثة جراحين

وقبل قدوم هؤلاء الضباط الى مصر وقعوا عقوداً مع الحكومة المصرية التي كان يمثلها « موط » (ان يشهروا الحرب على اي عدو للفريق الاول — كائناً من كان — وان يواصلوا تلك الحرب بكل شدة) ما عدا حمل السلاح في وجه الولايات المتحدة . وقد ذكر الكولونيل شايه لونج انهُ قيل له ولرفقائه سراً ان الغرض الحقيقي لمهمتهم كان تنظيم الجيش المصري لقيام

بعمل حاسم يضمن لمصر استقلالها ويزيل عنها النير التركي [1] واليك ما جاء في مذكراته عن اول مقابلة كانت بينهُ وبين اسماعيل باشا . قال له هذا :

« انني اعتمد على حكمكم واخلاصكم ومراعاتكم لشروط الكتمان لتعاونوني على تحقيق استقلال مصر . ومتى تم ذلك وسيتم باذن الله — فسأكافئكم أعظم مكافأة » [2]

﴿ هيئة اركان حرب الجيش المصري ﴾ ولعل اهم يوم في تاريخ خدمة الضباط الاميركيين في الجيش المصري هو يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٧٠ ففي ذلك اليوم عين الجنرال ستون رئيساً لاركان حرب الجيش المصري . وكان هذا التعيين نذيراً بانتهاء السيادة الفرنسية في الجيش بعد أن كانت هيئة اركان حربه معظمها ان لم يكن كلها من الضباط الفرنسيين . فاننا نعلم جيداً ان عقب حرب القرم (١٨٥٣—١٨٥٥) وموت القائد سليمان باشا الفرنسي [3] رئيس هيئة اركان حرب الجيش المصري في ايام محمد علي الكبير والبطل ابراهيم وعباس باشا الاول وسعيد اندثرت هذه الهيئة او ظلت اسماً على غير مسمى حتى بعثها اسماعيل باشا

لما بدأ الجنرال ستون عمله في ربيع عام ١٨٧٠ وقصد نظارة الحربية لتقلد منصبه الجديد لم يجد فيها « هيئة » كالتي توقعها وعثر على اسم كولونيل فرنسي كان مسافراً الى انكلترا لمشترى ذخائر واسلحة ولكنهُ لم يعد من مهمته الا حوالي عام ١٨٨٠ . ولم يجد الجنرال ستون في نظارة الحربية خرائط او كتباً عسكرية او ملفات هامة للابحاث الحربية كما كان ينتظر ولم يكن للجيش المصري رئيس هيئة أركان الحرب بعد وفاة قائده القديم سليمان باشا الفرنسي الذي كان قد أوصى بارسال بعض ضباط الطلبة الى فرنسا لتلقي الدروس العسكرية العالية . فلما عادوا ضمهم تحت رآسته الى هيئة اركان الحرب التي ألفها على الاسلوب الفرنسي وبوفاته لم يخلفهُ أحد في منصبه حتى ١٨٧٠ . ولم يكن من افراد تلك البعثة العسكرية غير شريف باشا الذي كان يشغل منصب رئيس النظار وقائمقام الخديو اثناء غيابه في الاستانة — ومراد باشا حلمي الذي وصل الى رتبة اللواء وصار فيما بعد ناظراً للحقانية في عهد المغفور له توفيق باشا . وعلي باشا ابراهيم ناظر المعارف فيما بعد وغيرهم من اعضاء البعثة الرابعة (١٨٤٤) [4] فكان من الطبيعي ان يؤلف الجنرال ستون

(١) كتاب « حياتي في القارات الاربع » لمؤلفه الكولونيل شايبه لوفج ج ١ ص ١٧

(٢) راجع كتاب شايبه لوفج ج ١ ص ٣٢ الذي سبق ذكره

(٣) هو الكولونيل سيف Sève الفرنسي الجد الاكبر لاسرة جلالة الملكة الوالدة وكانت وفاته في ١٢ مارس عام ١٨٦٠ بمرض الروماتزم وضريحه اليوم بجانب قصره في مصر القديمة — انظر كتاب Soliman Pacha لمؤلفه Aimé Vingtrinier ص ٨٣ .

(٤) راجع كتاب البعثات العلمية في عهد محمد علي وعباس الاول وسعيد للمرحوم الامير الجليل عمر طوسون باشا ص ١٧٢ — ٣٧٤

هيئة جديدة وبدأ عمله بعد ان اكتسب ثقة الخديو وأنشأ مساعيهُ واعداد ضباط اكفاء يتولَّون تعليمهم الجديدة وتنظيم الجيش للخدمة بارشادات هيئة أركان الحرب وكان أول ما أوصى به الجنرال ستون تعليم صفوف الجيش

﴿ تعليم ضباط الصف والجنود ﴾ واستصدر أمراً من الخديو بان لا يرقى أحد أفراد الجيش الى درجة الأ وهو ماشٍ الاَّ اذا كان ملمًّا بالقراءة والكتابة ولكي يمكن ترقية جميع الجنود صدر أمر عالٍ بانشاء مدرسة في كل أورطة لتعليم ضباط الصف والجنود مدة ساعة ونصف ساعة على الاقل يوميًّا — ونظمت مدرسة لتعليم ضباط الصف لكي تمد الجيش بما يلزمهُ واستطاع بعد مدة قصيرة تعليم ١٥٠٠ من الجاويشية والأوباشية القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ومبادىء أعمال مسك الدفاتر . وألف بعونة هؤلاء الرجال أورطتين نموذجيتين للجيش ولما انتهى تعليمهم أعيدوا الى بلوكاتهم الاصلية لتلقين ما تدربوا عليهِ ثم كان يستبدلهم بغيرهم لتدريبهم وهكذا . وكانت تلك المدرسة ملحقة بالتكنات المخصصة لنظارة الحربية بالقلعة ليتردد عليها « ستون باشا » لمراقبتها باستمرار

ظهرت نتائج تلك النظم وأينعت ثمارها في وقت قصير فلقد كان ثلث عدد ضباط الجيش حتى عام ١٨٧٠ لا يعرفون القراءة والكتابة ولم يكن عدد الصف والجنود الملمين بالقراءة والكتابة ليزيد عن العُشر . فلما كانت سنة ١٨٧٣ أصبح أكثر من سبعين في المائة من رجال الصف قد تعلموا القراءة والكتابة واصبحوا قادرين على التعبير عن أفكارهم كتابة . ولم يقتصر أمر تعليم الجيش على الجند فقط فان « ستون باشا » اقترح على اسماعيل باشا فتح مدرسة أخرى لتعليم أبناء الجند كحق لمن يدافع عن وطنهِ بحياته وكواجب على الامة تؤديهِ نحو أبنائها الجند . فلقي هذا الاقتراح رعاية الخديو وتشجيعه وأمر بانشاء مدرسة في كل مركز فرقة من فرق الجيش وأمر بالعناية بالأطفال وتوزيع الملابس والاغذية عليهم على ان يعودوا الى أمهاتهم في كل مساء . أما الجنود الذين استبقوا أسرهم في بلدانهم بعيدين عن المحطات العسكرية فكانت تخصص لابنائهم أمكنة للمبيت فيها وتصرف لهم الاطعمة في تلك المدارس بدون مقابل

وقد أثمرت تلك المدارس في سنين قلائل فنال أكثر من ٢٨٠٠ طفل قسطاً متوسطاً من التعليم بدلاً من اهمالهم في قراهم . وكان أكثر معلمي تلك المدارس من ضباط الجيش الذين انتخبوا من وحداتهم للقيام بهذا العمل الجديد وانتخب منهم بعض الجنود لاعمال الخدمة في المعسكرات فلم تتحمل ميزانية الجيش اعتمادات كبيرة لحفظ تلك المنشآت الجديدة التي لم تكلفها أكثر من ٢٥٠٠٠ جنيه في العام مقابل الخدمة الهامة التي أسدتها الى أبناء الجنود . وكان مما يؤسف لهُ كثيراً ان أغلقت هذه المدارس في عام ١٨٧٨ بتوصية لجنة مراقبة المالية بحجة

الاقتصاد في أبواب الميزانية وذلك لفائدة جملة الاسهم من الاجانب

﴿مدرسة أركان الحرب﴾ وكان من تعليمات سنون باشا انشاء مدرسة لاركان الحرب . انتخب لها عشرين طالباً من بابي طلبة المدارس العالية . وكان لتلك المدرسة الفضل الاول في اخراج طائفة مختارة من شبان الضباط المتعلمين بين الاعوام ١٨٧٣—١٨٧٨ فوزعهم على الاقسام العسكرية المختلفة ومكاتب القواد ورؤساء الضباط الذين استقدمهم للعمل معه من أميركا أمثال الجنرال لورنج وكولونيل داي والماجور لونج وجريفز وغيرهم . كما انهُ انتخب فرقاً من نجباء الضباط في سلاحي المدفعية والخيالة ممن يجيدون احدى اللغتين الانجليزية او الفرنسية للعمل مع هيئة أركان حرب الرآسة بأشراف الجنرال لورنج[1] صاحب الفضل في تدريبهم على الاعمال العسكرية الفنية العالية

﴿تنظيم هيئة أركان الحرب﴾ وبالتدريج أنشئت الأقسام المختلفة لهيئة أركان الحرب العامة في نظارة الجهادية ووضع كل قسم تحت رآسة ضابط أميركي . وكان كلما تخرج عدد من الضباط المصريين من مدرسة أركان الحرب عينوا للعمل في تلك الاقسام برتبة الملازم الاول . وبتقدمهم المناصب الجديدة بدأوا التمرين على الاعمال الفنية الخاصة . وأنشئت مكتبة عسكرية ضمت مختلف المؤلفات العسكرية المشهورة في اشهر اللغات واشترك في عدد كبير من المجلات الحربية الاميركية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية . وكانت هذه المكتبة تحتوي على أربعة آلاف مجلد على الاقل لما أنشئت . وفي السنة الاولى من انشاء تلك الهيئة قام عدد كبير من الضباط المصريين باستكشاف المناطق الافريقية المجهولة ومنابع النيل ورسموا الخرائط التفصيلية لها . وتقدمت أعمالهم طبعاً بمد خام نحو خط الاستواء . وفي الاعوام ١٨٧٤ و ١٨٧٥ و ١٨٧٦ امتدت تلك الاستكشافات الى كوردفان ودارفور والى بحيرات خط الاستواء كما أمتدت الى الجنوب الشرقي نحو بربره وهرر وجردفون ونهر جوبا (بلاد الصومال) ومما لاجدال فيه ان ضباط هيئة اركان الحرب المصريين استكشفوا فيما بين عامي ١٨٧١ و ١٨٧٨ وبثوا على خرائطهم مساحات شاسعة من المناطق الافريقية التي ظلت مجهولة حتى أواسط القرن التاسع عشر وفاق مجهودهم ما قام به المستكشفون الاجانب في القارة السوداء ومعظم ابحاث هؤلاء الضباط لا تزال من أهم المراجع الجغرافية[2] وليس معنى ذلك ان نتجاهل مستكشفات ستانلي وصمويل بيكر وجرانت وسبيك ولفنجستون وغيرهم من رجال الاستكشافات الافريقية الخاصة بنهر النيل ومنطقة البحيرات والانهر الاخرى

﴿المستكشفون العسكريون﴾ ولقد برهن الضباط المصريون الذين تخرجوا من مدرسة اركان

(١) هو الفريق لورنج باشا الذي عرف بأبي ذراع فقد كانت ذراعه مقطوعة واستدعي للخدمة في الجيش المصري في أوائل ديسمبر عام ١٨٧٥ لرآسة هيئة اركان حرب الحملة المصرية في بلاد الحبشة

(٢) نشر جانب كبير من الابحاث الجغرافية للضباط المصريين في جيش اسماعيل باشا بمجلات اركان الحرب العسكرية والمجلة الجغرافية الخاصة بالجمعية الجغرافية الملكية ومؤلفات الضباط الاميركيين أفراد هذه البعثة وأهمها Loring—A Confederate Soldier in Egypt—1884

الحرب على كفاءتهم الممتازة في الحملة المصرية بالحبشة وفي حروب الدولة العثمانية ضد بلغاريا والصرب . وقد استشهد ستة في المائة من عددهم في ميادين القتال وسقط اثنان في المائة في الاستكشافات الجغرافية السودانية من الامراض الفتاكة ومعظم من بقي منهم انتفع بمواهبهم واجتذبتهم المناصب الكبيرة اليها كالصاغ الفنية والمديريات واقاليم السودان . وكانت جهودهم في استكشاف البقاع الاستوائية والسودان ورسم الخرائط وتحديد الحدود مثالاً يقتدى به . فانه لما تم فتح دارفور (١٨٤٧ م) اصدر الخديو امراً الى الجنرال ستون بتجهيز حملة عظيمة لاكتشاف اراضيها واراضي كوردفان فعين الجنرال فرقتين من الضباط جعل الاولى تحت رآسة الكولونيل كولستون (Colston) وسمه الصاغ أحمد حمدي والملازمون عمر رشدي ومحمد ماهر ويوسف حلمي وخليل فوزي والدكتور الطبيبي العالم بفرند Pfund [1] ثم تقلد الماجور بروت Prout قيادة الحملة بسبب مرض الكولونيل المذكور وقام اعضاؤها بالعمل ثلاث سنوات في الاستكشاف ورسم خريطة كوردفان بالتفصيل وخريطة جبل مرّه بدارفور والطرق الواصلة اليها وخريطة لجهات مكركة ونيام نيام وملحقاتها وجهات خط الاستواء . وقد عثرنا على صورة للتقرير الذي رفعهُ الجنرال ستون الى الخديو اسماعيل باشا في ١٦ أكتوبر ١٨٧٦ مبيناً فيه خلاصة النتائج الجغرافية والعلمية التي تمت بمعرفة ضباط حملات الاستكشاف في أواسط افريقيا خلال الاعوام ١٨٧٤ و ١٨٧٥ و ١٨٧٦ فاذا هي تشتمل على ما لا يقل عن سبعة وعشرين كشفاً جديداً أهمها [2] :

١ — استكشاف دقيق للنيل الابيض من غندوكرو الى بحيرة البرت

٢ — استكشاف النيل الابيض من الخرطوم الى غندوكرو وتعيين خمسة مواقع بالارصاد الفلكية

٣ — استكشاف بحيرة البرت عام ١٨٧٦ بمعونة جيسي الايطالي

٤ — تحقيق مجرى نهر النيل بين بحيرة فكتوريا ومرولي واستكشاف بحيرة ابراهيم

٥ — استكشاف واتمام خريطة الطريق بين الدبية وماطول وبين الدبة وأوبال

٦ — استكشاف مديرية كوردفان وبلغت اطوال خطوط الاستكشاف ستة آلاف كيلو متر وقد وضع الماجور بروت تقريراً ضافياً لهذا العمل

٧ — استكشاف الطريق بين دنقلة على النيل والفاشر عاصمة دارفور برآسة الكولونيل بوردي والقنصل كولونيل ماسون وخمسة ضباط مصريين

٨ — استكشاف مديرية دارفور وجزء من منطقة دار فرتيت الى حفرة ديرالنحاس وشيكا الى الجنوب وعمل خريطة لها وتقرير ضاف

(١) راجع كتاب حقائق الاخبار عن دول البحار — لاسماعيل سرهنك باشا — الجزء الثاني ص ٣٣٨

(٢) راجع كتاب The Khedive's Egypt لمؤلفه Edwin de Leon الطبعة الثالثة عام ١٨٧٧ ص ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢

٩ — استكشافات جيولوجية ومعدنية للمنطقة الواقعة بين الرودسية وقنا على النيل والمنطقة الساحلية للبحر الاحمر بالقرب من القصير ورسم خريطة جيولوجية بالتفصيلات وقام بالجزء الاكبر من هذا العمل المستر ميشيل بمساعدة ضابط مصري من هيئة اركان الحرب والمسيو اميليانو الايطالي والاخصائي في المعادن

١٠ — استكشاف المنطقة الواقعة جنوبي غرب زيلع بالقرب من تاجورا طوبوغرافيًا وجيولوجيًا ورسم خريطة تفصيلية لها

١١ — استكشاف ومسح المنطقة بين بربرة وجبل دوبار ورسم خريطة لها وقد قام بهذا العمل اليوزباشي عبد الرزاق نظمي وبعض الضباط المصريين

١٢ — استكشاف واتمام الخريطة للطريق الصحراوي بين اسيوط وعين الاجية . وقام بهذا العمل الماجور ديوهولي Diuholy يعاونهُ ضابط مصري من هيئة اركان الحرب

وغير ذلك من الاعمال الفنية التي تسجل لهذا الجيل من العسكريين التابعين . وكان الضباط اثناء قيامهم بتلك المهام الفنية يعتمدون على مرتباتهم العسكرية الفنية ولا تمنح غيرهم من المستكشفين الاجانب بما ارتاح طول حياتهم . لكن كان من وراء اعمال هؤلاء الضباط الوصول الى رفع العلم المصري على المناطق الاستوائية الى ما وراء بحيرة فكتوريا نيانزا والصومال ومناطق البحيرات وغيرها من المناطق الساحلية التي كانت تابعة للدولة المصرية في وقت من الاوقات

﴿ الثقافة العسكرية ﴾ وفي سنة ١٨٧٣ وافق سمو الخديو اسماعيل على اقتراح ستون باشا بانشاء مطبعة عسكرية يكون مقرها في نظارة الحربية فقامت في باديء الامر بطبع المنشورات والتقارير ثم تقدم عملها واتجه الى اخراج الخرائط المتقنة الملونة والكتب . ومما يؤسف لهُ ان هذه المطبعة كانت في مقدمة ما اتجهت اليهِ لجنة مراقبة المالية عام ١٨٧٨ فأوصت بالقضاء على آلة الطباعة عاشرة العلم والحضارة . ومع نتيجة هذا الحكم القاسي ظلت آلة الطباعة تقوم بمصروفاتها معتمدة على ايرادها مما كانت تخرجهُ من المؤلفات وبيعها حتى أُلغيت نهائيًا عام ١٨٨٢ وتحولت آلاتها الى المطبعة الاهلية . وبجانب المطبعة العسكرية التي كانت تخرج صحيفتين حربيتين هما « جريدة اركان حرب الجيش المصري » والاخرى « الجريدة العسكرية المصرية » انشئت مكتبة نفيسة تحوي كتبًا قيمة في الفنون الحربية وألحق بها متحف حربي للاسلحة والتحف والتذكارات الخاصة بالجيش [1] وكانت المجلة الاولى تنشر مباحث قيمة للجنرال ستون باشا ولمحمد مختار افندي (باشا فيما بعد) وحماد بك عبد العاطي المدرس بالمدارس الحربية وعبد الرزاق نظمي (بك) وعبد الله بك فوزي من ضباط اركان الحرب

(١) راجع كتاب عصر اسماعيل للاستاذ المؤرخ عبد الرحمن بك الرافعي الجزء الاول صحيفة ١٨٩ و ١٩٠

﴿ جيش اسماعيل ﴾ والآن وقد انتهينا من رسم صورة عامة لأهم عناصر الجيش المصري في ايام اسماعيل وهيئة اركان حربه فلنذكر اهم الوحدات التي كان يتكون منها الجيش نقلاً عن حقائق الاخبار

الوحدات العسكرية	قواتها
١ — فرقة حرس مركبة من ٤ آلايات مشاة بقيادة الفريق راشد باشا حسني	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٢ — الفرقة الاولى مركبة من ٤ آلايات مشاة بقيادة الفريق عثمان باشا رفقي	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٣ — الفرقة الثانية بقيادة اسماعيل باشا كامل	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٤ — الفرقة الثالثة بقيادة محمد باشا خسرو	١٦٠٠٠ جندي و ٤٢٧ ضابطاً
٥ — اربعة آلايات خيالة بقيادة ابراهيم باشا الفريق	٤٠٠٠ جندي و ١٧٩ ضابطاً
٦ — اربعة آلايات مدفعية برية بقيادة علي باشا رضا	٦٠٠٠ جندي و ٢٣٣ ضابطاً
٧ — ثلاثة آلايات سواحل بقيادة خورشيد باشا	٣٤٠٠ جندي و ١٥٩ ضابطاً
٨ — اورطتان من المهندسين بقيادة الامير الاي احمد ثابت	١٨٠٠ جندي و ٥٣ ضابطاً
٩ — هيئة اركان الحرب بقيادة الجنرال ستون باشا	٣٠٠ جندي و ٦٩ ضابطاً
١٠ — قلم مهندسي الحربية بقيادة المرحلي باشا	٨٠ جنديًّا و ٤٠ ضابطاً
١١ — بلوك الصنايعية : بنو باشا ———	٤٥٠ جنديًّا و ١٤ ضابطاً
١٢ — ورشة الترزية : ابراهيم بك شوقي	٦٠٠ جندي و ٢٩ ضابطاً
١٣ — ورشة الذخيرة : حسين باشا الطوبجي	٣٥٠ جنديًّا و ٢٦ ضابطاً
١٤ — مستحفظين بيادة وسواري	٣٠٠٠ جندي و ٧٧ ضابطاً
١٥ — بوليس حربي	٥٠٠ جندي و ٢٠ ضابطاً
١٦ — مدرسة اركان الحرب	١٠٠ طالب و ٦ ضباط
١٧ — مدرسة المهندسين الطوبجية	٢٥ طالباً و ٢ ضباط
١٨ — مدرسة الخيالة	١٢٥ طالباً و ٥ ضباط
١٩ — مدرسة المدفعية	١٠٠ طالب و ٤ ضباط
٢٠ — مدرسة الطب البيطري	٤٠ طالباً و ١ ضابط
٢١ — مدرسة المشاة	٤٠٠ طالب و ٨ ضباط
٢٢ — مدرسة الحطرية	٣٠٠ طالب و ١٤ ضابطاً
٢٣ — مدرسة اولاد الجنود	٨٠٠ طالب و ٢٠ ضابطاً

سير الزمان

خواطر حول نزول
الملك ادورد الثامن
عن العرش

نظرات ومقابلات في العصر
الشرق والغرب
لسليم خياطة

فلسفة المعارضة
في نظام الحكم الديمقراطي

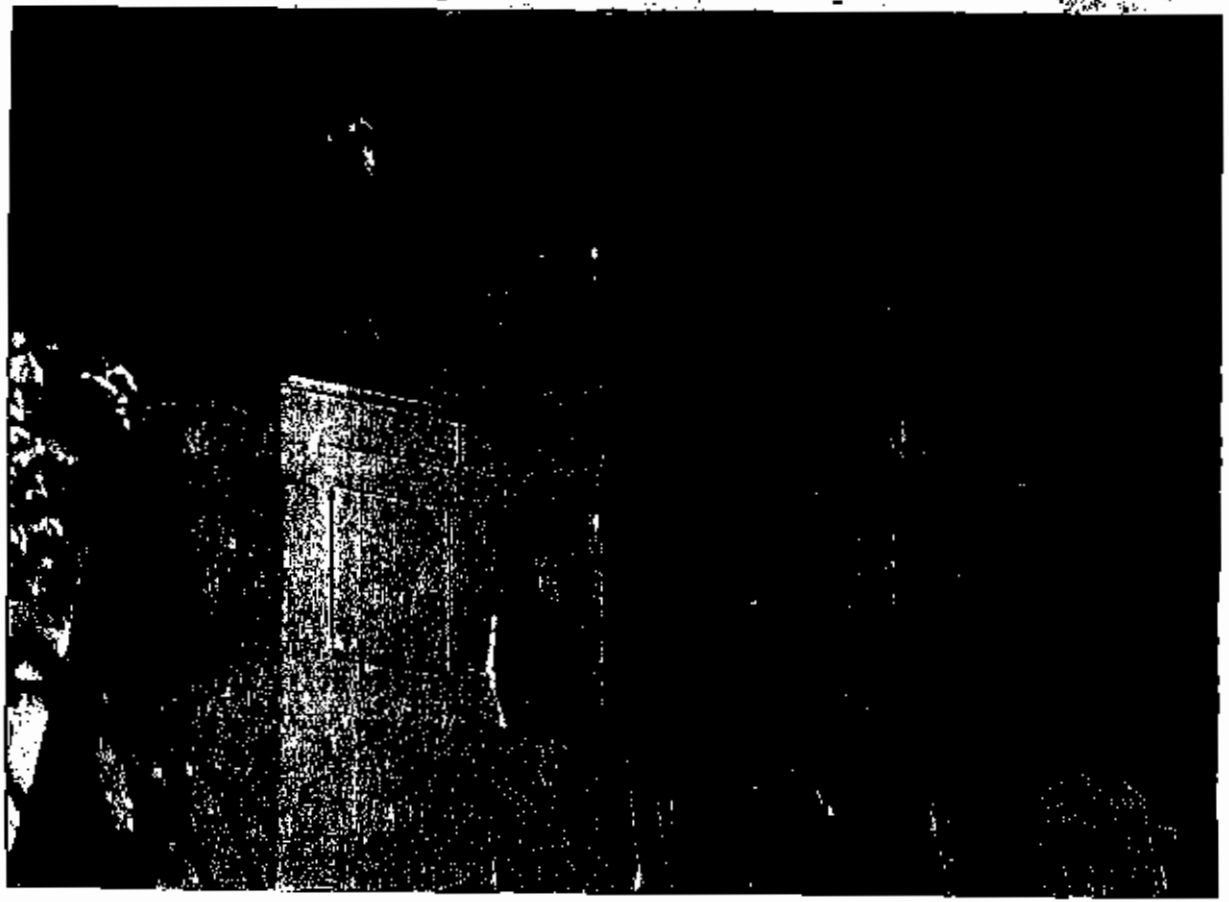

الدكتور بيارد دودج رئيس جامعة بيروت الاميركية ، فالاستاذ يوسف اقنيموس رئيس جامعة متخرجيها ، فالدكتور فارس نمر باشا ، فالدكتور عبد القادر العظم مدير الجامعة السورية بدمشق ، فتمثال الدكتور صروف
[صور الاهرام]

خواطر حول نزول

الملك اوزرد الثامن عن العرش

ان الاجانب الذين يزورون انكلترا ، قلما يفهمون ما ينطوي عليه النظام الملكي البريطاني من المفارقات ، ولا سيما اذا كانوا من بلدان جمهورية . فالملك الانكليزي مجرّد من السلطة بحيث لا يستطيع ان يختار زوجته الا بموافقة رئيس الوزراء ، ولكنه في الوقت نفسه له من المكانة في قلوب فريق كبير من الشعب وحياته الاجتماعية ، لا تدانيها مكانة اي حاكم بأمره في اوربا . وليس من المبالغة في شيء ان نقول ان الملك وامراء البيت المالك في انكلترا يحتلون في حياة شعبهم العامة والخاصة مقاماً لا مثيل له في سائر البلدان الملكية . بل ليس في بلدان اوربا الملكية ما في انكلترا من ولاء للاسرة المالكة وتدلّه روما لطبق بها . ولكن الانكليز انفسهم لا يرون هذا التناقض ، فيثيرهم مثلاً ما يرونه من تملّق الالمان بهذه ، كأنه سيدوكأنهم اتباع ، او ما يغال عن سعي بعض الروسيين لتأييد سنالين ، جاهلين أن موقفهم من الملك والملكة والاميرتين الصغيرتين والدوقات ، لا يختلف عن موقف الالمان والروس ، الا في المدام المسوّغ له .

ثم ان الاسرة المالكة في انكلترا ، على الرغم من زيارة المناجم والمدارس والمستشفيات ، ابعد عن الديمقراطية الصحيحة من كثير من الاسر المالكة الاخرى . فليس بالنادر في ستوكهولم ان ترى في الحديقة العامة رجلاً مديد القامة نحيف البنية ، يحييك وقد يقف ليتحدث معك . ثم تعلم اذا كنت لم تعرف من هو انه الملك جوستاف الخامس ملك السويد . والمشهور عن الملك كرستيان العاشر ملك الدانمارك انه كان في حداثته كثير الاختلاط بالشعب ولا يزال . وكذلك كان الملك البرت الاول ملك البلجيك السابق ، والملك ليوبولد الثالث قبل مصرع زوجه . حتى في النمسا التي كانت قبل الحرب من اشدّ الامم تمسكاً بالتقاليد وقواعد السلوك الرسمي ، لا يزال الناس يذكرون الامبراطور فرنسوا جوزيف متنزهاً في الحدائق ، متحدثاً فيها مع اقل الناس ، ويذهب بعضهم الى ان هذه الذكرى من اقوى البواعث على نشاط الحركة الملكية في النمسا .

ولكن هذا لا يقع في انكلترا . فهم ان اعضاء البيت المالك ، يبذلون ما في وسعهم للاتصال بالشعب من طريق الحفلات العامة كوضع الحجر الاساسي في كلية او متحف ، او زيارة المناجم والمناطق المنكوبة ، او عيادة المرضى في المستشفيات او افتتاح الاسواق الخيرية ، ولكن الشعب قلما ينسى ، ان حضرة صاحب السمو الدوق او حضرة صاحبة السمو الدوقة هناك . فالصلة بين البيت المالك في

(١) ملخصة عن الكاتب الاميركي وليم زوكرمن في مجلة هارورز

هذه الحفلات موسومة بسمة من التكلف . وكأن آيتها « هو ذا الملك او من ينوب عنهُ يقوم بما عليه ! » . ومن غرائب المفارقات ، ان الملك الانكليزي الوحيد ، الذي كان ديمقراطيًّا حقًّا ، واستطاع ان يتجرَّد من هذا التكلف عند اتصاله بشعبه ، كان كأنهُ ظاهرة شاذَّة في حياة بريطانيا الاجتماعية ، فاضطرَّ الى النزول عن العرش بعد حكم دام أقلَّ من أحد عشر شهراً

ان الصورة الدائمة لنظام الملكي البريطاني ، ليست وليدة التقاليد المرعية في القرون الوسطى ، كما يظن ، بل هي وليدة أواسط القرن التاسع عشر على الاكثر ، ومطبوعة بطابع الملكة فكتوريا على الغالب . ان خلق هذه السيدة الفاضلة العنيدة التي حكمت انكلترا أكثر من ستين سنة كان أبعد أثراً في تطوُّر النظام الملكي البريطاني ومقامهِ ووظيفته ، من أسرة كاملة من الملوك الانكليز الاقحاح . كانت ألمانية النشأة والتربية والطبع ، تميل الى التحكُّم ، فلما لم تجد منفذاً لهذا الميل في ميدان السياسة ، عمدت باندفاع المهووسين الى البحث عن منفذ فوجدتهُ في وظيفة البيت المالك الاجتماعية . لم ان للملوك والملكات والامراء والاميرات وظيفة اجتماعية حيث يوجد بيت مالك ولكن هذه الوظيفة تنتصر في الراجح على الازياء ، وتمتدُّ الى الحاشية ومن يلوذ بها

اما الملكة فكتوريا فلما ادركت حدود محكُمها السياسيّ ، اغتصبت سلطة مطلقة على افكار الشعب وعاداته ، ولا سيما ما كان منها متعلقاً بالحياة الخلقية . ولم تحصر سيطرتها في حدود أسرتها وحاشيتها ، بل شملت بها فريقاً كبيراً من الشعب . ولو ان الشعب البريطاني ، منحها شيئاً من السلطان السياسي ، لكي ينفذ من هذا الاستبداد الخلقي الاجتماعي لكان ذلك خيراً لهُ

ان خلق الملكة فكتوريا وحكمها الطويل ، رفع آراءها في وظيفة البيت المالك من الناحية الاجتماعية ، الى مستوى التقاليد المرعية الجانب او القواعد الاساسية . فالملك بحسب رأيها ليس رمزاً سياسيًّا فقط ، بل هو صورة مثالية لما يجب ان يكون عليه سلوك شعبه

فالأسرة المالكة ، بهذا التحديد الجديد ، ليست أسرة كسائر الأسر ، لها نقائصها ومواطن المؤاخذة عليها . بل هي رمز اجتماعي سام ، لا يرتقي اليه النقد . والملك الانكليزي ليس رجلاً بل مثالاً متصفاً بجميع الفضائل التي اتصف بها البرت زوج الملكة فكتوريا ، وقد نزهت عن كل ضعف . فهو زوج كامل وابن بار ووالد حكيم ومثال تام للانسان الكامل — أو هكذا يجب ان يكون في ما يبدو من حياته للعيان . لهُ ان ينحرف عن هذا الصراط المستقيم ، ولكن ذلك يجب ان يكون بمعزل عن الناس . فالقياس ليس ما يفعله الملك ، بل ما يفعله جهراً

اما الملكة فالقلب النابض في هذا النظام ، وعليها يقع الجانب الاكبر من عبء الوظيفة الاجتماعية التي اسندتها الملكة فكتوريا الى البيت المالك . وعلى ذلك يجب ان تكون الملكة ، مثالاً للمرأة الكاملة كما تصوَّرتها فكتوريا ، عفة وولاء ومحبة وطاعة وعلاوة على ذلك يجب ان يكون دم الملوك جارياً

في عروقها وان يكون دماً المانيًّا اذا أمكن والاَّ فليكن دنماركيًّا او يونانيًّا او من دم آل رومانوف

وانصافاً لرجال المال والاعمال الانكليز وهم حكام بريطانيا الحقيقيون الآن، يجب ان نقول انهم لم يتقيدوا بقيد الدم الملكي، فانهم اذا وجدوا فتاة من الارستقراطية الانكليزية او غيرها من الارستقراطيات الاوربية، قد ملكت قلب مليكهم او ولي عهدهم، قبلوها ملكة او أميرة عليهم، ولكن على شريطة ان تكون متصفة، بالفضائل الاخرى، لان الصورة الملكية الراسخة في اذهانهم، تنهار او تمحي من دونها

ولعل اقوى البواعث على رسوخ هذه الصورة، ان رجال المال والاعمال في انكلترا يحسبون الاسرة المالكة صورة مثالية لاسرهم كما يفهونها. فالطبقة المتوسطة الانكليزية اتجهت الى قصر بكنهام قبل قيام هوليوود وذيوع الصور المتحركة. لانها رأت في بكنهام لوحة تشاهد عليها حياتها كما تودها ان تكون. الآن التاجر الاميركي يتجهُ بعد كدحه وكدحه، الى ما تخرجهُ هوليوود ليرى فيه مايتوق اليه من مثل الجمال والحب والقسلية، حالة ان ندَّهُ الانكليزي يتجه الى بكنهام ليرى فيه ما ينبغي من الفضيلة. فالانكليزي يحسّ عندما يجد الاسرة المالكة ويستند اليها جميع الفضائل انهُ يجد نفسهُ وزوجهُ. وعندما يهتف حتى يبحّ للاميرتين الصغيرتين، انما يهتف لبناته ممثلات فيها على نحو ما يفعل روّاد السينما عند ما يرون رونلد كولمان او جريتا جاربو او شرلي تمبل. هنا فتاة ترى في كولمان مثالاً لحبيبها، وهناك رجل يرى في جاربو صورة للمرأة التي يتمناها، وهنالك اب وام يريان في شرلي تمبل ابنتهما الصغيرة

كان ادورد دوق ونزر، اقل اعضاء الاسرة المالكة الانكليزية، استعداداً للاندماج في هذه الحياة الملكية الرسمية المتكلفة، التي وضعت لها الملكة فكتوريا الحدود والقيود. الاَّ ان هذا التافر كان مقتصراً على الناحية الاجتماعية دون السياسية. اذ ليس ثمة ما يحمل على الظن بان الملك ادورد كان يتطلع الى تخطي حقوقه الدستورية او التعدي على حقوق الوزارة والمجلس النيابي. وقد ثبت الآن، فساد القول بان نزولهُ عن العرش كان نتيجة نضال بين التاج والبرلمان. وذلك لسبب بسيط وهو ان الملك ادورد لم يكن يولي السياسة عناية كافية تحمله على خوض النضال في ميدانها

فالتافر الذي قام بين خلق الملك ادورد وحياة الملك كما رسمتها جدة ابيه فكتوريا، كان محصوراً في وظيفة النظام الملكي من الناحية الاجتماعية

كان الملك ادورد الثامن، طبعاً وخلقاً اقرب الى جدّه الملك ادورد السابع منهُ الى ابيه الملك جورج الخامس. حتى مراسم حياة القصر التي خضع لها ونهض بها على ارقى وجه، لم تكن تخفي نزعة مستقلة فيه الى معيشة مطلقة من هذه القيود. فقد ركبت في طبيعته وخلقه عناصر، من شأنها ان ترفع صاحبها الى مقام الزعامة في ناحية من نواحي السياسة او الفن او الاجتماع، لو لم يكن ابن ابيه

ولكن ادورد ولد في قصر ، فكانت هذه القيود ثقيلة عليه ، وزاد الطين بلة ، أن النضال الدائر في نفسه ، بين نزعته المستقلة والقيود الملكية المفروضة عليه ، كان معروضاً على الجمهور . وقد اقتضت مكانة الملكية ، أن يتحرك دائماً والعيون متجهة اليه ، فكان لهُ في شبابه وحسن سلوكه ما حببهُ اليهم . فاذا اضفت الى ذلك حاشية ، هي من ضرورات الحياة في القصور ، تطري في اخلاص وغير اخلاص وتمشي بالخفيف والجليل من الامور ، وتداهن وتتملق ادركت ان فتىً مرهف الاحساس كالبرنس ادورد لا يمكن ان ينجو من التضعضع والتحول الى آلة رسمية ، يزور وينحني ويبسم للمصورين ، الاّ بالعجوبة

وجاءت الحرب الكبرى فكانت تلك الاعجوبة . والواقع ان ادورد وزر وليد تلك الفترة من تاريخ العالم ، التي يعرف ابناؤها باسم « جيل الحرب » . فهو مثال حيّ ، لتلك الشخصية التي وضعها تويل كاورد في احدى مسرحياته — شاب مرهف الاعصاب ، تأخذه اطوار مختلفة من البشاشة والعبوسة ، والتأمل والتعقل والاندفاع ، ولكنهُ مع ذلك محبب الى الناس . هذا الجيل من الشباب ليس بالجيل الضائع كما يوصف لان افرادهُ على الرغم مما اصابهم لا يزالون يرنون الى مثل عليا ، من السلام والمساواة والعدل الاجتماعي ولا سيما العدل الاجتماعي . وعلاوة على كل ذلك ، انهم مخلصون ، يمقتون الرياء والنفاق ، فاذا استحكمت ازمة لم يجبنوا عن تأييد معتقداتهم والتضحية في سبيلها

ونزول الملك ادورد عن العرش ، عمل من هذا القبيل . فاننا اذا جردنا حديث هذا النزول عن ملابساته السياسية الثانوية ، تبين لنا انهُ كان عملاً روحيًّا قام بهِ رجل ثائر على بيئة اجتماعية ، قدعتهُ منذ حداثته . ومن بواعث الاسف ان تكون النواحي السياسية والنزامية قد حجبت في هذه القصة مغزاها الحقيقي

ان نزول ذلك الملك لم يكن ثورة على العرش ، ولا على وزرائهِ او برلمانهِ ، بل كان ثورة أعظم شأناً وأبعد مدىً ، لانهُ كان ثورة ملك على نظام الملكية كما هو في انكلترا من الناحية الاجتماعية . انها ثورة الرجل في ادورد الثامن على الملك فيهِ ، على الرمز المتمثل في شخصهِ . ولو لم يكن الشعب الانكليزي محافظاً الى أبعد حدود المحافظة ، حتى حزب عمالهِ ، لكان أقضى عمل من هذا القبيل الى تحوُّل روحي واجتماعي كبير الشأن فيهِ

والغريب ، ان النزاع الدستوري كما قيل ، كان ذا شأن ثانويّ في هذه الدرامة الروحية . وكذلك كانت المسز سمبسن . لم يكن شأن المسز سمبسن في هذه المسألة الاّ شأن كثيرات من النساء ، بمثن الجرأة في قلب الرجل ، فأقدم على ذلك العمل الخطير ، على التحرُّر . والراجح ان ادورد لولاها ، لعجز عن الاقدام ، ولكن هذا لا يعني ان المسز سمبسن كانت الباعث على نزولهِ عن

العرش ، اذ لولا هذه الثورة المضطربة في نفسه، لتخلى عن المستر سمبسن كما أراده وزراؤه وأهله ان يفعل . فقد قضى حياته شأن كثيرين من انسان الذين خاضوا غمار الحرب الكبرى يبحث عن القوة التي تعينه على فك القيود ، الى ان اتفقت له المسز سمبسن فسكنته بتأثيرها مما يعني . وكل من يعرف شيئاً عن هذه الانقلابات الروحية ، يدرك ان العوامل الخارجية قد تتيح لها فرصة الظهور ولكنها لا تحدثها . فالبرلمان والمسز سمبسن كان عرضين في تطور شخصية تبحث عن حقيقتها

الا ان هذا لا ينفي ان هذا العمل الشخصي ، له مغزى اجتماعي . وليست هذه الثورة بالظاهرة الجديدة في انكلترا . بل ان جانباً كبيراً من أدب انكلترا ، اعراب عن ثورة دائمة في نفوس فريق من الشبان ، ولعل كارليل وبطلر وشو وولز ولورنس وهفلوك اليس في مقدمة الكتاب والادباء الذي أجادوا الاعراب عنها . وقد بدت هذه الثورة في الحياة الاجتماعية ، في اشتراكية شو والنهضة النسوية وحركة العمال . وما حدث في البرلمان الانكليزي يوم ١٢ دسمبر شبيه بما حدث في كثير من البيوت الانكليزية في خلال الجيلين الماضيين . ان ادورد وتزر ليس اول الذي تحدوا صورة الحياة الاجتماعية الانكليزية كما رسمتها الملكة فكتوريا ، بل هو اقرب الى آخرهم. انه ليس ملكاً ذهب الى المنفى ، بل هو ملك انضم الى جيش الثوار

كانت انكلترا أسبق الامم الى تحقيق الدمقراطية السياسية . وقد سلكت الطريق المفضي الى الدمقراطية الاقتصادية منذ وضع لويد جورج ميزانيته المشهورة سنة ١٩٠٩ على وعورته والتوائه . ولكن الصورة التي رسمتها الملكة فكتوريا للملك الجالس على العرش وللملكية ، تخرجها عن كونها رجلاً وامرأة ، الى جعلها في نظر عامة الشعب أقرب الى الآلهة منهم الى الناس . هذه الصورة تجعل الهوة بين الملك وسواد الشعب هوة كبيرة ، واليها يرتد كثير من التناقض والتعالي في حياة الانكليز الاجتماعية ولا سيما في الصلة بين ما يعرف بطبقة الاعيان من جهة والطبقة المتوسطة وما دونها من جهة اخرى، واليها كليها يرد القول بأن هذه الدمقراطية السياسية الكبيرة أبعد ما يكون من ان تكون دمقراطية اجتماعية

فاذا كان نزول ادورد الثامن عن العرش باعثاً على تنبه الانكليز الى هذه الفارقات في حياتهم العامة ، واذا تمكن الملك جورج السادس بما أثر عنه من الدعة الحقيقية ، والرغبة الصادقة في خدمة الامة ولا سيما في نواحي حياتها الاقتصادية والاجتماعية ، وتقرب هو ومن حوله، من الشعب بحيث يحس الشعب انه منهم كما يحس الدنماركيون والسويديون — اذا حدث هذا فان أثر نزول ادورد الثامن عن العرش يكون اعظم من أثر بقائه عليه، ولا يستبعد حينئذ ان يقول المؤرخون في المستقبل ان يوم ١٢ دسمبر سنة ١٩٣٦ (يوم النزول عن العرش) كان أكبر شأناً في تاريخ انكلترا من يوم ١٦ مايو ١٩٣٧ (يوم التتويج)

نظرات ومقابلات

في المصر

لسليم خياط

الشرق والغرب

أراهما واحداً لا يفترقان . وفي الواقع ، ليس هناك لا شرق ولا غرب منفصل أحدهما عن الآخر فهما في تلاق دائم . في كل نقطة على الارض يمتزجان، وكل نقطة على الارض غرب بالقياس الى الشرق وشرق بالقياس الى الغرب . وليس هذا في الاتجاه الموقعي على الكرة فحسب ، بل هذا يجري حكمه على الانسان الساكن عليها أيضاً . من البت والحرافة قولنا أن الشرق شرق والغرب غرب ، قولنا أنهما مفترقان لا تجمع بينهما صلة

ليس ثمة شيئان اثنان يتشابهان شبهاً تاماً كأن كلاً منهما هو الآخر . ولكن بين كل شيء وشيء صلة مهما اختلفا ، تضعف وتقوى تبعاً لتقارب المميزات والظروف الاصلية الجامعة. حتى بين الانسان والحجر توجد صلة ، هي صفة الوجود . غير ان بين الانسان والانسان قرابة وثيقة لا تنفصم . فتجعله واحداً في نوعه بأهم ما فيه وما يمتاز به — وذلك مهما تباين وأينما كان ، أفي اواسط آسيا أم في سالم ام في مجاهل القارتين الجديدتين . وان بين الشرق والغرب المصطنعين ، المشطورين كالبطيخة المعدة للالتهام ، المحدودين بحسب ما كان من تعريف الجغرافية الرسمية ، جغرافية « المدارس » (١) الاستعمارية وشعرائها الفقهاء — إن بين هذا الشرق والغرب بأهلها ومدنياتها من الصلات الانسانية والاجتماعية ، من التقارب في الظروف الاصلية والكيان ، من وحدة الاصول وامتزاج الفروع ، ما يجعلهما قريبين متشابهين ، صلات أحدهما بالآخر تكاد تكون من القوة كصلة اية دولة او شعب غربيين بأية دولة أو شعب غربيين آخرين . بل ان الرجعي الانكليزي و «البطّاش» الياباني ربما كانا أحدهما أقرب الى الآخر من الاول الى مفكر انكليزي حرّ ، او من الثاني الى عامل ياباني راق

***

تربط الشرق والغرب ، على اعتبارهما الاصطناعي الراهن ، كلّ عروة قوية تجعل الشبه بينهما

(١) اي : الفرق وأهل المذاهب والنظريات

جوهريًّا وأدق من أوجه الاختلاف . اول هذه الشرى الانسان نفسه ، وهو الذي قسم الارض الى شرق وغرب بالاستناد الى التفريق الحاصل بينه او لاجل التفريق بينهُ . فالانسانية كلها خلقة واحدة قائمة بذاتها ، مضروبة حول الارض ، وتقيّد كل بقعة تقع غربي الاخرى بكل بقعة تقع شرقيها . ثم بعد الانسان ، شبكة مكينة من الروابط الطبيعية والاجتماعية والوقائع العالية المستمرة . هي شبكة تضبع معها التحديدات المكانية الحديثة والقديمة ، ويبقى فيها المكان مطلقاً من اي تخطيط او تفريق كان يتوهمهُ ويدعو اليه أي رهط

ما الفرق بين الصيني والالماني ؟ الفرق في لون البشرة فقط . لكن هل للصيني بشرة وليس للالماني شيء منها ؟ كلاَّ ! وما الفرق الجوهري بين اسكتلنديٍّ يعبد او يستغل إلهاً ثلاثيًّا وبين مسلم هندي يعبد إلهاً واحداً وعدة اولياء ؟ لا فرق اكلاهما يعبد أو يستغل حقيقةً أو وهماً ، وهذا التباين بينهما سطحيٌّ يقتصر على الشكل وعدد رموز الحقيقة أو الوهم الضمني . والغربي الذي يريد البعض ان يفرقوا بينهُ وبين الشرقي على أنهُ أسمى أخلاقاً وخيالاً ، نيمَ نرى لهُ الزيادة الحقيقية في السمو ؟ فهل من فرق يُؤبه لهُ بين غارات جنكيز وتيمور وهولاكو التي نذكرها باقشعرار لما ضحّت به من مدنية ومن ملايين البشر ، وبين ما ضحّى به قراعنة الترب الماضون من مدنية ومن ملايين في جحيم الحرب الكبرى ، هذا الجحيم الحقيقي الذي كنا نرى كثيرين من التربيين التربي العقول والاطوار يناغونهُ بألوان ملوّنة من الكلام والتلفيق ؟ هل بين أنقاض ما رُوي عن تيمور من الحوادث وبين مئات الالوف من الذين قُبروا في « فردون » ما يجعل أقل تمايز بين أعمال الأولين والآخرين في الهمجية المنظمة على مقياس واسع — اللهم الاّ الاختلاف في شكل وسائل الابادة التي استعملت في كلا العصرين ؟ لقد كان رجال الاستعمار الانكليزي ينشرون بين أولاد بلادهم قصة « بؤرة كلكوتا السوداء » ، فيتخرّص فيهم أن أولاد الهنود أبناء أناس برابرة ، فهم أحط منهم ، وهم من جبلّة أخرى . وطبعاً لم يكن هؤلاء السادة يعلّمون أطفالهم شيئاً عن مذبحة « آمريتسار » ، حيث قتل ثمانمائة رجل وامرأة وطفل من الهنود بالبنادق والرشاشات في حوالي خمس دقائق على ما يروى . كما وانهم كانوا لا يذكرون خبر بؤرة سوداء حقيقية ، وذلك يوم حُشدت أسراب من فلاحي « بيلاء » في جنوبي الهند داخل قطار أغلقت جميع نوافذه ، فماتوا اختناقاً

في رأيي ، أن ابن مانكتج وابن نيويورك لا يفترقان فيما هو جوهري أصلي من طبع الانسان وأحواله وتركيبه . وأرى أنهُ يكاد يكون للإنسان في كل بلد نفس العواطف والمطالب والاهواء والقابليات العقلية الأساسية ، تتراوح ما بين حدٍّ أدنى وحدٍّ أعلى في درجة عامة جامعة لا تشذ ، طبعاً ، التطورات الفرعية ولا إنحراف المميزات الخاصة او ترقيها . وتكاد تحيط به

في أغلب العالم نفس الصفات العامة في طروف البيئة الطبيعية وفي خصائص المدنية والحضارة ونفس القواعد والخطوط والتطورات الرئيسية الواسعة في أنظمة الحكم والأنظمة الاقتصادية، ثم في التركيب الاجتماعي. وفي الأفكار والتحركات والمبادىء والمعتقدات الاجتماعية

إن لم يختلف النظام الاقتصادي قلّ الاختلاف العام بين مجموع الناس الذين يعيشون فيه ويده. لكن حتى ولو اختلف هذا النظام بين الانسان، فيها نلاحظ ونعرف من حياته في شتى الحقب التاريخية والأوضاع الاجتماعية، متشابهاً في اصوله، في مطالبه الحيوية، في أحكام ضرورات البقاء عليه، وفي جماع غرائزه وعواطفه من تأثر بالحب والبغض والجوع والألم والغضب والغيرة والامومة والجمال والموت وما شاكل، وذلك وإن اختلفت مظاهر التعبير عن هذه الأحاسيس وأشكالهُ، أو تباين الاتجاه التهذيب فيها ومقدارهُ ونوعهُ

غير أننا نجد في هذه المظاهر والاشكال وتباين الاتجاه ومقدار التهذيب في الغرائز والعواطف الانسانية ونوعه: مقياس ترقي الانسان وتأخره أو انحطاطه

فان رجلاً يدفعهُ طلب الجاه إلى العمل من مبتدع وإبداعي أرقى طبعاً من ساكن الكهف الذي كان يقتات بالنبوت، ومن المهرب وقاطع الطريق، ومن الذي يتنعم بأرباح الحرب. وأمٌّ تعبر عن حبها لطفلها بالاعتناء به على اصول طبية اكثر تهذيباً في عاطفتها من أمٍّ تعبر عن حبها بتصرف خرافي خشن قد تمرضه أو تقتله، وأمٌّ لا تفرّق في حنوّها بين الذكر من اطفالها والانثى اسمى جداً من ام تضطهد اناثها. وإن حبًّا مشتركاً متبادلاً بين رجل وامرأة أرفع من حب الاول لامة جاهلة او لامرأة كالقينة، ومن حب الثانية لسيد يتمتع بها او لعاشق محترف تتمتع به لحسب. وإن التأثر بجمال رسوم ميخائيل انجلو ارقى كثيراً من التأثر بأيقونة بزنطية. وظهور غريزة القتال في قالب مهذب من مباراة رياضية او تنافس في اي ميدان من ميادين التفكير والعمل اسمى من ظهورها في ميدان حرب وحشية او سلوك إجرامي. ورجل حر يجادلك بالمنطق والبرهان وأصول الاحتكام يختلف جداً عن فاشيستي يعد معك الى المؤامرات الحديدية والدسائس الدامية ولغة المسدسات

إن في هذا التهذيب واختلاف الشكل والاتجاه في تظاهرات العواطف والغرائز من أفضلية شخص على شخص وتقدم جيل ومدنية على جيل ومدنية. ومن يقتشون عن «الانسان الجديد» ومن يطلبونهُ فلا يجدونهُ، ومن ينكرونهُ ويشتمونهُ أو يعشقونهُ خيالاً ويتغزلون به ومن يضربون بقبضتهم على الطاولة بتشاؤم ضيق وفلسفة عتيقة عن «حقارة الحيلة الانسانية وأبدية الطبيعة الانسانية التي لا تتبدّل» (مثل الاديب الفرنسي «آندره روسو» في سلسلة مقالاته التي نشرها في «الفيغارو» سنة ١٩٣٢ — ٣٣) كل هؤلاء لن يجدوا «الانسان

الجديد » . ولكنهم يجدون حتماً « الانسان المتحدد » في هذا الارتقاء الهذيبي والاتجاهي المستمر على سُلم الكامل

***

وعلى هذا ، فالانسان في كل مكان وزمان واحد ، وهو في كل زمان ومكان مع ذلك مختلف. هو أبداً قديم وأبداً جديد . هناك جذور عميقة تجمع كل الناس ، وهناك اغصان تختلف عن الجذور ، وتختلف بعضها عن بعض ايضاً . وهناك كذلك اشجار تتنوع . ولكنها كلها من تربة واحدة ، وكلها في حديقة الانسانية جميلة ، او طيبة الثمر ، او مفيدة بأي شكل من الاشكال . كلها يستحق أحسن الاعتناء الممكن بها ، لتصير أحسن ما يمكن ان تكون . كذلك أمر البشر ، حسبما يبدو لي

كل انسان اخو الآخر احب ام كره . أي رجل لو تعرّى عن مكتسباته وبان على اصله او طفولته يختلف كثيراً ، بأعضائه وتركيبه وكيانه من هيكل وعقل ونفس ، عن اي آخر . الناس مهما اختلفوا مؤتلفون . وربما كان الامبراطور شارل الخامس اكثر رقاعة من درويش افغاني ، كما ان قول الشاعر كيبلنغ بأن « الشرق شرق والغرب غرب » لا يعدو ان يعني احد أمرين : فإما هو قول مبتذل وسقطة هراء يلوكه (ويبدو لي ان هذه هي الحقيقة) ، وإما هو سكين وهمي يحاول تقطيع العالم وتفريقه الى اجناس وطبقات لا يؤلف بينها شيء الا القطيعة والشحناء ، وهي محاولة (صحّت من الشاعر ام لم تصح) لا تنتمي الى شيء ، لمناقضتها طبيعة الاتجاه البشري ، سوى الفوك المبتذل ! هذا ، مع عظيم احترامنا لهذا الاديب العبقري ، وخصوصاً لقصيدته الشهيرة : « إذا » ، التي تلائم كل انسان في اي زمان أو مكان ...

بيد اني ، عند ما اقول أن الشرق والغرب واحد ، لا اقصد أن الفروق لا توجد بينهما . بل اقصد انها موجودة . لكنها لا تقوم بينهما كسور الصين ، ولا كشيء اصلي ، ولا كقانون أزلي منزل لا يتبدّل ، ولا كطابع تناقض عميت في محل اختلاف طبيعي عادي يقبل الالتئام والتبادل والتناسق ، طابع يحكم على الشرق في انفصاله وانحطاطه عن الغرب بأن يكون أمةً له

الغرب والشرق مختلفان لان ظروفهما الفرعية والثانوية (ولا اعني بالثانوية التقليل من شأن هذه الظروف ، بل وضعها في مرتبة واقعية وصفف معين حسب) قد تنوعت . قد كانت ظروف[1] الشرق في يوم ما مؤاتية له أن يسود الغرب ، كما حادت فآتت هذا فيما بعد ليسود

(١) لست أعني « بالظروف » هنا حالات مطلقة لاوضاع صياغ حسب . بل المقصود هو ذلك ، ولكن فوق ذلك أيضاً نتيجة عمل ارادة الانسان فيها ، وجهوده وفكره بحيث تتحول من ظروف « سام » سيئة الى ظروف أخرى « مشوّلة »

الشرق . غير ان هذا التبدل إن هو الاّ تبدل في ظروف وأوضاع اجتماعية وتاريخية يقع في المقدور البشري والممكنات الحادثة تغييرها ايضاً ، بحيث يتحوّل الشرق والغرب (مع وجود وبقاء وتطور نحو الاحسن في الاختلافات الظرفية الفرعية) الى كلّ متآلف ، بمعنى انهما يرتبطان ويتوحدان من حيث يتعاونان على الحياة ويخدمان بعضهما بعضاً ، عوضاً عن أن يقوم بينهما حرب وتفريق عدائي انقطاعي باسم قاعدة مصطنعة الازلية ، قاعدة (أوحتها إلى الشاعر حالات سطحية موقوتة بحقبة تاريخية معينة ، فظنها وضعاً أبديًّا الى يوم القيامة) لا تؤدي إلاّ إلى تسويغ ترتيب استعماري ساد عزيزاً

وهكذا نرى من القول بأن الغرب والشرق واحد كون الشرقيين والغربيين لا يختلفون اختلافاً أصليًّا أساسيًّا يجعل من المستحيل تآلفهم ضد عداوة مشتركة ، عداوة الطبيعة وبذور الشر الاجتماعي ، او يجعل الفوارق بين البشر مختلقة مفقودة السبب حتى تصبح بين الغربي والشرقي ، مثلاً ، في مرتبة الفارق بين الحيوان والانسان أو بين الحجر والنبات . والحق أنا لو أنعمنا النظر في اختلاف الجزئيات من اقليمية وغير اقليمية لوجدنا أن التباعد بين الجنوب والشمال أظهر منهُ بين الشرق والغرب . فالصقلي يفرق عن السكاندينافي في نظري أكثر مما يبين المصري عن الالماني . لكن كل هذا في التفريق خلط لا يؤبه لهُ . فهو قد يكون سيئاً ، مثلاً ، لأن يتخذ ابن جاري الاسمر الطويل القامة قِصَر قامة شقيقه الأشقر ، أخيه من أمه وأبيه ، حجة لهُ على جعله عنده خادماً مرهقاً « بلاش » . وهذه هي النتيجة المنطقية لبعض نواحي « التيتشية » ، ولآراء الكونت « دي جوبينو » السلالية ، وللسياسة « الجنسية » الرجعية الهدامة التي تستند الى قواعد نظرية لها في تلك النواحي وتلك الآراء

***

الخلاصة ، الانسانية كلها واحدة متحدة في طلب حياة أرقى وأسعد . وكل فارق في هذه الحالة يصبح : أما ميزة وطنية وشمية جميلة ، وإما مجرد علامة واسم

حاشية على « الشرق والغرب »

لما رأى ابن الرومي خبازاً « يدحو الرقاقة » ، أخذ يتأمل كشاعر ذكي في كيف يتسع الرغيف من كل أطرافه حلقةً بعد حلقة ، وقارن ذلك بحجر يقع في الماء ويرسل الدوائر واحدة تلو الأخرى . وقد يكون من ذكائه أيضاً بأنهُ فكر وتذاكر بأن الحياة أيضاً دوائر تتفرج

الواحدة فيها عن الأخرى ، بل كُرَات مجسمة تبطن بعضها بعضاً حتى اللانهاية من جهتي الداخل والخارج لدائرة كل كرة . قد يكون خطر ببالك بعد ذلك أن كل انسان ، بل كل شيء على الاطلاق ، حلقة بذاته ينطوي على حلقات حلقات وتنطوي عليه حلقات حلقات ، وأن كل بضعة أناس ، في عائلة او شركة أو جمعية أو قرية او غير ذلك ، يؤلفون حلقة تشتمل على الانسان الواحد ، كما ان حول كل وحدة من « بضعة أناس » حلقة أوسع : كالدولة مثلاً حولها العالم ، وحول هذا الكون ، وحول الكون ما لم نكتشفه بعد أو يمكننا الجزم به من دون أن نكون مضحكة العلم !

***

ثم لعل شاعرنا الفيلسوف الطبع قد عرف ، وهو يجاري هذا التأمل البسيط ، أن كل شيء منفصل ، كل شيء حلقة محدودة بحلقات ، فأدركته بعد ذلك خاطرة عبقرية على سذاجتها ، خاطرة دوّنها ابن خلدون على ما اذكر في قول سماء : « كل شيء مهما اختلف مع غيره فهو مؤتلف ومهما ائتلف فهو مختلف ! » وأخيراً سماء لو ادرك زماننا وسمع زميلاً له « بربريًّا » من اقاليم الظلمات الغربية يصيح : « الترب غرب والشرق شرق . . . لا يجتمعان ! » — سماء كان يقول له : « خسىء شيطانك البليد ! الشرق والغرب في كل نقطة على الارض . وساكنها في كل بقعة انسان يستطيع ان يتحول ويتغير ويتقرب ، وهو بهذه الاستطاعة واحد ونسيبٌ بعضه لبعض ، فكيف بما وبما تناوله عندكم من هذه السيارات والطيارات والقاطرات والباخرات وجميع جيئاتكم التي قددتموها من بيّت الجاد ؟ عجباً من فكرك القاصر ، أو تجهل الشطرنج ! . . »

ولكان كل الحق مع شاعرنا فيما يقرع به صاحبه . ذلك لانهُ ، وهو المتشدد المتلهم ، والغربي الشرقي ، يدرك أن العواطف والغرائز (المتحدة مع الانسان من زمن الكهف والتبوت) وقد اختبرها جيداً ، هي عروة واحدة تجمع بين الشرق والغرب ، وأن المجتمعات والمدنيات المتوزعة بينهما قامت على أساس واحد من نشوء ووظيفة وحكومة وتشكل ، وأن أظهر مظاهرها الجامعة ، وهي أديانها ، كانت دائماً ، ورغم تلوّن صورها وطقوسها ، واحدة في اسباب النشوء ودوافع التغير وفي الوظيفة . واحدة في ذلك ، فلا تجمع حتى بين ما تم نموه من مدنيات الغرب والشرق فحسب ، بل أيضاً بينها وبين حضارات المجتمعات الابتدائية عند قبائل افريقيا وجزر الباسيفيك مثلاً

فلسفة المعارضة

في نظام الحكم الديمقراطي

لا تدرك الامم الفائدة من نظام الحكم القائم على المناقشة الاّ اذا توافرت لها الاساليب التي تمهد الطريق لتطبيق النتائج التي تسفر عنها المناقشة . لذلك كان النظام الحزبي اساس الحكم النيابي . فحيث يكون الخلاف بين الاحزاب صحيحاً يتناول الشؤون الحيوية ، فاصطدام الرأي بالرأي لا بدّ ان يقدح شرراً يضيء . فالحاجة الى اقناع الغير ، تقتضي نوعاً من الرياضة العقلية . والاقطاب الذين يسعون الى تعزيز آرائهم بالحجة ، يفعلون ذلك لانهم يعنون اولاً ان يستوضحوا هذا الرأي وثانياً ان يفوزوا بتأييد غيرهم لهُ . فاذا كانت الدولة قائمة على فلسفة سياسية واجتماعية متسقة الجوانب ، فليس ثمة غير التحليل ، سبيلاً الى وزن الآراء والمفاضلة بينها

هذه هي الحجة الاساسية التي يسوّغ بها نظام الحكم الديمقراطي . فالحكومات الدكتاتورية لا يسعها ان تعرض قواعدها الاساسية ، لمحك التحليل والنقد ، لان اساسها ان هذه القواعد فوق كل نقاش . فهي مضطرة بالمنطق المستوحى من طبيعة كيانها ان تحسب كل نقد موجه الى أسسها ضرباً من ضروب السعي الى تدميرها . فلروسي ان ينتقد انتاج مصنع من مصانع السيارات الضخمة التي انشئت في روسيا حديثاً ، ولكن ليس لهُ أن يهاجم الاشتراكية الماركسية وهو آمن مطمئن . وللالماني ان يتمسك بأن اوربا لا يسعها ان تخوض غمار حرب اخرى ، ولكن ليس لهُ أن يحسب اضطهاد اليهود ، عملاً شديد القسوة ، او النزعة الدولية ميلاً طبياً الى التفاهم . وللايطالي ان يبدي ما يمنّ لهُ من الآراء في المكتشفات الأثرية ولكن ليس لهُ ان يؤيد من سنرحام القول بأن الدولة الفاشية ، ستار يخفي وراءه الرأسمالية الثائرة من وجه الديمقراطية الاقتصادية . فالدكتاتورية ، بطبيعتها لا تسمع الاّ الصوت الذي تحب ، واسلوبها في ذلك سهل كل السهولة ، ذلك انها تخنق كل صوت آخر

الاّ ان الانسان في جهاده الطويل ، تعلّم ان الرأي اذا قمعتهُ هنيهةً فلن يدوم القمع . ولولا ذلك لما فازت المسيحية على ما منيت به من الاضطهاد الوثني في عهدها الاول . ولا الافكار الحرة على المسيحية المتزمتة في العصور الوسطى . فكل رأي جديد في التاريخ ، يعرب عن حاجة صحيحة بعيدة الغور واسعة المدى في الطبيعة البشرية ، لا بد من ان يفوز على كل سعي ، لحصره وقمعه . وليس ثمة ريب في ان ظهور الحق ، عمل بطيء وطريقه طريق وعر ، ولكن الازدراء به ، والتحامل عليه ، اقضيا في ما عرفهُ من شؤون التاريخ ، الى انقلاب الذين ابوا ان يروه

فالأمة المنظمة تنظيماً ديمقراطياً صحيحاً تستطيع ان تصون كيانها من مساوىء الحكم

الدكتاتوري ، وانما يجب ان تبيح حرية المناقشة ؛ وان تسهّل انتقال اداة الحكم من يد حزب الى يد حزب آخر . فكلُّ دليل تقيمهُ على وجوب النظام الدمقراطي ، هو دليل تقيمهُ كذلك على وجوب المعارضة

والأساس النفسي لهذا الرأي ليس بعيد التناول . فالناس يختلفون في معيشهم ونشأتهم ورغباتهم . فإما ان تقدع الحكومة رغبات الناس المخالفة لرغباتها ، وإما ان تسلّم بها . والنموُّ الاجتماعي غرضهُ تنظيم الاجتماع على اساس الرغبات التي تساور الناس . فالرأي يفرض على الجماعة بقدر ما ينطوي عليهِ من احساس الجماعة بحاجتها اليهِ . والزعماء الذين يؤمنون بآرائهم لا يسعهم ان يقفوا مكتوفي الايدي دون السعاية لها والسعي الى فرضها وتحقيقها

فللمناقشة في الحكومة الدمقراطية ، هي السبيل الذي يسير عليهِ الناس الى تحقيق رغباتهم . وليس الحزب السياسي في النظام الاجتماعي الدمقراطي ، الا بمنزلة « سمسار » آراء ، تنبثق في اذهان اقطابهِ وخواصهم ، فيسعى ان « يبيعها » للجمهور اي ان يقنع الجماعة بصحتها وضرورتها . فهو لذلك يختار من الآراء والمذاهب ، ما يستميل الجماعة الى تأييده ، اذ ما الفائدة من آراء لا تحسُّ الجماعة انها لازمة لحياتها كما تريدها ، وعند ذلك يعمد الحزب الى بسط هذه الآراء في ثوب خلاّب معتمداً في ذلك على فنون الاقناع والاستهواء ، وهدفهُ اقناع الجماعة بأن حق هذا الحزب في تسلّم مقاليد الحكم ، اكبر من حقّ الحزب المقابل

هذا الاسلوب ينطوي بطبعهِ على نقائص . فهو بطيء ، ولم يعرف في تاريخ الحكم النيابي ، ان حزباً بسط آراءه مجرّدة عن الزخرف معتمداً على عقل الجماعة دون شعورها في الموازنة بينها وبين آراء الحزب المقابل والاختيار بين آراء الفريقين . والغالب ان الحزب يبالغ في تصوير الفوائد التي تنجم عن تطبيق آرائهِ ، وقلما يتورّع عن اقتراعهِ في قالب يزعم انهُ جزءٌ من نظام الكون الذي لا يتبدل . وهذه نقائص حقيقية . ولكن مع ذلك لم يعرف البشر نظاماً آخر خيراً من النظام الحزبي في الحكم النيابي ، لاجراء التحوُّل السلمي في حياة الجماعة .

الا ان نجاح هذا النظام يقتضي شيئاً اساسيًّا وهو ان لا تكون الهوّة بين رأيي الحزبين كبيرة ، بحيث يمتنع الفهم المشبع بروح التساهل ، لانهُ اذا كان الاختلاف كبيراً بحيث يمتنع الفهم والتساهل كالفرق بين الشيوعيين وخصومهم في روسيا فالنظام الحزبي مستحيل

ثم ان فائدتهُ تقلُّ الى ادنى حدّ اذا تصدت الاحزاب ، لأن هذا التشدُّد يحول دون وضوح القصد الذي تتجهُ اليهِ الخطط السياسية . فكثرة الأحزاب في فرنسا الآن — وفي المانيا وايطاليا قبل قيام النظام الفاشستي فيهما — من شأنها ان تحل السياسة القائمة على المناورة الحزبية ، محل السياسة القائمة على تضال الافكار والمذاهب الاساسية . والنتيجة اللازمة لذلك ، اجتناب الحوض

في المسائل الاساسية اذ من المتعذر جمع طائفة واحدة من الاحزاب على صعيد واحد منها . وهذا يفضي الى المساومة وقلة الانسجام والضعف . ذلك ان تعدد الاحزاب يقتضي انشاء وزارات مؤتلفة ، والوزارات المؤتلفة ، قلما تسعى بالآراء الاساسية ، التي تبنى عليها خطة سياسية منسجمة ، عنايتها باجتناب الاخطار التي قد تفضي الى سقوطها . وكل حزب في كل وزارة مؤتلفة ، يصرف جانباً كبيراً من تفكيره ، الى تأثير مسلكه في جمهرة الناخبين ، وعلى قدر ما يفكر الحزب في مصلحته الانتخابية ، يضعف ولاؤه للوزارة المؤتلفة ، فيضيق دونه الوقت ، وتعوزه الجرأة في معالجة المشكلات الاساسية

فالنظام الدمقراطي يقوم على قواعد واضحة كل الوضوح او حبذا . فالامة يجب ان تكون متفقة على الاهداف العليا لحياتها القومية . وليس بين طوائفها من اختلاف في الرأي يبلغ بلغ الاشياء التي يفضل المرء ان يموت في سبيلها بدلاً من خسرانها . على هذا الاساس يختلف الرأي في سبل التحقيق فقط وما هو من قبيلها . وهنا يجب ان يكون الاختيار واضحاً كل الوضوح للجمهور . فيعلم انه اذا اختار هذا الحزب فقد اختار سمة طريقة معينة . فالمبادىء تقترن باسماء الرجال وتبديل الرجال الذين في مناصب الحكم يعني تبديلاً في المبادىء . فاذا توافرت هذه القواعد ، استطاع النظام الدمقراطي ان يسدي للجماعة خدمة كبيرة الشأن

فاذا كانت الفروق بين ابناء الامة في ما يخص التنظيم الاجتماعي ، فروقاً لا نوع ، فهذه الفروق يمكن حلها حلاً سلمياً بالاتفاق بعد البحث والنقاش

في هذه الحالة تكون الدمقراطية النيابية خير نظم الحكم التي تنطوي على امل الاستقرار . ولكن نجاحها مرهون بقيام حزبين متكافئين ، يفصلهما فرق كاف يجعل الاختيار المطروح على الجمهور واضحاً ، على ان لا يكون الفرق بعيد الهوة ، بحيث يتنكر كل حزب للآخر تنكر الغريم لغريمه ، فيراه غير أهل لتقلد الحكم ويسعى الى نبذه بالقوة

اذا صح ذلك فالحكومة والمعارضة ، سدى النظام الدمقراطي ولحمته . كل منهما لازم للآخر . فقيام المعارضة على اساس انها جديرة بالاحترام جدارة الحكومة بذه ، لانها قد تصبح هي الحكومة بين آن وآخر ، هي الصفة الاساسية التي تميز الدمقراطيات من الدكتاتوريات

فما وظيفة المعارضة ؟

قيل ان دزرائيلي وصفها بقوله المشهور : «وظيفة المعارضة ان تعارض» . وهو قول يكاد يكون جامعاً مانعاً ولكن في حدود فهم كلمتي « أن تعارض » على وجهها الصحيح

فمن الثابت في تاريخ الامم واخلاق الشعوب ، ان هيئة منظمة من الناس ، لا تستكين الى اقصائها عن مقعد الحكم ، وانها تندفع بطبيعة الحال الى احصاء الاخطاء والهفوات على الهيئة

المنافسة لها المتربصة فيه . ولكن من الثابت ايضاً في تاريخ نظم الحكم ، ان النقد السابيّ لا يستميل الناخبين والحزب الناقد لا يفوز بمقاعد الحكم لمجرّد انهُ هاجم الحكومة القائمة

فوظيفة المعارضة الصحيحة في الحكم النيابي ، نقد اعمال الحكومة القائمة ، على اساس برنامج سياسيّ اجتماعيّ تقوم المعارضة بتطبيقه اذا وليت الحكم ، ويستطيع اقطابها اقناع الشعب بانهُ خير من برنامج الهيئة المتربعة في دستهِ . فعلى المعارضة ان تقنع الناخبين من خلال نقدها ان تقلّدها الحكم ، يفضي الى نتائج متعذرة على الهيئة المنافسة لها ، لان الفلسفة السياسية والاجتماعية التي تستند اليها الحكومة مقصرة عن فلسفة المعارضة ، ولان الحكومة ارتكبت اخطاءً في تطبيقها

فحزب العمال فاز في انتخابات سنة ١٩٢٩ في انكلترا لان الناخبين كانوا مقتنعين ، ان حكومة المحافظين ، كانت عاجزة عن فهم مشكلات السلام الدولي والمشكلات الاجتماعية الناشئة عن الحضارة الصناعية ، وان حزباً يستند الى نقابات العمال ويستمد أقطابهُ من رجالها اقدر على فهم هذه المشكلات من حزب الاسياد . والفوز العظيم الذي أحرزهُ المحافظون سنة ١٩٣١ نشأ عن خيبة امل الناخبين في ما رجوهُ من حكومة العمال من ناحية وعن اقتناعهم بأن حكومة فهم الرأسمالية تستطيع ان تنقذ البلاد من الازمة التي اخذت البلاد الانكليزية بخناقها حينئذٍ من ناحية اخرى

ولعلّ ابلغ مثل على المبادىء التي اوجزناها في ما تقدّم تاريخ انكلترا السياسي منذ سنة ١٩٣١ الى الآن . ان المعارضة الرسمية ، عارضت ما وجدت الى ذلك سبيلاً ، ولكن معارضتها لم تكن الشائية ، اي لم تكن مستندة الى مبادىء تنبع من فلسفة سياسية اجتماعية متسقة الجوانب يمكن ان تشعر الناخبين بأن تطبيقها يفضي الى حالةٍ خير من الحالة القائمة . وذلك لتضعضع أحزاب اليسار في انكلترا في السنوات الاخيرة وتمزق كلمتها واضطراب مبادئها . والانتخابات الفرعية تؤيد ذلك . فان المؤيدين لمثلي الحكومة القومية قلوا قلةً تذكر الا ان الناخبين مع تبرمهم بالحكومة القائمة لم يبلغوا بعد درجة من الاقتناع بأن المعارضة تستطيع ان تنهض بأعباء حكم قائم على مبادىء وقواعد خير من مبادىء الحكومة القائمة وقواعدها

فالمعارضة الانكليزية في الست السنوات الاخيرة قد « عارضت » ولكن معارضتها لم تكن دليلاً على انها تملك فلسفة سياسية اجتماعية ، تجعل ولايتها للحكم خيراً يتطلع اليهِ في بضع السنوات القادمة . والمعارضة للرئيس روزفلت ، من اليمين ومن اليسار تجري هذا المجرى عند تشريحها

ولا يمكن ان يكون ايّ نقدٍ لاية حكومة نقداً فعالاً الاّ اذا اتصف بصفتين . اولاهما : ان يكون نقداً للخطط العامة ، نابعاً من شعور عام سائد في جمهور الناخبين . وثانيتهما : ان يكون مثلاً في المجلس النيابي بقوة تفسر الحكومة القائمة على أخذ ما تقولهُ المعارضة بعين الاعتبار

اما في ما يتعلق بالصفة الاولى ، فمن الواضح ان حكومة من الحكومات لن تبلغ مبلغاً من الاجادة

بعضها عن النقد . بل ان الشعور بان الحكومة ادركت هذه المرتبة ، يفضي الى التراخي وعدم الاهتمام بشؤون الجماعة الحكومة . ولكن بين هذا ان الحكومة تستطيع ان تتجاهل نقد ناقديها اذا كان ذلك النقد معرباً عن رأي او خيفة لا يشركها الجمهور ولا يعطف عليها فمن الحق ان يهاجم الاشتراكيون الاميركيون الرئيس روزفلت لان مشروعاته لم تبلغ الدرجة التي يبغونها هم من التطرف . لان هذا الرأي لا يعطف عليه جمهور الناخبين الاميركيين . ومن الحق كذلك ان يزعم المحافظون الاميركيون ان مشروعات الرئيس روزفلت بلغت مبلغاً خطراً من التطرف ، لان الشعب الاميركي في الغالب ، مقتنع بوجوب تبديل موسوم بسمة العدل الاجتماعي فهجوم ارباب المال والصناعة على الرئيس ، من دون ان يصحب هذا الهجوم برنامج انشائي لاصلاح بعض ادواء الاجتماع الاميركي ، عبث في عبث الآن ، ولاسيما لان الحوادث الاخيرة في اميركا اثبتت إفلاس مواجهي روزفلت هؤلاء في معالجة هذه الادواء

اما في ما يتعلق بالصفة الثانية ، فمن الواضح ايضاً ان النقد لا يؤدي الغرض المقصود منهُ ، الا اذا كان وراءهُ في المجلس النيابي قوة يعتدُّ بها . فكل مناقشة تمنها اكثرية حاسمة للحكومة القائمة تضعف من عناية الجمهور بالشؤون المطروحة على بساط البحث . وتصبح الحكومة ذي المعارضة ، مرتبة لا بدَّ من اجتيازها بدلاً من ان تحسبها تشريعاً لخططها لا بدَّ لها من اقامة وزن له . فالجمهور قلما يعنى بحفلة ملاكمة ، اذا ادرك ان احد المتلاكمين لا بدَّ متفوق على خصمه

ثم ان الجمهور يودُّ غير واعٍ ، ان يدرك ان هذه الانتقادات التي توجهها المعارضة الى الحكومة ، هي خطوة تخطوها المعارضة نحو مقاعد الحكم . وليس ثمة معارضة تستطيع ان تشيء جواً من الاحترام لاقوالها الا اذا ثبت انها تكسب رويداً رويداً تأييد الرأي لها . فاذا كانت قوتها ضئيلة بحيث لا يعتد بها تعذر عليها ذلك ، واكبر ما تصاب به معارضة ان لا يعتد بها . لانهُ اذا فقد حزب قدرته على الهجوم هجوماً فعالاً ضيَّع سرَّ وجوده في اذهان الناخبين ، على نحو ما وقع لحزب الاحرار الانكليزي

وهذا لا يعني ان الحكومة التي لا تجد امامها معارضة ممثلة في قوة فعالة في المجلس ، يحق لها ان تدير الاذن الصماء الى اقوال المعارضين . لان هذه الحالة قد تفضي ، وهي لا تدري ، الى اتساع الهوّة بينها وبين الشعب . فوزارة لويد جورج سنة ١٩١٨ ووزارة مكدونلد القومية سنة ١٩٣١ ، من احدث الامثلة على ذلك . فكلتا الوزارتين انقذت انكلترا من ازمة عصيبة ، فحسبتا ان تفوقهما الانتخابي سيدوم لان الامة ولا ريب ستؤيد مرشحيها ، اعترافاً بما كان للوزارة من فضل في اجتياز الازمة . وهذا فيه خطأ في فهم الجماعات ، لان احكام الجماعات تستند على الاكثر الى ما يحركها الآن دون ما حركها في الماضي البعيد او القريب

الشاعر والألم

للشاعر الفرنسي الفحل الفريد دو موسيه

[تنبيه : احمد أبو الخضر منسي]

١ — مهما يكن أساك الذي في صباك تكابده
فمذ رُ تلك الجروح الكريمة تقيح
تلك الجروح التي ملائكة الشر أدمت بها فؤادك :
فلا شيء يسمو بنا مثل الآلام الفادحة .
ولكن لا تظنن أيهذا الشاعر إن مسّك الألم
ان صوتك في الناس يبقى كظلها ويُكتم ،
انما أحلى الاناشيد ادناها الى القنوط ،
وأن منها لخالدة ، وهي زفراتٌ حارة صادقة

٢ — اذا البَجَع[1] وقد أضناه السير الطويل
انقلب في غَبَش الاصيل الى قصبه ،
تسارعت اطفاله الجائعة على الشاطىء ،
تظن اذ تراه على بعد يهبط الماء ،
انها قد ظفرت بالفريسة وتاهشتها ،
فصَدّت الى أبيها تصايح من طرب ،
تهز مناقيرها فوق حواصلها المتبشمة .
أما هو فقد أمّ في خطو وئيد صخرة عالية ،
فوارى تحت جناحه المُسْدل صغاره ،
ذو صيد عبوس يجيل في السماء انظاره .
ودماؤه تسيل من صَدْع صدره متدفقة ،
فقد فتش اعماق البحار بلا طائل :
ان المحيط كان خالياً والساحل اجردّ ،

(١) طائر مائي كبير له حوصلة كبيرة ومنقار طويل منتصب عريض ويقال انه يخرج طعامه للفي اكله من جوفه ليطعم به صغاره ، بل يزعمون انه يمزق جنبه ليسقي اولاده دمه . لهذا كان البجع رمزاً لحب الامهات والتضحية والبذل

فلم يحضر لهم من القوت سوى مهجته ،
كئيباً صموتاً على الصخرة مستلقياً ،
سُقِّماً بين صغاره احشاء أب ،
يتشاغل بحبه الاسمى عن اوجاعه
وينظر الى دمه من صدره الدامي يتدفق ،
فيتخاذل ويصرع فوق سياط[1] احتضاره[2]
مُملاً من سكرات اللذة والحنان والفزع .
ولكنهُ أحياناً وسط التضحية السامية ،
وقد سئم ان يموت في عذاب لا آخر له ،
قد حالهُ ان يتركهُ اولادهُ بالحياة مائتاً ،
فينهض ويبسط في الهواء جناحه ،
ويضرب قلبه في صرخة وحشية ،
فيشهق بالليل شهقة الوداع المحزن حتى ان
طيور الماء تجلي عن الشاطىء ،
وابن السبيل على الساحل المتكسّع ،
اذ يشعر بالموت مجازاً يسلم الى الله[3] ويسترجع[4]
٣ — ايها الشاعر كذلك يفعل فحول الشعراء »
فانهم يهيجون أهل الارض حيناً ،
ولكن المآدب التي يمدونها في افراحهم للناس
تشبه معظمها مآدب البيجع .
فهم اذ يتحدثون عن الآمال الخائبة ،
وعن الاحزان ، والنسيان ، والحب ، والشقاء ،
فما تلك باغاني تطرب قلوب الناس .
انما الشاعر شبيه بسيوف ،
ترسم في الهواء دوائر تبهر العيون :
ولكنها لا تنفك عن قطرة دم بها ناشبة .

---

(١) السياط مامد من الطعام او المائدة (٢) الاحتضار نزع الموت (٣) اي يسلم الى الله امره او يفوض امره الى الله (٤) اي يقول انا لله وانا اليه راجعون

امين تقي الدين

بقلم الياس ابو شبكة

[نقلا عن مجلة « الجمهور » البيروتية]

ما أشبه امين تقي الدين بولي الدين يكن ، ما اشبه حياة هذا بحياة ذاك ، وما اشبه شعر الاول بشعر الاخير . درج ولي الدين مع الرفاهية والترف ، ومات في خصاصة وشرف ، ودرج امين في بسطة من العيش ، على حرير الحياة ومات على حسكها كالوردة تنمو في بيتها الاخضر وتتاثر على اشواكها ، ولكنهُ مات عزيز النفس عالي الجبين كما عاش

كان امين تقي الدين يحب لبنان كما كان ولي الدين يحب مصر ، ولكم تغنى بهذه البقعة من الارض ، فأول شعره كان اغنية بلبنان وآخر شعره اغنية به

واديك والسهل كسرّ المنى يدرك بالروح ولا يمتلك
سبحان من خبأ فيك الصفا وسلّ من قلب الصفا جدولك

وكان امين تقي الدين اشد اللبنانيين تفاخراً بهذا الجبل وبنيه !

اذا وطنية باهت بقوم ارى لبنان ارفعهم جبينا
اشد الحب ما يدعى هياماً فما يدعى اذا بلغ الجنونا
سلي ام الفتات لكل قطر فتحناه لها الفتح المبينا
اقمنا مجدها أنى اقمنا وكنا دونهُ الحصن الحصينا

ولقد امتزج حبه بسماء هذا البلد ومائه فجاء شعره صافياً كهذه السماء عذباً كهذا الماء ، فشعر امين شعر النفس المرسلة على سجيتها . لا تمنت ولا إعمال ولا كلفة

دعوتهم فلبينا كأنا رجعنا للصبا لما دعينا
احب من الكهولة وهي حق خيال الطفولة زار حينا
وأشهى من ليالي الحبيب نظمت به بنيك الخالصينا

صباك ، وانت في الخمسين ، غض وشاب بنوك دون الاربعينا
اذا اعددت نفسك للمعالي فأعدد في الصبا الخلق المتينا
اجل العلم ثروة المادي كذا علمتنا وكذا رينا

فهذا الشعر الصافي لا يصدر الاّ عن نفس صافية ، وايمان حي ووجدان امين وهذه الدياجة النقية كهذا المرج الصريح ، لا تشق العين في بسيطه المتد ولا الاذن في سكونه الجميل

ولكانت صروف الدهر جهمت بيانه كما جهمت حياتهُ ، لو لم يكن جباراً في روحه ، وهو القائل :

ليس من عدة الفتى للمعالي خلق في الخطوب غير جليد

كان ذلك اذ الامين على قمة الشباب يغالب الخطوب بصبر الرجل وجلد الطموح فاذا رافقهُ الهم ركن اليهِ ثابت العزم قوي اليقين بنفسهِ :

ويلك يا هم قد ايحتك نفسي فأتو منها الى مراس شديد

على ان هذا الهم الذي يحز في نفسه عشر سنوات ولم يطلّق هذه النفس التي استباحها كما استباح الشيطان خيرات ايوب حتى لين مراسها الشديد وسلخ منها صرخة المغلوب:

لهفي على السمر والاماني ولت كما اقبلت ملاحا
خبأت يا ليل فيك همي يا ليل من خير الصباحا

فبين هذه الصرخة المغلوبة وتلك الصرخة الغالبة عشر سنوات ، ومن عشر سنوات الى اليوم بقي امين تقي الدين يخبيء «همه» عن الاعين شيماً واباء. قال بالامس:

انا والهم صاحبان كلانا صادق الود حافظ للعهود
ما افترقنا حيناً من الدهر حتى جمع الدهر بيننا من جديد
لسهر الدهر صامتين تلالا يكتف الليل سرنا الحسود
قال لي صاحبي ، وقد لمح الفجر مطلاً يرنو الينا من بعيد
دعني في النهار عن اعين الناس فاني خدن الليالي السود

وقال اليوم :

خبأت ياليل فيك همي ؟ يانيل من خبر الصباحا

قف قليلاً تأمل هذا البيت . فتذعهد طويل وهذا الشاعر يحجب همه عن الناس لانه قوي جبّار يرى بنفسه ان تكشف ضعفها لاعين الشامتين فمن خبّر الناس ، من خبر هؤلاء الشامتين عن هذا الضعف؟ ان نفساً أبية وخلقاً أنوفاً لا يبذلان كما تبذل النفس المتهكة والخلق الدنيء وان يكن الصبح للناس فالليل للشاعر ، فمن سير هذا الاخير في طرق هؤلاء ؟ ومن وضع سؤدد الشاعر موضع الرق من الدهماء؟ أحطمة من حطم الحياة البائسة تحدر الكرامة الى موطىء الاذلاء فتكشف عن عناصر ليست منها لتشي في مساخر الناس مطمونة دامية ؟ أتكون هذه الكرامة رهناً لهذه الحطمة وهي في صناديق الارقاء وخزائن المتسولين ؟

قال ولي الدين يكن :

مكانك الافق ، فما ازلتَ بدلت ضهُ الارض ام بدلكَ
يا ملك الله ، ارضى الملك ملك الثرى من بعد ملك الفلك
ان تؤت خيراً بينهم يحسدوكَ وان تجد بالفضل لا يجمدوك
دانيتهم لكنهم ابعدوك

وشعر امين كشعر ولي الدين فيه جرسهُ وانسجامهُ وطيعهُ وتلك الكآبة الطافية عليه ، كآبة الحنين الى الماضي والالم من الحاضر . فيه شجو البيان المرسل وترف اللغة في ايقاع عذب شجي كهذا الذي يصدر عن غور النفس الشاعرة إبان انسلاخها عن قيود المادة الثقيلة الى اجواء الحلم الجميل

وقد يتبلك شعر ولي الدين بمسحة بدوية تشيع في معظمه ، أما شعر امين فقد يطربك حيث يتبلك غيره ، فالقافية ليس مؤطاً لها بكلام من جنسها كما في شعر ولي الدين ، على انها في مكانها ، دائماً في مكانها ، فلا هي دخيلة ولا مزهوة تبشر بقدومها وترمي بنسبها ولا تجيء الاّ في زفة

ليس في شعر امين تقي الدين فكرة غريبة او صورة لم تألفها عيناك ، ولكن فيه احسن من ذلك ، فيه عاطفة صادقة مسكوبة في بيان سائغ معقول كغدير صاف لا تتعب العين في رؤية الحصيات الآمنة في قعره . والصدق اجل مزايا الشاعر

اغنية الليل

مترجمة عن كتاب نيتشه : هكذا قال زرادشت

[نقلها محمد فهمي]

ها هو الليل مرخٍ سدوله . وها هي الينابيع الفوّارة قد علت أصواتها وما روحي غير ينبوعٍ فوّار ! !

ها هو الليل مرخٍ سدوله . وفي هذا الكون تستيقظ أناشيد الحب وما روحي غير أنشودة محبٍّ ! !

شيء لا يستقر . بل شيء غير قابل للاستقرار . هو كامنٌ في نفسي يبحث عن مُتَنَفَّسٍ لهُ في القول . انهُ شوق الحب المستعر في جوانحي وهو الذي يتكلم بلغة الحب ! !

أنا النور : آه . ليتني كنت الليل . لكن هذه هي وحدتي يحيط بها النور !

آه ليتني كنت حالكاً كالليل . اذن كنت أرتشف النور بنهمٍ من ثدييه !

وكنتُ أباركك ، حتى أنت أيتها الأنجم المتلألئة . أيتها الحباحب المشعة في الذرى فاغمر بلمحاتٍ من ضيائك .

ولكنني أعيش في النور المنبعث من حناياي وأرتشف ثانية اللهب المندلع من كياني

أنا لا أتذوق سعادة الآخذ قط . ما أكثر ما أوحت اليَّ أحلامي انهُ لخيرٌ وأحلى أن أكون سارقاً من أن أكون آخذاً !

ان فقري لأن يدي لا تستريح أبداً من الإعطاء وان حبي أن أنير السؤال في العيون وأتبيّن ليالي الرغبة بنجومها .

آه . ما أشقى هؤلاء الذين يمنحون ! أوه . يا لكسوف شمسي ! آه .

أيتها الرغبة من أجل الرغبة ! أوه . أيها الجوع المزعج وسط فيض من الشبع !
انهم يأخذون مني ولكن هل أنا أمس صميم نفوسهم ؟ ! ان بين الأخذ
والعطاء هوّة سحيقة وأضيق مكان فيها هو آخر ما يمكن عبوره ! !
لقد نبت الجوع من بهاء جمالي . حتى ليسرني الآن ان أوقع بين أيديهم
بل يسرني أن أسرق من أمنحهم عطاياي . وهكذا صرت جوعاناً الى الشر !
ها أنا أنبض يدي في الوقت الذي تمتدّ فيه يدٌ تلتمس العطاء !
متريّثاً كما يفعل ماء الشلال هنيهة قبل ان ينحدر
هكذا أشعر بالجوع الى الشر ! !
ان تراني لينكر في هذا النوع من الانتقام . وهذا البغض
قد نبع من سالك وحدتي
لقد أماتت المنح نشوة المنح في نفسي وأصبحت فضيلتي وقد أنهكها فرط السخاء !
ان من يعطي لهو في خطر يهدده بفقدان مياه حياته !
ومن يحمل دأبه توزيع الاحسان لا بد ان يصاب قلبه بالقسوة ويده بالغلظ
ليس من شيء الاّ من دوام توزيع الاحسان .
ان عيني لم تعد تفيض بالعطف على السائلين . ويدي أصبحت جامدة
لا تحسّ ارتعاش الايدي المفعمة بالعطايا .
أين ذهبت دموع عينيّ ! ! بل أين رقة قلبي ! ! آه
ما أشد وحشة من يمنحون . وما أقسى صمت من يثيرون !
ان كثيراً من الشموس تدور في الفلك
وانها لتخاطب كل صقع مظلم بلغة من النور
ولكنها عندي ليست الاّ صامتة ! !

آه ان هذه عداوة النور لكل شيء ينير
يسير في طريقه مجرداً من كل شفقة
جائراً على كل شيء يضيء ! غير مكترث للشموس .
وكذلك تسير كل شمس !
الشموس تسير في أفلاكها كالعاصفة — تلك مسارها
انها تتبع مشيئتها الجامحة — لا ينبض فيها شعور !
آه . أنت أيتها الكائنات المظلمة ! أنت وحدك يا كائنات الليل
تمتصين الحرارة من الكائنات المضيئة
وانك وحدك التي تشربين اللبن فتشعين نفسك من ضرع الضياء !!
كفى ! ها هو الجليد قد أحاطني . وان يدي لتحترق وهي تلمسه .
كفى ! ان ظمأ أحسه في صميمي وما هو الا تشوق الى ظمأك
انهُ الليل . كفى . فوجب ان أكون النور والظمأ لكل ما في الظلام .
وان أكون الوحدة !
انهُ الليل . والآن قد انبثقت رغبتي كينبوع متدفق . انني أرغب في الكلام !
انهُ الليل وها هي الينابيع الثوارة قد علت أصواتها
وما روحي غير ينبوع ثوار !
انهُ الليل وفي هذا الكون تستيقظ أناشيد المحبين
وما روحي غير أنشودة محب !!
هكذا قال زرادشت

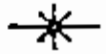

باب الأخبار العلمية

« صدمة الانسولين » قد تشفي من الجنون

اصبح اسم « الانسولين » اشهر من ان يعرف . فهو خلاصة الغدة الحلوة (البنكرياس) التي تخفف اعراض البول السكري وتطيل حياة المصابين به . وقد أحرز باقتناع مكتشفه جائزة نوبل الطبية جزاء له على اكتشافه ومنحهُ الملك الانكليز رتبة فارس ولقب « سر »

وقد اثبتت المباحث الطبية الحديثة ان « الانسولين » قد يكون سبيلاً الى انقاذ المصابين بضرب من الجنون او الخبل (شيزوفرينيا) من خبلهم وجنونهم علاوة على فائدته العظيمة في حالات البول السكري

وفق الدكتور مانفرد ساكل احد اطباء فينا الى هذا الاكتشاف اتفاقاً على ما روى لجمعية الطب النفسي الاميركية . ذلك ان احد مدمني المورفين كان يعالج في احد مستشفيات فينا وكان مصاباً بالبول السكري فأعطي الانسولين لتخفيف اعراض هذه الاصابة فأصيب بما يعرف عند الاطباء بصدمة الانسولين وهي حالة مناقضة لحالة الديابيطس (البول السكري) . ففي حالة الديابيطس يتجمع السكر في الدم والجسم عاجز عن استهلاك ما يحتاج اليه منهُ . أما في حالة « صدمة الانسولين » فيكثر ما يستهلكه الجسم من السكر الذي في الدم حتى يقل مقداره عن المقدار السوي اللازم

فلما عولج المصاب باضافة السكر الى دمه من « صدمة الانسولين » ظهرت عليه دلائل التحسن في حالته العقلية

وهذا طبعاً يذكرنا بما تم لفاجنر يورج في فينا ايضاً عندما اكتشف فعل الملاريا في شفاء الشلل العام أو الشلل الجنوني الناشيء عن الاصابة بالحلق (السفليس)

فلما تبين الدكتور ساكل ذلك في هذا المريض عالج المصابين بالاضطراب العقلي من جراء ادمانهم المخدرات بالانسولين مع أنهم لم يكونوا مصابين بالبول السكري فأعطاهم جرعات كبيرة منهُ ليصابوا بحالة « الصدمة » فتحسنت حالتهم العقلية تحسناً يظهر الآن انه ليس بالوقتي

وقد أيد فريق من اطباء اميركا رواية الدكتور ساكل . فقد تحسنت احوال ٣٠ في المائة الى ٥٠ في المائة من المصابين الذين عالجهم الاطباء الاميركيون تحسناً يظن انه دائم وانما لا يمكن القطع الآن في هذه الناحية لان حداثة العهد بهذا العلاج لم تتح للاطباء مدة كافية لتتبع احوال الذين ظهرت عليهم اعراض التحسن وانما يعرف ان هذا التحسن دام في بعض الذين عولجوا ثلاث سنوات حتى الآن

ووجه الخطر في هذا العلاج ان استعمال جرع كبيرة من الانسولين لاحداث « الصدمة »

قد يفضي الى اصابة الذي يتجرعها بحالة خطرة تعرف باسم « هيوجليسيميا » اي هبوط مستوى السكر في الدم وقد تفضي هذه الحالة بسرعة الى الوفاة الا اذا عولجت حالاً بحقن محلول سكري مناسب في العروق على الفالب او باعطاء محلول السكر شرباً والاول اسرع فعلاً بحكم الطبع

غاز الهليوم عديم المذهب

كشف أولاً في الشمس وتكاد أميركا الشمالية تحتكره

ذكرنا فاجعة المنطاد هندنبرج ان غاز الهليوم الذي يقول الدكتور اكنر انه لا يستغنى عنه في المواصلات الجوية بالبلونات لم يكشف اولاً على الارض بل كشف اولاً في جو الشمس. والشمس كما لا يخفى تبعد عنه ٩٣ مليوناً من الاميال او نحوها

في سنة ١٨٦٨ لاحظ باحثان انكليزيان كان احدهما لوكير محرر مجلة نايتشر المشهور وهو من اشهر بعد ذلك باسم السر نورمن لوكير ان طيف الضوء الواصل الى الارض من اكليل الشمس يبدو فيه خط لامع لا نظير له في خطوط الطيف المعروفة على الارض ثم ثبت أن هذا الخط يظهر في طيوف الاضواء الواصلة الينا من نجوم كثيرة فقال لوكير حينئذ — وكان علم الحل الطيفي لا يزال في مهده — ان منشأ هذه الخطوط الطيفية عنصر لم يكشف على الارض بعد واقترح اطلاق اسم هليوم عليه واصل هليوم هليوس أي الشمس. وظل هذا العنصر غير معروف على الارض حتى أواخر القرن التاسع عشر وكشفهُ السر وليم رمزي الكيمياوي البريطاني في غازات الهواء النادرة اذ كان يبحث عن غاز يدعى كربتون

ومقدار الهليوم في الهواء قليل جداً فهو لا يزيد على جزء من ١٨٥ الف جزء وكان معظم المستعمل منهُ للبحث العلمي يستخرج من بعض المعادن المشعة باحمائها . ثم ظهر ان هناك مقادير غير يسيرة منهُ في الغازات المنطلقة من ينابيع المياه الحارة وفي الغاز الخلقي أو الطبيعي الخارج من بعض الاماكن في قشرة الارض

ولم يجر ذكر استعماله للبلونات الا سنة ١٩١٤ عند ما اقترح السر رتشرد ترلفول ذلك على مجلس المخترعات في وزارة البحرية البريطانية بانياً اقتراحه على ما هو معروف عن الهليوم من خفة الوزن وعدم القابلية للالتهاب وعهد حينئذٍ للاستاذ مكلان الكندي على ما ذكر في البحث في وضع طريقة لاستخراجه من الغازات الطبيعية

ومعظم ما يعرف عن مصادر هذا الغاز الغني بالهليوم موجود في الولايات المتحدة الاميركية وكندا وكانت طريقة استخراجه عسيرة كثيرة النفقة فكان ثمنهُ غالياً ولما كان ذا قيمة كبيرة في المواصلات الجوية وفي الشؤون الحربية التي تستعمل لها البلونات حظرت اميركا اولاً تصدير الهليوم من بلادها حتى للجامعات اولاً ثم لما اتقنت وسائل استخراجه واكتشف مصادر كثيرة للغاز الذي يحتويه رخص ثمنه وقيل حديثاً انها قد تبيع منهُ لالمانيا ما تحتاج اليه لملء البلون الجديد الذي يحل محل الهندنبرج

البروتيلين يشفي مرضاً اجتماعياً

من أعجب المكتشفات الطبية الحديثة ان ست عشرة حبة من دواء جديد يعرف باسم بروتيلين تشفي المرض الزهري الذي سببهُ ميكروب « الجونوكوك » وهو مرض كثير الانتشار في معظم البلدان ويصاب به في الولايات المتحدة الاميركية نحو مليوني مصاب بين رجل وسيدة كل سنة ويفضي الى اضطرابات واصابات أخرى متنوعة في النساء والرجال والاطفال

فقد عرف قراء المقتطف ان « البروتوزيل » و « البروتيلين » مادتان متقاربتان جدًّا في التركيب الكيماوي أولاهما صبغ أحمر والثاني مسحوق أبيض . والاول يمكن الجسم من التغلب على ميكروبات « الستريتوكوكس » التي تسبب تسمم الدم وحمى النفاس وغيرها . ولكن الدكتور جون كولستون المتوفر على دراسة أمراض المسالك البولية في جامعة جونز هبكنز الاميركية المشهورة في العالم أجمع بكليتها الطبية جرب الثاني بالاشتراك مع فريق من علماء تلك الكلية في معالجة « السيلان » باعطاء المصابين أربع حبات كل يوم مدى أربعة أيام فشفي ٨٥ في المائة من الذين عولجوا كذلك

***

وثمن هذه الحبات يبلغ ثمانية قروش صاغ والبروتيلين هذا اسم تجاري لصبغ يعرف عند الاطباء باسم « سلفانيليد » واسمهُ الكيماوي (پارا — أمينو — بنزين — سلفوناميد)

في بضعة أشهر سمع الدكتور برين لونج أحد علماء جامعة جونز هبكنز بتجارب تجرب في لندن بهذه المادة فذهب اليها ليطلع بنفسه عليها وعند عودته شرع في تجربتها في المصابين بتسمم الدم . وكان يساعده في تجاربه هذه الدكتورة اليانور بلس . ثم انجها الى تجربة تأثير البروتيلين في « المننجوكوكس » وهو الميكروب الذي يسبب التهاب الدماغ النخاعي . ولما كان « الجونوكوكس » مسبب السيلان قريباً من « المننجوكوكس » سبب التهاب الدماغ النخاعي ولما كان الدكتور لونج مشغولاً بتجربة تأثير « البروتيلين » في هذا الميكروب الاخير اقترح على الدكتور كولستون تجربة « البروتيلين » في المصابين بالسيلان فاشترك كولستون مع طبيبين آخرين في هذه التجارب فتوصلوا الى النتيجة المتقدمة . أما يخشى الدكتور كولستون وساعداه ان تباع حبوب البروتيلين من دون ضابط لانها قد تغري المصاب بأخذ جرعة منها اكبر مما يجب مدفوعاً الى ذلك برغبته في الشفاء ورخص ثمنها . فاذا كانت الجرعة أكبر مما يجب أفضى تجمع البنزين والكبريت — وهما قوامها — في الدم الى فقر الدم (الانيميا) فالوفاة ولا يعلم حتى الآن ما تأثير هذه المادة في منع السيلان . وهذا الكلام ملخص من مجلة « تيم » ولم نر حتى كتابة هذه السطور بسطاً للاكتشاف في مجلة طبية او طبية

معالجة النزلة الرئوية (النومونيا)
بأحد مركبات الكينا

صرح الدكتور ماكلاكان ساعور اطباء مستشفى الرحمة بمدينة بتسبرج الاميركية بان مركباً جديداً من المركبات المستخرجة من الكينا صنع بالتركيب الكيمياوي في معهد ملون وجرب في معالجة حالات النزلة الرئوية الحادة فظهرت فائدتهُ

هذا المركب يدعى « هيدروكسي اثلابوكوبرين » وقد جرب اولاً في الفيران والارانب والكلاب قبل تجربته في البشر

وقد انقضت سنتان والدكتور ماكلاكان يجرب هذا المركب الكيمياوي الجديد في حالات النزلة الرئوية الحادة فكان معدل الوفيات في مائة حالة عالجها في الشتاء الماضي ٢٧ في المائة مع ان المعدل المألوف في مثل هذه الحالات في مستشفيات بتسبرج ٤٥ في المائة

ولكن الدكتور ماكلاكان حذر في حكمه شأن العالم المحقق فقال ان هذه المادة مركب من مستخرج من الكينا وقد ظهرت فائدته في النزلة الرئوية ولكن استعماله السريري لا يمكن ان يحقق قبل ان يدرس الاطباء في مختلف الارجاء فعله في طائفة كبيرة من الحالات

وتناول هذه المادة سهل جداً فانها تؤخذ حبوباً كأنها كينا وقد يتناول المريض جرعات كبيرة منها تبلغ ٤٠٠ الى ٨٠٠ قمحة او اكثر من ذلك في اسبوع وتبلغ الجرعة العادية للبالغين ١٢٠ قمحة في اليوم

يعود البحث عن مركب من مركبات الكينا لمعالجة النزلة الرئوية الى مشاهدات احد العلماء الالمان سنة ١٩١١ ذلك انهُ لاحظ أن احد مركبات الكينا المعروف باسم (ايثيل هيدروكوبرين) او (أوبتوكين) فعال في قتل مكروب النزلة فلما جرب في بعض المصابين بها اصيب بعض الذين عولجوا بعمى وقتي

فشرع الباحثون في المانيا واليابان واميركا ولاسيما في معهد ملون الاميركي في البحث عن مركب من مركبات الكينا يكون له هذا الفعل ولكنهُ لا يسبب حالة العمى الوقتي وقد جربت المركبات التي استنبطت في معهد ملون الاميركي وعددها ستة وسبعون مركباً في ٢٠ الف قارورة خلال اربع سنوات قبل الفوز بهذا المركب وقد ثبت من تجربته في البشر انهُ لا يحدث اي اضطراب بصري

ولم يظهر حتى الآن اي دليل على أن هذا الدواء يتناقر مع المصول المستعملة في بعض حالات النزلة الرئوية وسهولة تناوله تمكن الطبيب الممارس من استعماله في المراتب الاولى من اصابة الرئتين بالميكروب (النيومو كوكس)

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ان فائدة هذا المركب تكون على أتمها اذا شرع في استعماله في اليوم الثالث من الاصابة لا في اليوم الاول ولا في اليوم الثاني ولم يعرف سبب ذلك بعد

ضرب جديد من دقائق المادة
في الاشعة الكونية

في أنباء اميركا الطبية ان ضرباً جديداً من دقائق المادة قد كشفهُ العالمان فدرماير واندرسن وثانيهما حائز جائزة نوبل الطبيعية لسنة ١٩٣٦

هذا النوع الجديد من المادة لم يطلق عليه أي اسم بعد ولا هو يتفق مع سائر ما يعرف من دقائق المادة المختلفة كالبروتون والالكترون والنوترون

في اثناء تجارب كان هذان العالمان يجريانها ظهرت لها ظاهرات لا يمكن تفسيرها بأي دقيقة من دقائق المادة المعروفة . وكان لا بد من فرض وجود دقائق اخرى لتفسيرها. ولكن الصفات العجيبة التي يجب ان تتصف بها هذه الدقائق لتفسر ما رأياه حملهما على الريث قبل اعلان النتيجة . ويقال على لسان الدكتور اندرسن ان هذا البحث كان أعقد وأصعب بحث طبيعي تولاه حتى الآن

هذه الدقائق الجديدة تحمل شحنة كهربائية من رتبة الشحنة الكهربائية التي على الالكترون والبروتون . فمنها ما هو موجب ومنها ما هو سالب وكل دقيقة منها اثقل وزناً من الالكترون ولكنها اخف من البروتون. والراجح ان مدى بقائها على الارض قصير لانها لا توجد الا في الاشعة الكونية

وقد استنتجت جميع هذه الخواص استنتاجاً من دراسة الاشعة الكونية

ومن غرائبها انها تخرق الواح الرصاص السميكة من دون ان تفقد طاقتها وكثافة الرصاص تفوق كثافة الماء عشرين ضعفاً وكثافة الرصاص ضعفين

انسولين جديد باضافة الزنك اليه

قال السر فردريك بانتنغ مكتشف الانسولين ان التجارب تجرب الآن بانسولين جديد قد تقضي الى اثبات تفوقه على الانسولين المستعمل في علاج البول السكري . فقد اضيف الى الانسولين المألوف قليل من الزنك وجربت به التجارب فظهر ان فعله بعد اضافة الزنك اليه في تقليل مقدار السكر في الدم اطول كثيراً من فعل الانسولين الذي لا زنك فيه

ولكن هذا الانسولين الجديد لم يجرب بعد تجارب وافية واسعة النطاق في المصابين بالبول السكري حتى يستطاع الحكم النهائي عليه

***

وقد نشأت فكرة اضافة الزنك الى الانسولين من اكتشاف دنماركي وهو ان اضافة مادة « بروتامين » من منويات بعض السمك تطيل مدى فعل الانسولين وقد وصف السر فردريك بانتنغ هذا الاكتشاف الدنماركي بقوله انهُ اكبر خطوة في معالجة البول السكري بعد اكتشاف الانسولين

بين العقل والجنون

مشاهدات غريبة

ذكر الدكتور محمد حسين ولاية الطبيب بصحة بلدية الاسكندرية وعضو جماعة نشر الثقافة في كتاب صدر لهُ من عهد قريب بالسودان المتقدم بعض مشاهدات في الاصابات العقلية والعصبية اخترنا منها ما يلي :

أين مركز الكون ؟

لا ريب أنك ستحار في الاجابة عن هذا السؤال ولكن امرأة من نزيلات احدى مستشفيات الامراض العقلية تؤكد ان الشامة التي على خدها الجبل هي مركز الكون . فما رأي علماء الفلك ؟

يقرأ سابحاً

يشرف منزلي على شاطىء البحر في محطة سبورتنج . . . . وقد استوقف نظري مراراً رجل بدين يقضي الساعات الطويلة في الصباح والمساء في زمهرير الشتاء سابحاً في البحر كأنما خلق ليعيش في الماء وقد رأيت في حركاته وسكناته ما رابني في أمر عقله فكنت أراقبهُ باهتمام ولشد ما كانت دهشتي عند ما رأيتهُ يوماً وسط الماء رافعاً بيده كتاباً الى أعلى خوفاً من ان تبلهُ الامواج وقضى مدة في قراءة هذا الكتاب وقد ثنى رقبته الى الخلف ليتسنى لهُ ذلك ولما خرج من البحر استلقى على بطنه فوق الرمال وهو يلعب برجليه ويديه كالطفل

حديث الطفل

أصيب طفل بالحمى التيفودية وهو في السابعة من عمره فأثرت في قواه العقلية وأخذت تنتابهُ نوبات صرع . وأغرب ما حدث لهُ انهُ أصبح يكرر ما يريد ان يقولهُ مرتين . فاذا أمرتهُ ان يأكل الطعام أجابك مثلاً « أنا شبعان . أنا شبعان » وهكذا

تصيد البراغيث

انها سيدة تصيد البراغيث بشغف وتوثق ارجلها بخيط واحد على بعد ستمترين البرغوث والبرغوث واخيراً تحمل الخيط رأسيًّا وتشعل النار من طرف الخيط الاسفل وتتلذذ برؤية ضحاياها وهي تحترق

عيناه وأذناه وفم

في ذيل ضفدع

وصف الدكتور اوسكار شوتيه احد اساتذة كلية امهرست الاميركية تجربة عجيبة جربها بصغار الضفادع اذ قطع ذيل احداها فلما شرع الذيل ينمو ثانية زرع فيه الخلايا التي تؤلف اصول العينين في صغار الضفادع فنما نسيج العين في الذيل نموًّا سريعاً وكأنهُ أثر في نسيج الذيل التامي فصنع العين عدسة بل كان نسيج العين الاصلي يحمل في طياته حوافز تحفز النسيج الذي حوله الى تكوين اذنين وفم فتكوّن في الذيل فعلاً بداءة اذنين وفم

الصوف الصناعي

من كاسين اللبن

في خطبة القاها الدكتور هارولد يوري حائز جائزة نوبل الكيماوية لكشفه الايدروجين الثقيل والماء الثقيل قال ان استخراج صوف صناعي من كاسين اللبن «وهو المادة الجبنية فيه» مستطاع وان علماء ايطاليا قد ضنوا هذا الصوف وان رجال فرقتين من الجيش الايطالي يرتدون ملابس مصنوعة منهُ

وقال الدكتور يوري ان منسوجات من هذا القبيل يمكن ان تصنع من قطع اللحم التي لا يسهل مضغها فيحول بعض ما فيها من المواد الى نسيج يرتديه النواتي في الربيع او الرجال في السهرات

تعباله في المثانة

نشر الدكتور حيار من في المجلة الطبية الاميركية كلمة عن حالة غريبة قال : حضر ليادته في ٧ يوليو سنة ١٩٣١ مريض اعزب عمره ٤٠ سنة يشكو منذ خمس عشرة سنة ألماً في المثانة وتعسراً في التبول مع تكراره وقلة البول فيه وأنهُ ادخل من يومين تباناً صغيراً الى المثانة على امل ان يشفيه من العلة المزمنة فيها

وقد دل بحث البول على وجود كريات حديدية بكثرة فيه وأظهر فحص الاشعة والمنظار وجود التبان في المثانة وبعد محاولات عديدة تمكن من القبض عليه بكلاليب المنظار واخراجه منها

وبلغ طول التبان نحو ١٨ بوصة و٤٥٧ السنتر وشفي المريض

اعضاء غريب

يزيد عدد سكان الولايات المتحدة الاميركية واحداً كل ٣٥ ثانية ذلك ان ولادة تقع كل ١٤ ثانية ووفاة كل ٢٢ ثانية ويدخل اميركا من الخارج مهاجر اليها كل ١٤ دقيقة ويغادرها مغادر كل ١٤ دقيقة ونصف دقيقة

غاز النيون في بعض السرم

غاز النيون مشهور في عصرنا لانهُ يستعمل في الاعلانات التجارية على المخازن اذا يتألق بضوء أحمر عند ما يوضع في أنابيب بعينة ثم يخترقها تيار كهربائي . ولكنهُ نادر على الارض . الاَّ ان الدكتور « منزل » أحد علماء مرصد جامعة هارفرد أثبت انهُ كثير في عالم النجم وان مقداراً في ما بعض الدم النازية التي داخل مجرتنا يساوي مقدار الأوكسجين فيها

التضرب الجنسي في الضفادع

شوهد انقلاب الجنس في كثير من الحيوانات المائية الارضية (البرمثية أو القوازب) كالضفادع وغيرها . وتدجيع كرو سنة ١٩٢١ عدداً كبيراً من الضفادع انقلبت من اناث الى ذكور وعلل ذلك بحصول اضمحلال في نسيج المبيض فيها لنسيج مولد للسبرمات بدلاً منه وروى العالم المشار اليه ان بعض هذه الضفادع عملت فعلاً عمل الذكور وامكنها ان تلقح وتخصب الاناث وكان النسل الناتج كله اناثاً وهو بالضبط ما يتوقع (لسبب علمي يتعلق بأساليب الوراثة لا محل لبسطه هنا)

مكتبة المقتطف

بحث نفسي اجتماعي في

عالم السدود والقيود

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد

سواء أكان السجن معهداً للعقاب او الانتقام، ام داراً للاستشفاء، ام مدرسة للتهذيب والاصلاح، وسواء أزعم الحكام والمشرعون انه خلوة يختلي به المذنب ليحاسب ضميره عما اقترف، ام وسيلة توقظ العوامل الانسانية الكامنة في النفس عن طريق الحجر، ام مطهراً يتطهر به الضمير بنار التكبت، سواء اجمل السجن لهذه الاغراض ام لسواها، فانهُ يبقى جحيم عذاب يثقاب على جرمها مخلوق فرضت عليه القوانين الوضعية القصاص ولا يسلم من حروقها الا رجل مُحت به ثقافتهُ وارتقت به روحهُ الى مضاف الكمال

روّاد السجون واحد من ثلاثة: شرير مفطور على الاجرام لا يصلحهُ التعذيب ولا الانتقام، ومدفوع اليد زلت به القدم نهوى فان قدّرت له النجاة نما ينجو بنفس محطمة واعصاب متخاذلة، ورجل جارت عليه الاحكام فكان الجور مدعاة الى استفزاز همت واثارة نخوته وتصلبه في عقيدته

كنت احسب السجون تشم روّادها بوشم الحقد الذي يتمدد مع تمادي السنين ويبرز اثره كلما اوغل المرء في الاندماج بالاوساط الاجتماعية، حسبت ذلك حقيقة ثابتة في النفس البشرية وقد قدر لي ان اسهل حياتي السياسية بالايواء الى السجن ثم الافلات من حبل المشنقة، وكنت كلما جال السجن بخاطري او عرضت حالات المسجونين امامي، اشعر بالوجع من ذياك العذاب القديم وأحس بالغصة الدافعة الى الانتقام من اولئك الاشرار الذين سموا الى الزج بي في هاتيك الغيابات، وكنت اتاسى ما افادتني حياة السجن من تعلم الالتفات الى حياة المسجونين، ومراقبة احوالهم، ودرس نفسياتهم، والاعتبار بأدوائهم ونوازلهم وما علمني ايضاً من الثقة بالنفس والاعتماد عليها وحدها، ومن إباء الانقياد لارادة الفرد او السخرة الجماعة المتحزبة.

فاعتماداً على هذا الحسبان، قرأت كتاب «عالم السدود والقيود» وفي نفسي توق ملحّ الى دغدغة اجدها فيه تسكن في نفسي ألماً مزمناً ووجيعة من اناس ضللوا شباناً كثيرين غيري لم ينج اكثرهم من اعواد المشانق، غير اني لم الق في الكتاب شيئاً مريراً من ذلك، ولم يشعرنا مؤلفهُ الفاضل بوطأة الالم على نفسه وجثوم كابوسه على صدره، ولا تحفزه الى الانتقام والتشفي من الحكام او السجّان أو القادة او غيرهم، فما سبب ذلك يا ترى والاستاذ العقاد كما يعرفهُ كل الناس، أبي النفس، مرهف الحس، دقيق الشعور الى أبعد الحدود؟

قد أقترب من الحقيقة اذا أعدت ذلك الى ثلاثة أسباب :

الاول : ان مقام الاستاذ العقاد في السياسة مقام المعلم لا المستعلم ، والقائد لا المقود ، وشتان بين رجلٍ صاحب رسالة وعقيدة في الحرية والاستقلال يبثها في الناس ، وبين آخر يستوحي اصحاب العقائد ليساعدهم في اذاعة رسالتهم سواء في الحرية والاستقلال او في سواهما

والثاني : هو تسامي روح العقاد عن هنات المجتمع ووضاعته ، وترفعه عن أخذه بتجربته ، ودأبه في تسديد خطاه وتوجيهه صوب قبلة الحياة

والثالث : هو المقدرة على التحول من جهة الى جهة مع المحافظة على المعرفة ما بين الجهتين من تقارب وتباعد

هذا ما أحسبها أسباباً لتنحي المؤلف عن النقر على الاوتار الاينة في حياة السجن ، وقد يكون هناك أسباب دافعة لم يذكرها المؤلف او تحاشى ذكرها ، وقد تكون كبرياء نفسهُ على الالم واختياراً لهُ ، وقد تكون معاملة طيبة من السجانين خصّوه بها فألفتهُ وطأة القيود وثقل الحجر ، وسواء أكان هذا أم ذاك ، فان الذي لا شكّ فيه ان تسامي الروح المقام المقدم في هذا الكتاب . ويجدر بي قبل استعراض أبرز خصائص هذا المؤلف الثمين أو أروي الحادثة التالية

حدثني أحد المزورين من سياسة الاستاذ العقاد قال : ان عجبت من تحير هذا الرجل المخوف الذي لا يعرف الملاينة ولا الانحراف حتى عن سبيل العاصفة الهوجاء ، والذي تم تسمات وجهه ولنظرات عينيه على الصخرية والكبرياء ، والذي تسمك كل كلمة من كلماته رجع صدى القوة الصارمة والحق الصريح ، فاني أعجب لروح الانسانية يشيع في فصول كتابه كلها ، وروح الفكاهة اللطيفة ، والفكاهة الظريفة ، والسخرية اللاذعة يفيض بهِ ، وسألني تعليل ذلك ، فابتسمت وأجبت : ان هذا الذي ذكرت يا صاح ليس سوى مظهر بسيط من مظاهر العبقرية التي تجمع بين طرفي الأمر الواحد بسهولة وعدم تكلف . فالعقاد الضيف الحيار هو بعينهِ العقاد اللين السلس ، والعقاد الانوف المتكبر هو هو الحنون المتواضع ، وحبهُ رفعة وسموٌ احدهُ على المجتمع المريض قيواسيه تارةً برفق ولين وتارةً أخرى بالبضع والمنشار تحدوهُ في الحالين نفس مفطورة على الحب . وحبهُ انهُ دخل السجن وخرج منهُ بروح واحد لم يتبدد انما أضاف الى ذخيرة معرفته بالحياة معرفة طائفة من الناس بعيدة عن الناس تأوي بقعة في الارض جديباء قاحلة من الرحمة والرأفة

تكفل للقارىء صفحات كتاب « عالم السدود والقيود » بان يستعرض عالم السجن كما استعرضهُ المؤلف دون ان يقيم مثله فيهِ تسعة شهور ، ويقرأ فيها خلاصة ما رأى السجين واحسّ وفكر ، كما يقرأ قصة الذهاب بهِ الى سجن « قره ميدان » ورحلته الى هذا المكان الواحد الذي « كأنهُ العالم باسره بارضهِ وسمائهِ ، والذي كأنّ العالم الخارجي جزء لاحق مضاف اليهِ »

« والذي هو خط والدنيا كلها خط آخر يتعايشان ويتناظران » يقرأ فصولاً مستقلاً احدها عن الآخر استقلالاً تاماً ومرتبطاً في الوقت ذاته باخوته ارتباطاً فنياً عجيباً ، وهي بين هذا الاستقلال والارتباط كاعضاء الجسد الانساني الذي يشيع فيها الروح الالهي

قلت ان من خصائص الكتاب « الروح الانساني » وهو شائع في فصوله يربطها بعضها ببعض كما ترتبط نغمات الموسيقى الوترية الهادئة ودبدباتها الناعمة ، فنغمات الموسيقى النحاسية او تجمل من تعدد أصوات الآلات وحدة كاملة ، وقد احدث شيوع هذا الروح في فصول الكتاب قصة منسجمة متلاحمة محبوكة معقودة ببراعة المؤلف القصصي ، لذلك اقر بالعجز عن التدليل الهادي عن خصائص الروح بالذات لانها تدرك بالزكانة والفطانة . اما الدلالات على روح الفكاهة والسخرية فمركزة في كل فصل ، اسمع ملخص الواقعة التالية

ضبط السجان سجينين زيفا ثماني عشرة قطعة من ذات القرشين في معمل السجن واتقنا صنعها جدّ الاتقان ، مع السرعة وقلة الادوات وشدة الحذر من الرقباء ، فنوهما ان جزاء التزييف خمس سنوات ، فالتفت احدهما الى زميلها العقاد السجين سائلاً « اصحيح ان الحكاية فيها خمس سنوات » قال الاستاذ : « طاب لي أن أداعب مهارة هذين الشيطانين ، واخذت اشرح لهما ما اعتقد الفارق بين التزييف في الخارج والتزييف في داخل السجن وقلت لهما ان المزيف في الخارج يختلس حق الحكومة وحق الناس ولكن المزيف هنا يختلس ما هو مختلس بطبيعته ومستحق للمصادرة عند ضبطه وليس على هذا عقوبة اكثر من عشرين او ثلاثين جلدة فانطلق احدهما يدعو لي بالطمأنينة وارتقاء المراتب والصحة والعافية وكل شيء . . . . « قلت هداك الله يا صاح ، ولكن هذه الدعوات الصالحات هل تراها « عملة صحيحة » عند صيارفة السماء ؟! »

قصة ثانية « . . . . . ان الاطباء قرروا بعد ايام من دخولي السجن وجوب وضعي في مستشفاه ومعاملتي في اختيار الطعام والفراش واوقات الرياضة معاملة المرضى « ولكن ماذا حدث بعد هذا القرار ؟ هل نقلت الى المستشفى كما يقضي العقل والنظام ؟ كلاّ ! انما الذي حدث انهم اعتبروا الحجرة التي انا فيها ملحقة بالمستشفى وانقضى الاشكال ! ! ! »

قصة ثالثة « . . . . . واختلفنا على صاحبنا . . . . حتى باح لنا بذلك القسم ، فاذا هو آيات يكررها القائل ثلاث مرات وهو متوضيء فتحصل المعجزة . . . . . وقد رأيناه فعلاً يحز لنصل خطا على الحائط ويتلو القسم فيرجع النصل عن الخط او يسقط دونه ، وجربنا نحن القسم فصحّت التجربة وايقنا برهة اننا نملك سرّاً من أسرار السحر المتصرف في خلق من خلائق الله حتى خطر لنا يوماً أن نرسم الخط ولا نتلو القسم . فما راعنا الاّ ان تصح التجربة بغير تلاوة كما صحت بالوضوء والتلاوة ، فعرفنا السر ولكنا اسفنا على السحر الذي فقدناه »

السائد في اذهان بعض الناس ان الذكاء طبيعة في طرائف النمل ، فجرياً على هذا التخمين وامتحاناً لتجربة النمل السالفة طاب للاستاذ العقاد ان يمتحن هذا الذكاء ولكن بغير ضوء وآيت

لقد ساعدته اسراب النمل وطرائفها الفاطنة في شقوق غرفته في السجن على اتيان التجربة التي اسفرت ، على ان هذه المخلوقات الموصوفة بالذكاء انما تعمل بغير « تفكير » كانها من الآدميين

قصة رابعة : حضر الواعظ ليعظ السجناء المسيحيين ، وكان يروق الاستاذ العقاد ان يشهد هذه الحلقات ويسمع الوعظ ، « فيطيب لي ان ارى التوراة منقولة الى عالم الخيال الفطري ، والتصوير الشعري ، والتمثيل الفني الذي لا تكلف فيه » « وكان من عادة الواعظ اذا فرغ من شرحه ووعظه ان يطلب الى أحد السجناء ان ينهض للصلاة والدعاء ويجهر بما يجيش في نفسه ونفوس زملائه » « ولا احسب احداً منهم — اي السجناء — كان يجيد الكلام في دعائه وصلاته كما كان يجيده رجل من اضرابهم بالشر واولاهم بالعقاب واسوئهم سيرة بين السجناء ، وان شهدوا له بالبراعة والذكاء وهو تاجر مخدرات مشهور » « سمعته مرة يصلي ويذكر خطايا الخاطئين وآثام بني الانسان . . . فسألت عنه فقيل لي هذا فلان صاحب الحيل المعروفة في ترويج المخدرات وكنت سمعت عنه وعن قضاياه واحاديثه في ايقاع ضرعاه ، واغرائهم بتناول السموم وادمانها ، فقلت لو كان هذا المصلي الخاشع يدعو الله ليستجاب دعاؤه لما دخل السجن ولا قام مقامه هذا الصلاة فيه! ولكنها حيلة جديدة من حيله الكثيرة ، ولعلها ايضاً من حيل التخدير »!!

وقس على ذلك في الفهم والسخرية والنكتة وما اليها الشيء الكثير ، اما دقة الملاحظة ، وقوة الاستنباط والبراعة في الاستقراء ، والحصافة في الحكم فاكثر من ان تحصى اقتصر على اقتباس بعضها

« في معظم السجناء عاطفة مصرية لاحظناها في جميع المصريين على تباعد الطبقات والاقاليم ولعني بها « عاطفة العائلة » وما يتفرع عليها من رعاية الارحام والاسنان »

مرّ سجين من السائدين في جريمة السرقة بطفل واقف في فناء السجن ينتظر ترحيله الى سجن الاحداث « فرفع الطفل رأسه وناداه بلهجة المسكنة التي يستشعرها الصغير في غيبة أهله وقال لهُ « جوطان » فتمهل اللص السائد هنيهة ثم قال لهُ « ماذا أصنع لك يا ابني وانصرف . . . . . ثم عاد بعد دقائق ومعهُ رغيف سرقهُ من المخبز فقسمهُ نصفين وأعطى الطفل نصفه . . . . . »

مثل ثان : تلاحى شيخ فانٍ وفتى عارم مشهور بالشر والعربدة . . . فتبهُ الشيخ سبًّا لا يطيقهُ فتىً من سنه . . . فما صنع الفتى المسبوب الا ان بدا عليه الدهش والتردد ثم هزّ رأسه وقال لمن معهُ « انظروا الى الرجل الشايب يسب ولا يخجل » وقال للرجل الشايب « لو غيرك قالها لقتلتهُ »

« وهذه على التحقيق ظاهرة اجتماعية ملحوظة في اخلاق الامة المصرية بأسرها ، سيما فيما أرى قدم العهد في هذه الامة بحياة الاسرة والحياة الاجتماعية والبنية على اجيالها »

على هذا الضرب البارع من الاستقراء والاستنتاج يقيم الحجة على ان السجون تبلد الاذهان وتعمي البصائر ولا تنال النفوس بتهذيب او اصلاح ، ويقص قصته فتى قتل اخته استدرجهُ رفاقه الى شرح الواقعة فيسردها بالتفصيل فيقول الاستاذ العقاد عنهُ « فلو انه كان يتكلم عن ذبح شاة او دجاجة لما اختلف الامر ولا تباينت اللهجة ، ولا كان أقل من ذلك مبالاة بما يقول واسترسالاً في النكات والمزاح كما عيب به اصحابه ونسبوا اخراجه واستفزاز طبعه وليس هذا كله من الغيرة على العرض والنخوة للكرامة ، فان الغيرة على العرض تثير الغضب والنقمة ولا تخلق البلادة ولا تعمي الانسان عما صنع بعد فورات الثورة وسكون الهياج ويقظة النفس للذكرى والاستبار والاسف على ما كان من سبب القتل والاضطرار اليه »

يستدل الاستاذ مؤلف كتاب «عالم السدود والقيود» على طبيعة المسجونين من الفكاهات التي يتفكهون بها والثناء الذي ينوهُ فيتخذها مقياساً لمرقة الخير والمحبة الانسانية في نفوسهم ، تأتي بالبينات على ان اهل الخير فيهم قليل « وهذا القليل الموجود يشف — في أغلبه واعمه — عن معدن وضيع او معدن مشوب ، وان لم يجز لنا ان نقول ان الخير فيهم معدوم ، وان صلاحهم ميؤوس منهُ »

يضيق بي المجال اذا تناولت فصول الكتاب جميعها ، ففصول « الطعام ومطالب الجسد » و « بعض الشخصيات » و « الجريمة والعقاب » و « بعض الاصلاح » خليقة بالدرس العميق ، جديرة بالرجال المتصدرين للاصلاح الاجتماعي سواء أكانوا كتّاباً ام نواباً ، قضاة ام حاكمين ان يتعمقوا نظرهم ويطيلوا تبصرهم فيها لانها خير منارة يهتدون بنورها الى انقاذ عشرات الآلاف من المسجونين تضيف السجون ولظمها الى امراضهم الطبيعية ادواء خلقية لا خلاص لهم منها ولا رجاء من شفائهم من علتها الطبيعية والاكتسابية

بودي ان لا اهيب فقط بكل اديب وأديبة قراءة كتاب «عالم السدود والقيود» بل كنت اتمنى — لو في وسعي — فرضه على طلاب الادب فرضاً فيتطعمون بالروح الانساني المحض ويتذوقون الادب العالي الرفيع . ولا يفوتني هنا ان انوه بالكتاب العظيم الذي وضعه الاستاذ العقاد في « سعد زغلول » لاني اعتقد ان فصوله الاولى من أبرع وأمتع وأسمى ما كتب كاتب في الدروس الوطنية وفي تحليل الشخصية المصرية ، وانهُ في مجموعه كتاب في ترجمة الزعيم سعد زغلول يبز اكثر الكتب من نوعه التي وضعها اميل لدويج وأندريه موروى واوكتاف اوبري وبساوي كتب استفان سفايج عميد كتاب التراجم في هذا العصر في عمق الدرس ودقة التحليل

التنويه وحده بقيمة كتاب « سعد زغلول » أتم ، والاشادة باقداره الادبية والاجتماعية فرض على كل كاتب ، وعندي ان الاقصاب والتماثيل مع روعتها لا تمثل عظمة زغلول الرجل كما يصورها على حقيقتها الطبيعية الحية كتاب « سعد زغلول »

حبيب زحلاوي

المتنبي أيضاً !

كتاب المعهد الفرنسي بدمشق

انها لسنة المتنبي . سنة ظفر فيها الشعر بفضل أمير من أمرائه بالمكانة اللائقة به في هذا العالم، تلك المكانة الآخذة بالانحلال لسطوة المادة على الأنفس

وقد عرض للمقتطف بالنقد جل ما ألف في المتنبي أخيراً سواء في اللغة العربية أو اللغات الافرنجية . وهذا مؤلف جديد باللغة الفرنسية يخرجهُ المعهد الفرنسي في دمشق [1] رغبة منهُ في ان يشارك أبناء العربية في احيائهم لذكرى المتنبي واشادتهم بفضله

ينطوي المؤلف على ست مقالات لطائفة من المستشرقين نسوق زبدتها لقراء العربية :

يطلع علينا الاستاذ ماسينيون Massignon في المقال الأول بآراء عجيبة أول الأمر مستغربة النواحي في الحقيقة ، ومجمل قوله ان المتنبي المولود في البيئة اليمانية في الكوفة نشأ في هذه المدينة وفي البادية في جو قرمطي محض وان هذا القرمطي نزعة لم يرعو كل الارعواء وان غلب على أمره . ثم انهُ لم يرض كل الرضا بشيعة أمراء الشام الحمدانية فاضطرّ ان يتجر بمنظوماته في اقة وتحة خاصتين بمذهب الاسماعيلية

ذلك الرأي الذي أتى به المؤلف وانطلق يؤيده بالشواهد المختلفة فدل على قرمطية المتنبي بألفاظه وصوره واعتقاداته وشكه حتى بإيمانه . وهنا نرى ان الاستاذ ماسينيون ذهب في الاستشهاد ببيان المتنبي مذهباً فيهِ شيء من الغلو ، فاستشهاده مثلاً بهذا المصراع

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

على أن المتنبي كان يسمو الى الطباق المعنوي على الطريقة القرمطية، مسئلة فيها نظر . ذلك ان قرّاء الشعر العربي القديم انما يرون في هذا المصراع تركيباً لفظيًّا اتباعيًّا متعارفاً

وصفوة القول ان مقالة الاستاذ ماسينيون غاية في الاناقة ، ولا يفوتنا ان نذكر ان الدكتور طه حسين بك انتفع بها في تأليف كتابه الاخير « مع المتنبي » (مصر ١٩٣٦ ، راجع ص ٥٣ ، ٦٤ ، ١٥٤ ، ١٦٩)

وفي المقال الثاني يصف لنا الاستاذ سوفاجيه Sauvaget مدينة حلب ايام سيف الدولة . فيخبرنا أنها لم تكن على جانب عظيم من الاتساع ولا المدنية تفوق نواحي الشام وعدم

(١) Al Mutanabbi. Mémoires de l'Institut Français de Damas. Beyrouth 1936.

استقرارها وقلة اطمئنان اهلها . ولم تكن التجارة لترفع من شأن تلك النواحي لانها كانت في ذلك العهد محتضرة بسبب القتال الذي بين المسلمين والنصارى فجلب المجموعة بين التخوم البيزنطية والممتلكات الاحشيدية ومسالك البدو لم تقو على صرف منتجاتها الا الى جانب من الشام الشمالية. واما المدينة نفسها فكانت على الحال التي كانت عليها قبل الفتح الاسلامي ايام ملك الروم. ولم يضف اليها سوى الجامع وقصر سيف الدولة

والمقال الثالث موقوف على عروبة المتنبي . وفيه يدل الاستاذ لسرف Lecerf على ان المتنبي وقف للشعوبية وقفة الحازم الفاتك واعلن أن الارومة العربية ولا سيما اليمانية لا تعدلها ارومة. وان الامم انما يضخم شأنها بنبلها الوراثي وكرمها الطبيعي وشجاعتها وفتوتها، والامة العربية تجمع هذه الخلال الى حد بعيد جداً . ثم اعلن أن هذه الامة يفسدها ويسقط همتها عبيد من العجم يتحكمون فيها . فالمتنبي بهذا وضع الحجر الاساسي للعروبة الفصالة التي تعتمد على الماضي الزاهر لتشد من ازرها في الحاضر . وهي حال نفسها اليوم في البلاد العربية

واما المقال الرابع فقد اجمل فيه صاحبه الاستاذ بلاشير Blachère الكتاب الذي الفه في المتنبي في اللغة الفرنسية وهو الذي أشرنا اليه في فصل مؤلفات المستشرقين بهذا الباب في مقتطف ابريل من هذه السنة

وفي المقال الخامس سرد الاستاذ جودفروي دومامبين Gaudefroy-Demombynes اسباب مجد المتنبي . ففي رأيه ان شاعرنا بلغ القمة بثلاثة اشياء . اما الاول فعربيته وعروبته إذ ارتد الى المقدمين من الشعراء الاولين في اسلوبه ولغته وغلوه في التضاد عن القوم والارومة وفي « حماسته » وفي مدحه للشجاعة والبسالة وفي انتصاره للعرب ووقوعه في الاعاجم . وأما الثاني فحياته المضطربة « الرومانتيكية » التي كثر فيها الطعن والضرب فردته بطلاً من ابطال الشعر العربي كما جداده وفي مقدمتهم عنترة وعمرو بن كلثوم . وأما الشيء الثالث فبلاغته اذ في شعره من الجزالة والروعة ما لا يصيبه الناس الا عند الفحول من الشعراء الاقدمين ، فضلاً عن ان المتنبي عرف كيف يضمن هذا الشعر القديم الاخاذ افكاراً جديدة فجاءت طائفة من ابياته آيات الشعر المحكم الرصين

بقي المقال السادس . ويبحث صاحبه الاستاذ كانار Canard في اتصال شعر المتنبي بالحرب التي كانت قائمة بين بيزنطة والعرب . وخلاصة البحث أن ما قاله المتنبي في حوادث تلك الحرب يجب عن ان يكون مستنداً تاريخياً للطور الذي فيه ارضاء لسيف الدولة . واما على المؤرخ ان يراجع هذا الشعر ليفهم الزمن الذي وقعت فيه الحرب وليجعل للحوادث الواقعة حقاً اطاراً فنياً جذاباً

ب . ف

القانون الدولي الخاص المصري

تأليف حامد زكي — المطبعة الاولى ١٩٣٦ — ٧٥٢ ص من قطع المقتطف

« آفة التأليف الاسراع فيه ، وخير التأليف ما جاء ثمرة بحث وتفكير طويلين . تلك حقيقة ناصعة لا يجحدها الا المكابرون . . . . ويؤلمني ان أمر هنا ان جانباً كبيراً من المؤلفين المصريين قد أهمل المبادىء السليمة السابقة . فهم من حاول القفز الى القمة مباشرة متسامياً عن جميع العقبات الماثلة في طريقه . . » . بهذه الكلمات صدر الاستاذ حامد زكي مؤلفه . وكم أصاب في تصديره إذ ان في مصر طائفة من الكتبة يظنون التأليف سواء كان أدباً او علماً واقفاً بالباب منتفاداً تتقلم

ودلالة على ما صدر به مؤلفه اخرج الاستاذ حامد زكي الدكتور في العلوم القانونية والاقتصادية والسياسية من جامعة باريس وأستاذ القانون المدني والقانون الدولي الخاص بكلية الحقوق في مصر كتاباً جمع بين البحث والدقة وبين الروية والتقصي . والكتاب ينطوي على خمسة فصول مطولة : الاول في موضوع القانون الدولي الخاص وتعريفه ، والثاني في تنازع القوانين ، والثالث في تنازع الاختصاص ، والرابع في الجنسية المصرية والموطن والدين ، والخامس في حالة الاجانب (المقيمين بمصر) . وتحت كل فصل من هذه الفصول تندرج ابواب عدة لكل منها مكانته ، ولا يسعنا هنا ان نعرض لها بالجملة . والتحقيق ان كتاباً مثل هذا خليق بأن يقرأ من ألفه الى يائه اذ فوائده جمة ومناحيه غزيرة

الا انهُ لا بدّ من ان نشير الى ميزات ثلاث يختص بها كتاب الدكتور حامد زكي . اما الميزة الاولى فتجلي الروح المصرية فيه ، اذ نرى المؤلف ينتصر للقضاء المصري والعدالة المصرية ويندد بسطو الاجانب ويدفع اقوالهم الواهية ثم ينظر الى القانون الدولي الخاص على انهُ قانون وطني مصري لا على انهُ قانون دولي عام او مقارن . واما الميزة الثانية فسهولة مطلب الكتاب من حيث وضوح مسائله واستقامة منهاجه وتلاحق فقره ، وفي هذا لطلبة كلية الحقوق خير عظيم . واما الميزة الثالثة فاستقلال ذهن المؤلف وجرأته على قول ما يبدو له حقاً وصحيحاً . وليكن مثلنا على هذا ما ذهب اليه المؤلف عند الكلام على قانون الاحوال الشخصية للمصريين عامة (ص ٦١١) من « ان الاصوب هو الاخذ جملة واحدة باحكام تشريع وضعي حديث كالتشريع السويسري مثلاً منقحاً بما يلائم عادات اهل البلاد والغالب المتعارف على معتقداتهم ، وذلك أسوة بما حصل في تركيا الحديثة حتى بشأن الاحوال الشخصية الخاصة بالمسلمين » [1]

ب . ف .

---

(١) جل ما يؤخذ على هذا الكتاب النفيس مادة اغلاط مطبعية ممدودة وقعت في الالفاظ الاعجمية (مثلا ص ١٤٦ ، ١٨٨ حاشية ، ٤٨٣ ، ٤٩٧ حاشية ، واخرى لغوية (مثلا ص ٥ آخر سطر ، ص ٩٩ س ١٧ ، ص ٤٨٨ س ١١ ، ص ٤٨٤ س ٢ ، ص ١٩٩ س ٢)

ديوان حافظ ابراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه الاستاذ أحمد أمين واحمد الزين وابراهيم الابياري طبع في جزأين : الاول في ٣١٨ صفحة والثاني في ٣٦٢ صفحة تطبع المقتطف — طبعة دار الكتب المصرية

حافظ شاعر عبقري دوّت اغانيه بايه في آفاق الأقطار العربية . وورّ صدى ألحان قيثارة في العالم الاسلامي ، نيفاً وثلث قرن ، في حلاوة جرس ، وطلاوة لفظ ، وحسن تأليف ، ورجال تنسيق ، بزّ في ذلك جميع شعراء عصره سوى شوقي كما يقول هو :

لم أخشَ من أحد في الشعر يسبقني ... إلاّ فتىً ماله في السبق إلاّمُ
ذاك الذي حكمت فينا يراعتهُ ... وأكرم الله والناس سواهُ

ولست بسبيل التعريف بحافظ الشاعر وقد عرفهُ الناس وأنا ما ازال في المهد صبيًّا ، غير اني لا اجد مندوحة عن ان ألم بأطراف حياته في اسطر : فلقد قضى شطر حياته الاول فقيراً معدماً ، يضطرب في نواحي الحياة فلا يصحبهُ سوى الفشل والملل ، متململاً لا يجد ما يقوم بأوده فيستشعر الالم والحسرة في نفسه ، ويطلب الملا فيخفق مرة بعد مرة . . . وفي الشطر الثاني يجد الرزق والاطمئنان في وظيفة في دار الكتب . وحريٌّ به ، وقد ذاق مرارة العيش ولذع الفقر ، ألاّ يغرط فيها فيهوي الى قرارة البؤس مرة اخرى . وحالت الوظيفة — كما هي دائماً — بينهُ وبين ان ينفّث عن نفسه بعض ما يتأجج فيها من آلامه وآلام وطنه وآمالها ، فانطوى على ألم يتململ في صميم فؤاده ، فكفّ كثيراً عما كنا نصبو اليه من حماسة متقدة ووطنية متسعرة . ولقد وجد لهُ الاستاذ احمد امين عذراً نقره نحن عليه . . . وحافظ لم يتخرج في مدرسة سوى تلك التي خلقها لنفسه من عاقرة الحيل وأفذاذه من العلماء والادباء والياسين ، فلم يدرس دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مرتبة ، ولم يبحث بحثاً فيه الاستقراء والاستنتاج ولكنهُ كان كالنحلة تمتص رحيق الزهرة التي تقع عليها لتشتهيه . وكان حافظ يقول الشعر في مناسبات — شأنهُ في ذلك شأن سلفه — ينشره حيناً او يدسهُ على هون إن جنى كيد الكائدين ، حرصاً منهُ على رزقه ، وإشفاقاً على نفسه ان تذوق الهوان والذلة . وكان رحمهُ الله — متهاوناً مهملاً ، لا يأخذ نفسهُ بنظام ولا يعنى بترتيب ، فانثر شعره وتمزق ، ولقتهُ الايام في ملاءة النسيان ، الاّ ما التقرتهُ الصحف او ما حفظهُ أصدقاؤه ، ولو اننا ندبنا حافظاً نفسهُ ليجمع ما تبعثر من شعره التي عناء وجهداً دونهُ كل عناء وكل جهد ، ولأصابهُ الكلال والملل ، فما بال الذين قاموا عليه !

وها هو ديوان حافظ في طبعته الجديدة الانيقة المرتبة يجذب النفس ويستهوي القلب ويغري بالمطالعة والامعان فيها ، ثم هو في ضبطه وترتيبه يفيد الطالب والمتأدب معاً كما يعين الاديب على بغيته ويوفّر عليه مشقة البحث والتقصي ، وهذه مئة اخرى للاساتذة . ولقد نظرتُ في الديوان نظرة عجلى فراعني ان يفلت من بين ايدي الاساتذة بعض اخطاء أضرب مثلاً منها : في صفحة

٩ من المقدمة في الجزء الاول ذكر البيت الآتي ضمن ابيات كان حافظ يندب فيها سوء حظه وضيعة أمله وهو ما يزال صبيًّا لم يطرّ شاربهُ بعد ، وهو : —

ولقوت ، مالي قد أراه مُباعداً وجُلّ مرادي أن أُوَسَّد حالاً

ولعل صحة المصراع الاخير هو « وجلّ مرادي أن أوسد جالاً » (بالجيم لا بالحاء المهملة) والجال جانب البئر والبئر وما جرى مجراها وفي هذا المعنى يقول المرّار بن منقذ العدوي

غدتْ وغدا ربٌّ سواه يقودها وبُدّل أحجاراً وجالَ قليبِ

والمعنى بهذا أدق وأرق وأفصح وأقرب للمعنى المراد من الابيات ، وهذه الفائة يسيرة ترجو من الاساتذة ألاّ يغفلوها . وليست هذه الاخطاء ، وان كنت لا اظنها الاّ بعض سهو الانسان ، مما يضع من قيمة المجهود الفذّ او مما يحط من قدره

ولقد ظهر ديوان حافظ في ثوبه القشيب وديباجته الرقيقة ليشعرنا ويشعر العالم العربي أن كرم وزارة المعارف السنوية المصرية لم ينقطع فيضه عن حافظ في مماته ولا هو انقطع عنهُ في حياته ، فلقد عطف عليه المرحوم احمد حشمت باشا وهو ناظر للمعارف فبيّنهُ في دار الكتب في سنة ١٩١١ فاستقرّ بعد اضطراب وهداً بعد تقلقل ثم . . . ثم خلفهُ صاحب المعالي علي زكي العرابي باشا فأمر — وهو وزير المعارف أيضاً — فجمع شعرهُ في سنة ١٩٣٦ ليكون ديواناً كاملاً أنيقاً ينبي الادباء عن التخبط وينزع عنهم الشك ، فكأن وزارة المعارف قد طوقت جيد شاعر النيل بمن لن ينساها الجيل الحاضر ولا الأجيال من بعده ما دامت العربية الفصحاء . ولا يسعنا — نحن أسرة المقتطف جميعاً — الاّ ان نشكر لوزير المعارف فضله على الناطقين بالضاد في هذه الباكورة الأدبية وللاساتذة الذين اشرفوا على اخراج الديوان . وانا لنتوجه الى الوزارة طالبين ملحين ألاّ تقطع سيلها الفياض في هذه الناحية ولها من الله حسن الجزاء كامل محمود حبيب

الفارابي

تأليف الخوري الياس فرح . جونيه (لبنان ١٩٣٧) ١١٤ ص من قطع المقتطف

اذا تلمست في هذه الرسالة رأياً طريفاً او بحثاً مستفيضاً عميقاً خرجت من قراءته قليل الحظ مما تلمست . ذلك انها رسالة تبذل اشياء عن الفارابي دون ان تذهب في العرض والاستدلال والاستخلاص مذهباً اتسمت نواحيه وعلت طرقه . فميزة هذه الرسالة — على تواضعها — انها تسوق الى القارىء العربي جانباً فاخراً من جوانب الفلسفة الاسلامية العربية . إذ فيها محاولة استقصاء لشؤون المعلم الثاني بطريقة سهلة وافية . ويغلب على المؤلف طريقة المدرّس فترى قلمه يجري مجرى المعلم الذي لا يخطو خطوة الاّ وقد احكم الاولى . وعسى ان يواصل الخوري الياس فرح أستاذ الفلسفة العربية في معهد الفرير بجونيه التصنيف في الفلسفة العربية فيخرج مثل هذه الرسائل المفيدة التي بها يستطيع القارىء العربي العادي ان يتصل الى تراث اجداده في عالم الفكر والتأمل ب .

من حديث الشرق والغرب

تأليف الدكتور محمد عوض محمد طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

اقبلت الدكتور محمد عوض أول ما لبثت في عالم الفكر قبل أن ألقاه في عالم الحس. وكان ذلك من زمن بعيد عرفته فيه قوي البناء في أسلوبه العربي. ثم تناهت الأعوام واذا بي في النادي المصري في لندن منذ ثلاثة أعوام أقدم الى مصري طويل القامة أسمر اللون اسمه الدكتور محمد عوض . . .

ومنذ شهرين وقع في يدي كتاب اسمه (من حديث الشرق والغرب) لصاحبنا الدكتور عوض فقرأت منه ما مكنتني الظروف أن أقرأ . . وطويته على ان أعود اليه في فرصة مواتية وظرف قريب . واليوم أذا برئيس تحرير المقتطف الفاضل يكلفني الكتابة عن هذا الكتاب فأراني لا أجد سبيلاً الى عصيان أمره مع ان الكتابة عن الكتب من أشق الاشياء على الكاتب الذي يتحرى الصدق في كتابته لأنها قد تغضب الناس منه وتغرم عليه. الا أن الأدب الحق لا يعنى بمثل هذا الغضب ما دام ذلك في سبيل الأدب

اما من ناحية أسلوب الكتاب الفني فالدكتور غني عن أن أزكيه بكلمة . فقد عرف عنه نقاء الاسلوب واشراقه حتى فيما يتعرض له من مباحث العلم ومسالك البحث . وكتابه « سكان هذا الكوكب » شاهد على ما أقول . أما الفكرة في الكتاب فقد كنت أتوقع من الدكتور الفاضل أن يكون أعمق بحثاً في بعضها مما كان . ويخيل اليّ أن المؤلف راعى في كتابه جانب العبارة أكثر مما راعى جانب المعنى فلم يصل بنا الى أعماق من الفكر وكان كما حدثنا هو صادقاً عن الناس في موضوع « في طريق البغال » حيث يقول (ونحن ذوو أحلام ضحلة . لا نجد في البحث السيق الأعناء ولعباً وسنبق مدى الدهر قانعين بالظواهر نخدعنا وتقتنا)

خذ مثلاً مقالته (مناظرة بين بحر ونهر) فهي لم تعد أن تكون موضوعاً انشائياً يخرج طلبة المدارس باستظهاره . وكان للمؤلف الفاضل أحسن أن المقال ماهو الا نوع من المناظرات التافهة التي كان يكتبها الحلبي في كتابه (نسيم الصبا) والتي زخرت بها كتب الانشاء حيناً فكتب على هامش المقال كلمة لا تخليه من عثر . . . .

والكتاب مزيج من قصص ومشاهدات وخطرات . أما القصة فقد كان المؤلف الفاضل بعيداً عن التوفيق فيها . و (عبث القضاء) شاهدنا على ذلك فهي لم تعد أن تكون حكاية عن شاب هندي تعلم في انجلترا وأحب فتاة روسية في ترلسا ومات قبل أن تزف اليه من أحب . أما ما تستلزمه القصة من درس أو مفاجأة طريفة أو تحليل نفسي أو تصوير خلقي فلم يكن (لعبث القضاء) من ذلك نصيب

اما مشاهدات الكتاب ففيها كثير من صدق النظر واتساع المرئيات ولعلّ ذلك راجع الى ولع الدكتور بالسفر واهتمامه بالرحلة . فهو يتخذ من صغير المشاهدات عظيم الحكم وكبير المواعظ . وموضوع (في طريق البغال) يؤيد ما نقول . فقد خطر لي خاطرة وأنا اصعّد في جبال الالب او اتسلق جبال منطقة البحيرات في شمال انجلترا وجنوب اسكتلندة وذكرت حينذاك قول الشاعر

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال الاّ على جسر من التعب

يقع عليّ أن أقول كلمة في تشبيهات المؤلف فقد أغرم بها غراماً . وأصبح مألوفاً أن نرى في كتابه مثل هذا (وأضحت كأمل البائس لا تزداد على المدى الاّ بعداً) والبحيرة (تشبه الحسناء حين تستيقظ من النعاس). والمسابح (كأنها أشباح البقين وسط دياجير الشك). وقديماً أغرم ابن المعتز الشاعر الخليفة بالتشبيهات فأبدع فيها . فاذا كان الدكتور عوض اغرم بالتشبيهات فهل لنا أن ننتظر منهُ الابداع ؟

اما وصفه للبحر فهو ما لم يتعرض له كاتب عربي بهذا البيان الجميل ولعله اذا سار على الغرب كان لنا منهُ كاتب عربي وصّاف للبحر يعادل « كونراد » الانكليزي مؤلف رواية Youth وغيرها من قصص البحر الرائعة

محمد عبد الغني حسن

الحكيم وليلى

تأليف توفيق حسن الشرقاوي — مطبعة صادر ببيروت — صفحاته ١٥٩ قطع المقتطف بنط ٢٤ ابيض

هذا كتاب اجتماعي يبحث في أسلوب قصصي — ولا نقول انهُ قصة بالمعنى الفني المتواضع عليه بين نقاد الادب — المعضلات الزوجية وما يلابسها من مشكلات الاجتماع الحديث كالخروج الى المراقص والملاهي والحفلات والمغالاة في مماثرة المشروبات الروحية فيها والتبذل في الرقص والتنزه والفسق وما الى ذلك من النواحي الادبية في الاجتماع العصري كالتربية وتنشئة الاولاد وغيرها

والبحث مسوق في قالب حوادث تدور حول سيدة تدعى ليلى تمثل في حياتها وحياة من تعاشرهم المشكلات التي تقدم ذكرها . أما تأمل المؤلف فيها فأجراهُ على لسان الحكيم ، وهو على الغالب تأمل حنتهُ الحكمة وقالبهُ الارشاد الروحي ، ولولا نزعة قوية في المؤلف الى الوقوف موقف الواعظ او الخطيب على المنبر والى التسميع في معظم الاوصاف التي يوردها لكان الكتاب من حيث هو عرض قصصي لموضوع اجتماعي أقرب الى الاصول الفنية المتبعة في مثل هذه الاحوال . ثم اننا لا ندري ما الباعث القاهر على رسم صورة لمسابة في عقلها اقل ما يقال فيها انها تنطوي على تلميح في غير محله ولو حذفت من الكتاب لما سقط ممتاه ولا اضطرب سياقهُ

كتابان نفيسان في التربية

١ — طرق التدريس المثلى ٢ — التربية على طريقة دالتن

التربية في معناها الاسمى ، ثقافة واختبار . لا غنى لاحدهما عن الآخر . فاذا قصرتَ على الثقافة ، فقد تخرج من المدرسة الى ميدان الحياة شباناً وشابات ، اصلح لصوامع الانسلاك وأديرة الراهبات . والاختبار اذا لم يقم على فهم صحيح لحقائق الطبيعة والحياة والنفس والاجتماع ، فقد تلتوي نتائجهُ . ذلك ان التربية عملٌ اجتماعيٌّ ، وليس بعمل ذهنيٍّ صرف . والهدف الذي تتفق في سبيله مئات الملايين من الجنيهات في مختلف الامم ليس صقل الذهن فحسب ، بل تنشئة «الرجل» كما ينبغي و« المرأة » كما نريدها . ولا بدَّ لتحقيق هذا الغرض العالي ، من تدريب الملكات العقلية والخلقية معاً ، وهو التدريب الذي يؤهل الرجل والمرأة للفهم والتعاون

فالتربية بهذا المعنى ، اقل ما تكون اتصالاً ببرنامج التعليم وحده . واشدُّ ما تكون اتصالاً بشخصية المعلم . «واذا صدق على القضاء ما قيل من ان القانون الناقص اذا طبقهُ قضاة ذوو كفاية كان اصلح للامة من قانون كامل يطبقهُ قضاة غير جديرين بالثقة ، فمثل هذا الحكم على التعليم اصدق ، لان التعليم ليس مجرد تطبيق قواعد ونصوص ، وانما هو قبل كل شيء تفاعل حيوي بين شخصية المعلم وشخصية المتعلم» (مقدمة التربية على طريقة دالتن للاستاذ الفاني صفحة ز) .

فاذا استقرَّت في الذهن هذه الفلسفة « الكلية » للتربية ، أدركنا الفائدة العظيمة التي يجنيها المشتغلون بها والمهتمون على مقدارها من كتب وضعها أعلام المربين في هذا الموضوع وتولى نشرها فريق من أعلام المربين عندنا

ان « كتاب طرق التدريس المثلى » من تأليف البروفسور بجلي وقد تولى نقلهُ وشرحهُ الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية بالقدس وأستاذ التربية فيها . والمؤلف ليس مجهولاً عند عامة المعلمين فهو أستاذ مشهور بآرائه العلمية ومن مؤلفاته (ادارة الصفوف «الفصول») الذي أخرجهُ الاستاذ الخالدي من بضع سنوات فلاقى رواجاً كبيراً في الاوساط التهذيبية في الشرق العربي ولا يزال مرجعاً هامًّا في هذا البحث

أما الكتاب الحالي فمختصر وهو يحتوي على ارشادات وأوامر ونواهٍ لفائدة المعلمين والمتعلمين ولكن اختصاره لا يسيءُ فقد اشتملت بحوثهُ على مقاييس عامة شاملة في جميع نواحي التدريس يجدر بالمعلمين والمعلمات ان يعوها وينفذوها ولكن بعد تأمل عميق واختبار وتجريب . وفي الكتاب اشارة الى الطرق الاصولية المعروفة في التربية وبعض الطرق الحديثة ، كطريقة المشروع ومنهاج الحركة ، ونظام دالتن ونظام ووتكا ، وتسيع الجماعة وتوجيه الدراسة

كلُّ فقرة من فقرات هذا الكتاب ، تحتوي على درَّة غالية من درر الارشاد العملي والتوجيه النفسي للمعلمين في مختلف الاحوال والحالات

واذا كان كتاب «طرق التدريس المثلى» كتاباً عامًّا شاملاً لنواحٍ مختلفة، من دون أن يخل شموله واختصاره بدقته وحصيف ارشاده، فان كتاب «التربية على طريقة دالتن»، يتناول بالبحث المفصل طريقة من طرق التعليم الحديثة، استحدثتها هيلين باركهرست وقاعدتها ان اجتماع الطلاب فصولاً كبيرة، لا يقيم وزناً للفروق الذهنية والنفسية بينهم، واذن فيجب ان يأخذ المعلم بعين الاعتبار قدرة كل طالب على حدة، وتعيين عمل له خاص به، يتفق ومقدرته الذهنية وجلده على العمل، لان هذه الطريقة تمكن الطالب من النمو نمواً صحيحاً، لا يعيقه سيقه سائر الطلاب فيسيئون، ولا تخلفه عنهم فيتطرق الى نفسه الهم والخوف

واضمة هذا الكتاب هيلين باركهرست مبتكرة الطريقة، ونقلته الى العربية زكريا ميخائيل خريج معهد التربية والمشرف على اصدار والاستاذ اسماعيل القباني احد أساتذة معهد التربية بمصر. قال الاستاذ اسماعيل في مقدمته «وقد اخترنا البدء بهذه الطريقة لاسباب عدة. فاما السبب الاول فهو ان مبتكرة الطريقة ومؤلفة الكتاب كانت عندما شرعت تفكر فيها سلطة عادية في مدرسة ريفية باميركا. وقد واجهتها ظروف خاصة فأعملت الفكر لتنظيم مدرستها على وجه يلائم تلك الظروف، مسترشدة في ذلك بنتائج اطلاعها ومشاهداتها، فتوصلت الى طريقتها هذه ووجدت من تشجيع السلطات المشرفة على مدرستها ما مكنها من تطبيقها. وما زالت تبدلها وتكملها في ضوء التجارب، وتستقصي نتائجها العملية، وتوضح اسسها البداجوجية حتى اتمت بفائدتها رجال التربية كافة. واصبحت هذه الطريقة الآن في طليعة طرق التربية المعدودة في العالم.....

ولسنا في حاجة الى القول بان مكتبة المعلم في مصر وسائر بلدان الشرق العربي لا تستغني عن هذين الكتابين النفيسين

هول العالم

بقلم نزيه مسعد — صفحاته ٢٨٠ صفحة كبيرة

سلسلة مقالات نشرها كاتبها في «المقتطف» يصف بها رحلته في سنة ١٩٣٦ الى اميركا بلاد العجائب وايطاليا الفاشستية فوصف بدقة وأمانة كل ما شاهده في البلاد الاميركية من معالمها وولاياتها ومناحيها ودورها وصحافتها وخص الجزء الاكبر بالولايات المتحدة ومحادثته مع رئيس جمهوريتها ووزرائها كما افرد فصلاً خاصًّا بعاصمة الصور المتحركة هوليوود وقال ان في هوليوود وضواحيها نحو ٥٣ شركة للصور المتحركة لكل منها «ستوديواتها» وافرد عدة صفحات لوصف ايطاليا الفاشستية وما شاهده فيها والنظام التعاوني الحكومي وتحص العقيدة الفاشستية من عدة وجوه وتكلم عن التربية الفاشستية ومقابلته لقداسة البابا وعن عظمة مدينة الفاتيكان

فالكتاب وصف صحفي مشوق لما تحويه هذه البلدان من طرائف وعجائب وغرائب

محسنة مصرية كبيرة

مذكرة بحياتها وبرها — لعطوف بك عبد الوهاب بك — دار المطبوعات الراقية

تمر دنانير تحمد اعمال العرب والغربيين في مجال التحدث بالبرات والمبات التي تفوق على الاعمال الخيرية وتتجمع الامم وافاضة الباذلين لان اوربا اميركا واوربا ضربوا المثل في هذا الباب الخيري العظيم على مقدار ثرواتهم وما تدره اموالهم من خير عميم

ولقد اعتاد عظماء الشرق ولا سيما كرام المسلمين منهم على وقف الاوقاف ورصد ريعها للاعمال الخيرية وخصص بعضهم اوقافه لاستمرار الاقبال على العلم في الازهر الشريف وسائر مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف وجامع الزيتونة في المغرب مما جعل سير العلم متواصلاً في تلك المساجد وسيظل ما دامت الاوقاف تدر ريعها منوعة بمثل احاديث واقيها

وفي يوم ٢٣ من ربيع الاول سنة ١٣٥٥ توفيت الى رحمة الله سيدة بارة تقية محسنة هي السيدة خديجة هانم صبري حلمي الالفي حرم المرحوم يوسف بك نجيب فتحدثت الصحف باعمالها الخيرية ومبراتها العظيمة وانتهزت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة فرصة هذه الذكرى فاقامت لها حفلة تأبينية في دار جمعية الشبان المسلمين في يوم الاربعاء ٢٣ من ربيع الاول سنة ١٣٥٦ الموافق ٢ من شهر يونيه سنة ١٩٣٧ حضرها جمع حافل من اهل العلم والفضل

ومما يصح ذكره والتنويه به هنا ليكون احدوثة طيبة للفقيدة العظيمة انها انفقت في حياتها جميع ما تملك من مال ومجوهرات وعقار في القاهرة والاسكندرية على الجمعيات الخيرية ويقدر ذلك بنحو مائة الف جنيه مقسمة على النسبة الآتية: — ١٦ قيراطاً للجمعية الخيرية الاسلامية يتفق ريعها على مستشفى الجمعية المنشأ بجهة الجيزة بمصر واشترطت ان يكون اتفاقه على المعالجة بالراديوم وجعلت هذه الجمعية ناظرة على املاكها . وخصصت ٤ قراريط لجمعية المحافظة على القرآن الكريم وقيراطين للانفاق على الطلبة الفرباء الذين يفدون على الازهر الشريف من الصين واليابان والحبشة وقيراطين لجمعية الاسعاف النبوية بالقاهرة

وهذا علاوة على انشائها مسجداً فخماً في مصر الجديدة بلغت نفقاته نحو تسعة آلاف جنيه والحقت به مكتبة دينية وخصصت فيه مكاناً للسيدات ووقفت عليه اوقافاً خاصة لاستمرار الانفاق عليه وأهدت الى جمعية الاسعاف بالقاهرة سيارة فخمة صنعت خصيصاً في مصانع ريتو المشهورة كاملة المعدات وهي تجوب القاهرة وعليها قطعة نحاس منقوش عليها اسم المحسنة الكريمة

ووقفت منزلين كبيرين بشارع الفرم ثمنهما عشرة آلاف جنيه على الاعمال الخيرية وأهدت الى دار الكتب المصرية خزانة من صناعة شرقية قديمة وفيها مختارات من الكتب والتحف وأوصت بأثاث غرفتي نوم واستقبال كبيرتين من الصناعة الشرقية النادرة المثال من صنع المدرسة

الهسنة الكبيرة المرحومة الحاجة حبيبة هانم رسم حلمي الالفي
حرم المرحوم يوسف بك نجيب المتوفاة في يوم السبت
٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٥٥—١٣ يونيو سنة ١٩٣٦

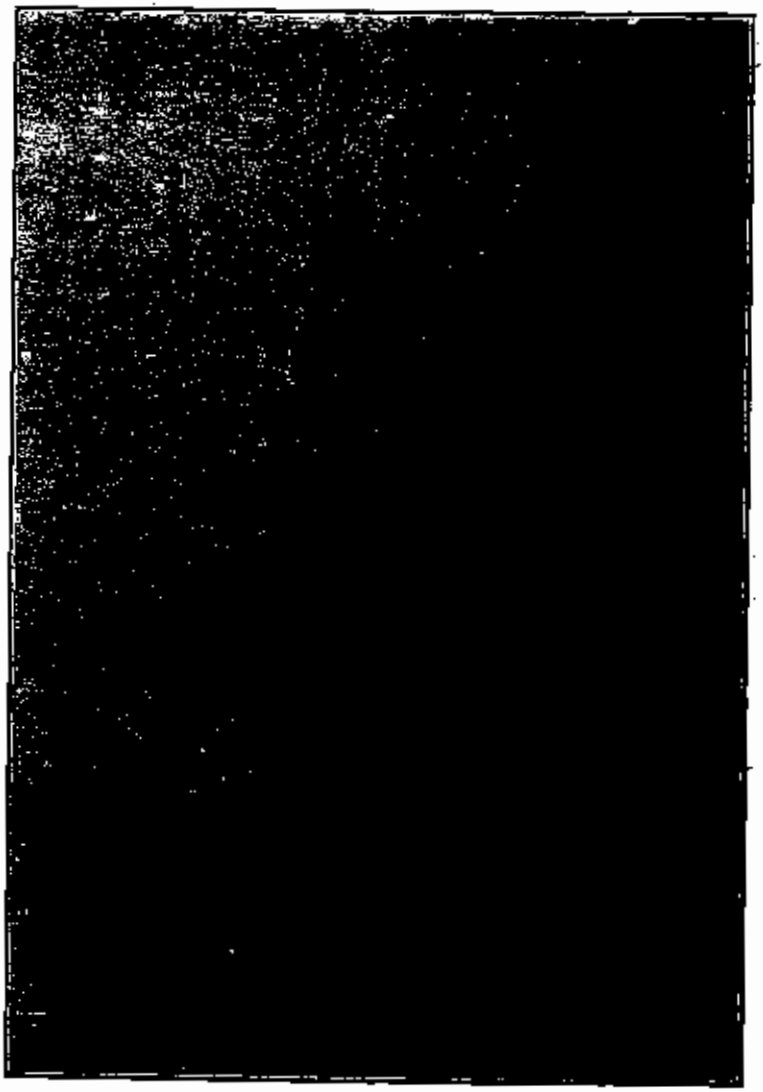

واجهة جامع حضرة صاحبة العصمة الحاجة خيزة هانم رسم الآلي
على شارعي سيد ونجم حاكم بمصر الجديدة أنشأته سنة ١٣٤٩
هجرية الموافق سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ميلادية

الاهلية لوضعها في معرض النماذج التابع لوزارة الصناعة والتجارة ليستفيد منها الصناع في الاعمال الدقيقة استفادة عملية وتاريخية وقد وضعت فعلاً في المعرض الدائم

هذا عدا ميراثها على الجمعيات الخيرية الاخرى والعائلات والافراد وعدا تبرعاتها في الحجاز في كل عام حجت فيه وكانت تتفقد المحتاجين وتنفق عليهم خيراتها وميراثها

وان نظرة سريعة على توزيع أملاكها تبين لنا مقدار الحكمة في رصد أموالها لتأمين علاج للمرضى بأحدث وسائل العلاج الى اليوم الذي لا يتيسر العلاج به الا للاغنياء الى المساعدة على استمرار مدارس المحافظة على القرآن الى التوسع على الطلاب الشرقيين في اثناء مكثهم في مصر واغترابهم من مناهل العلم بالازهر الشريف الى مساعدة وسائل الاسعاف بتزويد جمعية الاسعاف بعمارة فخمة ورصد حظ من المال عليها كل ذلك يدل على حكمة وبعد نظر في عمل الخير وهذا الامر يعود النصيب الوافر فيه الى مشورة مستشاريها الامين وشقيق قرينها الحاج يعقوب عبد الوهاب بك ومن رجع اليهم في الرأي كمالي جعفر ولي باشا. واذ نحن ذكرنا في هذه الكلمة مختصراً ما قامت به المغفور لها من الاعمال الخيرية نجد واجباً علينا ان نشير الى ما قام به المغفور له قرينها المرحوم يوسف بك نجيب عبد الوهاب المتوفى في ٢٠ شوال سنة ١٣٥١ — ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٢ فقد خصص رحمه الله وقفيته على الجمعيات الآتية: ا — جمعية العروة الوثقى ب — جمعية ملجأ ابناء السبيل ج — جمعية المؤاساة الاسلامية بالقاهرة د — جمعية المؤاساة الاسلامية بالاسكندرية هـ — جمعية المؤاساة الاسلامية بالسويس و — جمعية الاسعاف النبوية بالقاهرة ز — جمعية الاسعاف النبوية بالاسكندرية

فنستطر شآبيب الرحمة على جدث هذه اللحمة الكبيرة وزوجها الكريم ونرجو ان يكونا قدوة طيبة للقادرين من الاغنياء في الشرق عامة ومصر خاصة

م. ر.

اليابان — بلاد الشمس المشرقة

وطد الاستاذ محمد عبد القادر صبيح العزم على اصدار كتاب في كل شهر يسميه كتاب الشهر والكتاب الذي بين أيدينا هو ثالث مؤلف يضمه المؤلف وصف به اليابان او بلاد الشمس المشرقة وقال ان كلة اليابان غريبة من بعض من تطلق عليهم لان لهم بلداً اسمهم اسماً آخر هو داي نيون وهو مشتق من لفظة صينية تطلق جيزن ومعناها ارض الشمس المشرقة ثم ذكر كيف جاءت كلة اليابان وان امبراطور اليابان يسمى الآن تنو بدلاً من ميكادو ونفوذه مستمد من قوة الحب الذي نشأ بينه وبين شعبه وان القوم يقدسون امبراطورهم حتى لا يجوز لياباني ان يحدق فيه واذا مر في الطريق انحنى القوم سراعاً واغلقت النوافذ والابواب. وجميع ابواب الكتاب مكتوبة بقالب يمتع بلذ القارئ مطالعتها فوصف عادات اهاليها والزلزال المخيف الذي حدث سنة ١٩٣٢ ودمر العاصمة وكيف جددت واستبدلت بمعالم القدم آيات الفن الهندسي في البناء. وتكلم عن الحكومة والتعليم والصحافة وخص المرأة اليابانية ونهضتها

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الحادي والثمين

١٢٩ عقل الانسان بين الكيمياء والكهرباء

١٣٥ أنصير من اجل الرقي غبارا ؟ (قصيدة) للمرحوم الدكتور يعقوب صروف

١٣٧ المنسوجات الأثرية : للسير جاستون ميت . نقله محمد عبد العزيز

١٤٥ فولتير : للكاتب اميل لدفج . نقلها كامل محمود حبيب

١٥٣ الفكر واللغة : لجورجي شاهين عطية

١٦١ حشرة سان يوزي : للدكتور محمد منير بهجت

١٦٧ كيمياء النباتات

١٧٢ المدرسة والطالب والوطن : للدكتور تشارلس وطسن

١٧٨ ازاحة الستار عن تمثال الدكتور صروف في جامعة بيروت الاميركية

١٨٥ الفصل الرباعي : لأنيس فريحة

١٩٢ رحلة جغرافية عمرانية : لوصفي زكريا

٢٠٢ نواح عسكرية في عصر اسماعيل : لعبد الرحمن زكي

٢٠٩ سير الزمان ■ خواطر حول نزول الملك ادورد الثامن عن العرش . نظرات ومقابلات في العصر : لسليم خياطه . فلسفة المعارضة في نظام الحكم الدستوري

٢٢٥ حديقة المتطف ■ الشاعر والالم : للشاعر الفرنسي الفحل الفريد دو موسيه نقلها احمد أبو الخضر منسي . امين تقي الدين : بقلم الياس أبو شبكة . أغنية الليل . مترجمة عن بيتشه . نقلها محمد فهمي

٢٣٣ باب الاخبار العلمية ■ « صدمة الانسولين » قد تشفي من الجنون . فاز الطيوم لا يشيب . البروتيلين يشفي مرضاً اسمه اكزيما . معالجة النزلة الرئوية (النومونيا) . ضرب جديد من دقائق المادة . أنسولين جديد بإضافة الزنك اليه . بين العقل والجنون . عيناك وأذنان وفم في ذيل ضفدع . الصوف الصناعي . تعبان في المكاتب : احصاء غريب . فاز النيون في بعض السلع . انقلاب الجنس في الضفادع

٢٤٠ مكتبة المقتطف ■ علم السدود والنيود . الفني أيضاً ! . القانون الدولي الخاص المصري . ديوان حافظ ابراهيم . الماراثي . من حديث الشرق والغرب . الحكيم وليلى . كتابان نفيسان في التربية . حول العالم . محسنات مصرية كبيرة . اليابان بلاد الشمس المشرقة

مضرة صاحب الجلالة

الملك فاروق الأول